محمد الشافعي

شَبَقُ زاهِد



رواية

دار ليلى
كيان كورب
للنشر والتوزيع

تحقيق زاهد
محمد الشافعي

كيان كورب للنشر والتوزيع
دار ليلى

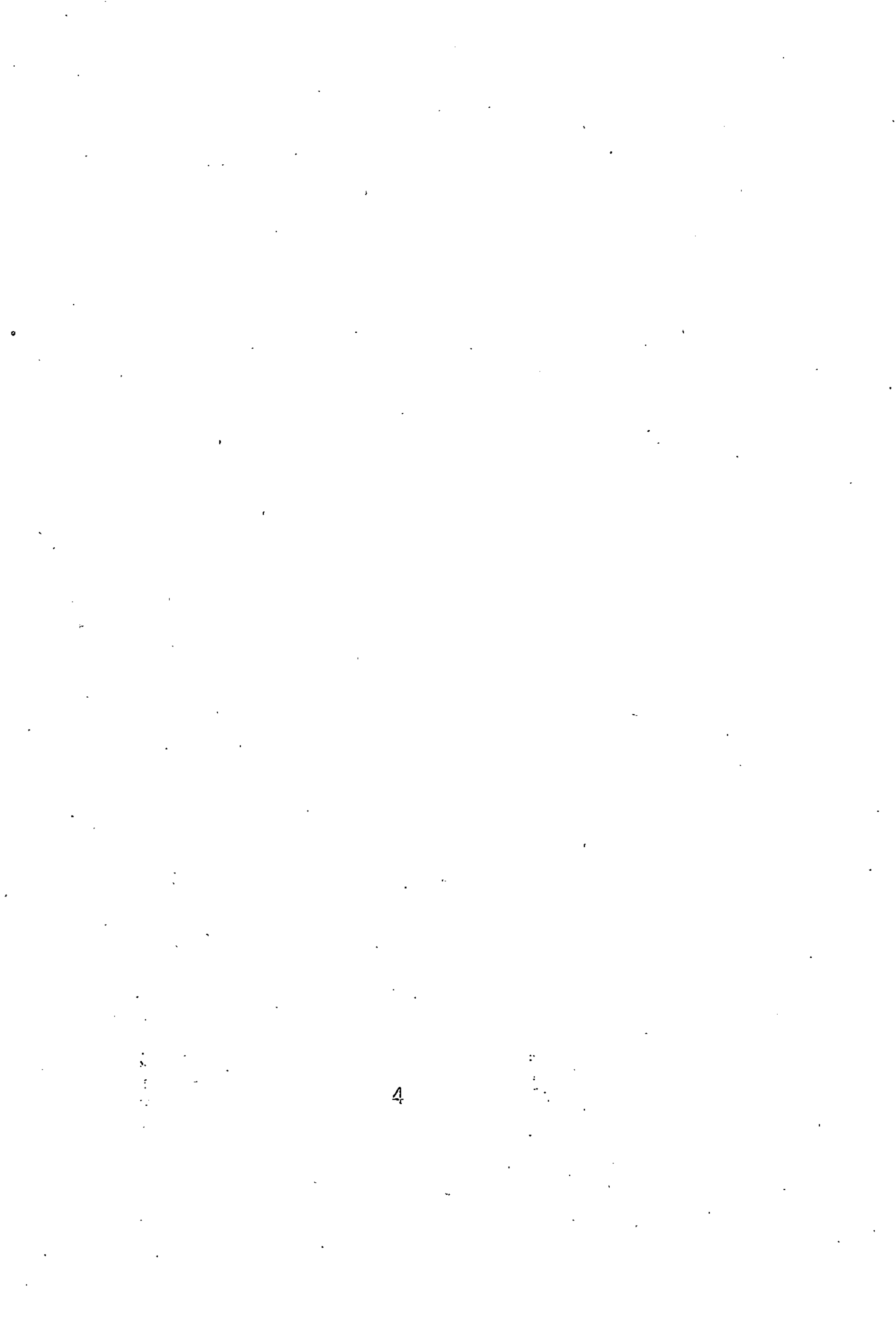
الكتاب:
شبق زاهد
المؤلف:
محمد الشافعي
★★★
الغلاف:
هاشم الحلبي
★★★
الإشراف العام:
محمد سامي
★★★

المهندسين-23 شارع السودان-تقاطع مع دق-الدور الرابع-مكتب 11
هاتف: 33370042 (02) (002) - 2388529 (012) (002)
البريد الإليكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darlila.com

محمد الشافعي

شبق زاهد

دار ليلى
كيان كورب
للنشر والتوزيع



أطياف (سمر)

منذ طفولته إلى صباه مرورًا بمراهقته وحتى أيام شبابه وصولا إلى كهولته، والمرأة والجنس يستفزان حواسه، بالإيجاب تارة وبالسلب تارات أخرى. لا يزال يذكر ميس (نجوى) معلمته في الصف الأول الابتدائي وكيف هام بجمالها وبتنورتها التي تبرز ساقين وكأنما قدتا من عاجٍ صافٍ لا شائبة فيهما، لا يزال يذكر كيف طار في سماء النشوة الطفولية يوم أن نال أول قبلة منها على وجنته ثناءً على ذكائه، وكيف صارت قبلاتها حافزه الأول على الاجتهاد في نيل رضاها ورضا من تعاقب عليه بعدها من مدرسات ومدرسين، وإن اختلفت بالطبع طرق الثناء والرضا. فإن تبدلت صور الثناء من كلمة تقدير إلى نظرة انبهار إلى تصفيق إلى هدية تفوق: فإنه كان في كل مرة يستعيد لا شعوريًا ملمس شفتي ميس (نجوى) على خده الطفولي.

لا يزال يذكر عجينة العسل والليمون المنزلية عندما كان يُصنع منها وهي لا تزال ساخنة منصهرة عدة قطع من الحلوى اللذيذة، ثم يتساءل عن مصير باقي المزيج ولماذا لا يصب كله كحلوى؟ لكنه لما رآها ذات مرة وقد امتلأت بشعر الساقين استفرغ ما في معدته، ويتكرر لديه إحساس مشابه بالغثيان كلما وقعت عيناه عفوًا على ساقين قد أهملت صاحبتها في جلوتهما.. اقتنع عقله الصغير وقتها أن هذا النوع من الشعر لا يعرف إلى ساقي ميس (نجوى) سبيلاً!

كم نال وجهه الطفولي الناعم الجميل من قبلات قريبات الأسرة وجاراتها وصديقاتها. وكم نال خده الأملس الغض من قرصاتهن وأحيانًا من عضاتهن! حتى صارت لحظة أن تنحني إحداهن كي تطال خده هي لحظة مرادفة لمعنى الألم، لكنها تحولت مع الوقت لمعنى الدهشة والإثارة؛ إلا تنتبه أيٌ منهن أن هذا الطفل الجميل قد بدأ يخطو إلى عتبات المراهقة؟ حتى وإن لم تدل ملامح وجهه الطفولية على ذلك؟. تحولت هذه القبلات إلى هواجس من صلصال يتلاعب بها شيطان المراهقة الجنسي ويشكلها كيف يشاء: هل هي قبلات بريئة مثل زمان؟ أم أن القرص والعض القديم أيضًا كان غير بريئ؟ هل لا يدركون حقًا بسبب ملامحه الطفولية أنه يخطو في عتبات المراهقة؟ لماذا لا تكتفي أبلة (أماني) وطنط (سعاد) بقبلتي الخدين ويتبعانهما أحيانًا بقبلة سريعة على شفتيه؟ صحيح أنهن اعتدن ذلك منذ أيام الحضانة ولكن ألا يلحظن تلك الشعيرات الباهتة النابتة على استحياء فوق فمه؟ ليتني كنت مشعرًا مثل صديقي (مروان)... هكذا حدث نفسه... ألا تذكر يا (أمجد) كيف غضبت منك طنط (سعاد) عندما حاولت تنبيهها أنك لم تعد طفلاً؟ وكيف غضبت منك والدتك إذ اعتبرتك قد أحرجتها:

= متى تتعلم يا (أمجد) كيف تعامل المرأة؟

ذلك السؤال المضني الذي سيصاحبه طوال عقود من عمره رغم أنه عرف خلالهن عشرات النساء!

كان يومًا بائسًا يوم أن عرف أن حواء الجميلة تنـزف شـهريًا بعضًا من دمائها: دمًا أسودَ غليظًا وليس كدماء الجروح، وللمرة الثانية يستفرغ معدته يوم أن صادف فوطة صحية ملوثة سقطت من كيس للقمامة عبثت به أظافر قطط الشوارع. وكاد أن يستفرغ مرة أخرى من رائحة عاملة النظافة وقد اختلطت رائحة دورتها برائحة العرق وبرائحة عطر رخيص فشل في إخفاء هذه الروائح، ولم يفلح درس التبويض في إصلاح هذه الصورة الذهنية؛ بل ظل لسنوات يظن أن كل متعطرة بعطر نفاذ إنما تحاول إخفاء هذه الرائحة!

* * *

أنبأته أحلام البلوغ منه أنه لن ينل من النساء مطمعًا إلا ظواهر سطحية لا تعرف العمقَ أبدًا، مهما تبدلت في أحلامه أو في خيالاته أو بين يديه النساء. فأول أنثى زارته في المنام لتبشره أنه قد بلغ مبلغ الرجال لم يذق منها قبلة واحدة، وإنما تخففت من ملابسها قليلًا أمامه! وتوالت على زيارة أحلامه بعدها شتى النساء، لا تزوره أنثى منهن مرتين – إلا قليلاً منهن – ولا تذيقه أيهن طعم جسدها أبدًا.

في البداية كان لا يصدق ما يحكيه أترابه عن قصص الغرام التي يتطارحونها في أحلامهم وظن أنهم يتمثلون بعضًا مما يشاهدونه من أفلام، لكن تحول هذا الشك إلى حسد بعدما تواترت هذه القصص على ألسنتهم... فلن يكذبوا جميعًا.

* * *

كان يحتلم طبيعيًا عدة مرات في الأسبوع، حتى شك والده في أنـه يـصطنعه اصطناعًا! رغم أنه لم يكن يعرف أصلاً كيف يكون ذلك الاصطناع. وكان يستغرب جدًا من كلام الصبيان عنه ويتعجب لماذا يصنعونه:

– ألست في أحلامك تعيش المغامرة لآخرها؟

= نعم.

– ما لزوم إذن ذلك الذي تصنعه؟

= الإثارة عندما تأتيك لا تدري ما تصنع بها.

– والنتيجة أنك تفقد الأحلام الطبيعية إللي هي أشد لذة.

= ومن يصبر وينتظر الحلم يأتي أو لا يأتي؟ وغالبًا هو لا يأتي عندما تنتظره.

– أيهما أفضل: الأحلى ولكن لا موعد له؟ أم الأقل حلاوة وتستطيع عمله متى تشاء ولكن كله أضرار؟

= لو كانت الأمور تحسب بهذه البساطة ما كانت هناك مشاكل في الدنيا!

* * *

بدأت علاقته بالفتيات منذ الطفولة، لكنها على كثرتها لم تزد أبدًا عن التواصل عن بعد، كم حمل الهواء منه وإليه نظرات وغمزات ومكالمات هاتف.. بل وقبلات هواء، لكنه لم يكسر حاجز الهواء هذا أبدًا. يضحك كثيرًا كلما تذكر (سمر) – ابنة ميس (نجوى) – زميلته في الفصل لعدة سنوات، كانت تنظر إليه

وينظر إليها ويتبادلان غمزات الأعين. واحمر وجهه بشدة عندما حكى ذلك لوالديه يومًا على مائدة الطعام فانفجرا ضاحكين. وتكررت الغمزات يوميًا تقريبًا، الغريب أن (سمر) كانت تشارك اللعب كل زملاء الفصل إلا هو:

- إنتي ليه مش بتلعبي معايا؟

ردت عليه بابتسامة ثم هزت كتفيها كأنها لا تعرف إجابةً ثم غمزت له واستدرات مهرولة لتستأنف اللعب مع غيره. ولم ينس (أمجد) آخر غمزة منها وكيف فاجأته بعدها بأن أرسلت له قبلة سريعة في الهواء... ثم اختفت بعد ذلك اليوم!

- أين (سمر) بل أين ميس (نجوى)؟

= ميس نجوى الكاشف وسمر سافرا مع بابا سمر إلى الخليج!

* * *

إن أغرب ما في الطفولة أن ذكرياتها المُرة لا تؤلم وقتها، لكنها تحفر في حائط الوجدان علامات يستحيل طمسها، فكم مرت عليه من (سمر) أخرى بعدها، تبادلن معه كل رسائل الهواء ولكنهن — تمامًا مثل سمر — لم يكسرن أبدًا حاجز الهواء، وفي كل مرة تتكرر قصة (سمر) وتنتهي بابتعاده هو أو بإعراض الفتاة ورحيلها. هل كان يكرر هو — لا إراديًا — قصة (سمر) الأولى؟ أم أن كلهن (سمر)؟ هل هو مصدر جذب وإعراض في نفس اللحظة؟ أم أن كلهن أطياف (سمر)؟.

* * *

وتناسب نموه طرديًا مع معدلات تبادل النظرات والابتسامات. أدرك مع الوقت أن الله قد وهبه وجهًا كالمغناطيس لنظرات النساء. لكنه لم يفهم السر وراء انصرافهن عنه إذا ما تكلمن معه وأحيانًا بدون أي كلام! إذا كانت هذه وتلك قد نفرن — ربما — من كلامه فلماذا انصرفت عنه الثالثة دون أن ينطق بحرف؟ هل للنساء أحاديث خاصة ينجذبن إليها؟ هل ينبغي أن يسكب في أذني الفتاة كلمات الحب والهيام دون أن يشعر بهذا الحب أصلاً؟ هل كلمات العشق هي الباب الذي لا مدخل غيره؟ وإذا كان ذلك فلماذا من أحس ببوادر الحب تجاههن لم يرحبن بحبه الذي ضن به على عشرات الفتيات اللاتي كان يكفيه أن يسكب في أذن إحداهن أي أسطوانة حب مستهلكة لتكون مبررًا عاطفيًا لها كي ترتمي في أحضان حبه؟ بل وتذيقه من حلاوتها في حدود المسموح الذي وضعته لنفسها؟ وكل الحدود وضعت لكي يتم تجاوزها! لكنه لم يمتلك أبدًا القدرة على تمثيل كلمة الحب.

كان أخجل من أن يبادر الفتيات بالتعارف، لعل تربيته الصارمة وأسرته المحافظة كانتا السبب في ذلك، أو لعلها تلك الفتاة التي بُهت بجمالها يومًا فتجرأ وقرر أن يبادرها بالتحية وكل أوصاله ترتعش وكأنه سيقفز بالمظلة من طائرة، فإذا بأفكاره تتداخل وبالكلمات تتلعثم في فمه فوجد نفسه يقول:

_ إنتي اسمك إيه؟

= بتسأل ليه؟

هكذا ردت عليه باقتضاب وغضب

_ أبدًا... عايز نتعرف.

= لا شكرًا... أنا مش عايزة.

وكأن سطلاً من ثلج سكب فوق رأسه، أو كأن بنطاله سقط عنه فجأة في ميدان عام ساعة ذروة الزحام، ومن يومها وأي مبادرة منه للتعارف بفتاة وكأنها قفزة جديدة بنفس المظلة! ، فامتنع – إلا نادرًا – عن مبادرة الفتيات بالتعارف واكتفى بأن وجد من الفتيات من تبادره هي بالحديث أو بالإشارة الواضحة في رغبتها بالتعارف إليه، أما من تنال إعجابه وتأسره الرغبة في التعرف عليها فكان يكتفي بسلاح النظرات... يصوب إليها في الهواء نظرات الإعجاب والنداء وينتظر منها جواب الهواء، لكن طبعًا لا مبادرة الفتيات له ولا مبادرة النظرات منه قد أوقعت له من يعجبه حسنهن، فمشكلة (أمجد) الكبرى أن معاييره الجمالية تلامس سقف الفتنة:

_ لابد أن يفتنني جسدها وتأخذ بلبي ملامح وجهها وتصفو بشرتها كالمرآة المصقولة.

هكذا كان يحدّث نفسه، لكنه أدرك مع الوقت أن معدل الجمال الذي ينشده لابد أن تعتد بنفسها كثيرًا من بلغت حدوده الجمالية تلك، فلا هي ستبادر شابًا بإعجابها به ولا هي ستستجيب لنظراته بهذه السهولة. هاتيك الفاتنات قد اعتدن تنافس الشباب عليهن والإلحاح في طلب مودتهن بل والتفنن في

نيل الرضا منهن بشتى الحيل المبتكرة، بل إن من الفاتنات من يتعمدن التدلل انتظارًا لأن يأتي الشاب المعجب بلمحة مبتكرة تسجل كبراءة اختراع خاصة بها ترضي غرورها قبل أن ترضي ثقتها وأنوثتها.

لقد صادف (أمجد) أكثر من مرة من تملأ فتنتها عينيه لكن خوف الإحراج قد ألجم لسانه، بل كان أحيانًا – وكأنه ينتقم من تلك التي سبق وأحرجته – يتعمد الإشاحة بوجهه عن تلك الفاتنة وكأنها لا تعني بالنسبة له شيئًا...

= مغرور على إيه الواد ده؟ فاكر نفسه محصلش يعني؟

هكذا كن يتساءلن بينهن وبين أنفسهن أحيانًا بينما لا يدرين أنه يتحرق شوقًا إليهن!

_ ليتني كنت في سن مناسب للزواج، لذهبت إليها مباشرة عارضًا عليها الارتباط.

= الحب يا (أمجد)، كل الفتيات يحلمن بالحب، إنهن يحببن الحب ذاته، ادخل عليهن من نافذة الحب التي لا تغلق أبدًا.. ألا تنظر في المرآة يا فتى؟

_ الدَخلة... مشكلتي هي الدَخلة الأولى، ينعقد لساني وتتشوش أفكاري ومن شدة ارتباكي لا يخرج مني إلا كلام عبيط، الموضوع محتاج تحضير، كيف يبتكر بعض الشباب دخلاتهم على الفتيات بكل سهولة؟

= يا خسارة.. الحلو لا يكتمل، لو كانت لديك الجرأة وفنون المحاورة لما

استعصت عليك أجمل الجميلات.

_ أنا أيضًا لا أستطيع تمثيل الحب، لماذا أخدع وأكذب في مشاعري؟ أليست لديهن احتياجات وهرمونات مثلنا؟

= الحب مبرر أخلاقي يحفظ للفتاة كرامتها أمام نفسها، أنها تكره أن تبدو كالساقطات.

_ لوددت لو عاشرتهن جميعًا... لوددت لو عاشرت كل جميلات الدنيا!

* * *

وإذ لم تتح له دنياه أن يعاشر واحدة من هؤلاء الجميلات ففي أحلام فراشه متسع لهن جميعًا وزيادة! فما من مرة يأوي فيها إلى السرير إلا ويمرح خياله الخصب من هذه الفاتنة إلى تلك الساحرة في مسلسل يومي لا تعاد حلقاته أبدًا، هو بطله الأوحد وبطلاته كل من وقعت عيناه عليهن من جميلات. لكن الإشباع لكي يكون حقيقيًا فلابد للخيال أن يكون منطقيًا في أحداثه ومقنعًا في سبب تهافت الفاتنات على معاشرته. فتارة هو ممثل موهوب يلمع نجمه بسرعة فتتهافت عليه شركات الإنتاج... والممثلات والمعجبات، فينتقل من زهرة إلى أخرى، ولا يعاود الرشف من زهرة واحدة مرتين إلا إذا كانت ذات رحيق فريد! فإذا مل من هذا المسلسل أنتج خياله وبسرعة مسلسلاً آخر يكون فيه هو ذلك المحظوظ الذي وجد كنزًا رهيبًا بينما كان يحفر مصادفة في أرض الفيلا التي يملكها والده غرب الإسكندرية... كنزًا من أطنان المجوهرات تجعله أهم وأكبر

تاجر مجوهرات في العالم، تقصده غياد العالم ليلبسهن من نفائس مجوهراته ومن أشياء أخرى! بعد أن يفتنهن بسحره وجاذبيته وثرائه. أو هو ذلك العبقري المجتهد الذي يمكنه ذكاؤه أن يبتكر مادة كيميائية تضاف إلى البترول فتضاعف طاقة الاحتراق الناتجة عن كل برميل من النفط! يحتكر هو إنتاج هذه المادة ويجني عن كل برميل بترول تضاف إليه مادته تلك عشرة دولارات، ويدوخ عقله من حساب المليارات التي ستصب فوق رأسه، ويطيش صوابه من تعداد الحسناوات اللاتي سيسقطن في أحضان هذا الترليونير الوسيم! حتى الأميرات سيكون له من رحيقهن نصيب.

وكي لا يكون المسلسل مملاً لمشاهده الأوحد – أمجد – فلا بد من بعض المغامرات والمواجهات، فهذه (نجوان) ممثلة فاتنة – زميلة له في الوسط الفني وصديقة أيضًا – لكنه صدم منها لما خالفت التزام الفنانين والمثقفين في مصر بالمقاطعة الثقافية لإسرائيل...

= ألو يا (أمجد)، حزر فزر أنا فين؟

فيرد عليها بفتور:

_ أهلاً يا (نجوان)، خير؟

= أنا في المطار وكلها كام ساعة وأكون عندك في باريس، هشتري ملابس وإكسسوارات فيلمي الجديد.. إنت وحشتني قوي وفرحت لما عرفت من (سوزي) إنك بالصدفة في باريس.

_ آه... لكن أنا خلاص راجع مصر.

= يعني مش هشوفك؟ بقولك إنت واحشني، فاهم؟

_ معلش متعوضة.

وبعد لحظات من الصمت تقول هي

= (أمجد) أنت ليه متغير معايا كده؟

_ أنتي إللي اتغيرتي يا (نجوان) من ساعة مهرجان (كان) إللي رضيتي تشاركي في الندوة إياها بتاعة الفيلم الإسرائيلي.

= ده فن يا (أمجد) والفن ملهوش جنسية ولا دين.

_ لكن المبادئ ليها، وطالما إنتي مصرة على الغلط يبقى براحتك وأنا كمان براحتي.

= كده يا (أمجد)؟

_ آسف يا (نجوان)، المبادئ قبل الحب أحيانًا.. سلام.

* * *

= مستر (أمجد) لماذا تقل استثماراتك في بلدك بشكل ملحوظ عن معدلاتها في دول أخرى كثيرة؟

_ ليست تقل في بلدي وحدها ولكن في كل البلاد التي يستشري فيها الفساد والرشوة.

= لكن بلادك جذابة جدًا ومربحة للغاية للمستثمرين الذين يتوائمون مع

هذه العقبات.

_ أنا لست في حاجة لهذه التوائمات، عائداتي النفطية واستثماراتي في 60 دولة تجعل ما يمكن أن أجنيه من بلدي رقمًا هامشيًا لا يُذكر.

= لكنها بلادك مستر (أمجد) وأولى بأموالك وعاطلوها أولى بوظائفك.

_ إذن على حكومة دكتور (عاطف صبحي) مراعاة ذلك، أنا لم أطلب لا امتيازات ولا استثناءات، شرطي الوحيد أن أكون خارج منظومة الفساد، أنا لا أشارك أي مسئول ولا ابنه ولا أدفع دولارًا واحدًا تحت المائدة!

* * *

وللمزيد من الإثارة فقد امتلأت أحلام يقظته هذه بالصراعات، تارة مع منافسين له على قلوب حسناواته، وتارة مع حرس الأميرة التي تهواه. إن أحلى ما في الأحلام أنك تصنع أحداثها وتضع نهاياتها على هواك، ودائمًا ما تخرج من صراعاتها منتصرًا، بل وتستطيع كي لا تتهم نفسك باللاواقعية أن تضع حدودًا لخسائرك بنفسك... وهكذا كان (أمجد) يضطر لتقديم بعض الخسائر في صراعاته، يحددها هو ويحدد كيف ومتى يستردها، لكنه لم يقدم أي خسائر نسائية قط!

وذات ليلة بعد أن شاهد فيلمًا أمريكيًّا بطولة (مونيكا بيلوتشي) تساءل: كيف لم أنتج جزءًا أجنبيًّا من مسلسل أحلامي هذا؟ إن كثيرًا من نجوم هوليوود ليسوا أمريكانًا... نجومية وشهرة ودخل سنوي بالملايين من التمثيل ومن

الإعلانات و... نساء بلا حدود! وهكذا دارت كاميرات عقله في تصوير هذا الجزء الجديد من مسلسله، حلقاته الأولى بداية منطقية مقنعة لدخوله لهوليوود.. فها هو قد تصادف وجوده في أحد مطاعم السمك الشعبية في (أبو قير) عندما سمع شخصًا أجنبيًا يلبس ملابسًا بسيطة ويصيح بلكنة أمريكية: لقد ضاعت محفظتي!، بينما نادل المطعم لا يفهم شيئًا من كلامه ويطالبه بدفع حساب غدائه، ووسط هذا التوتر بين الأمريكي وبين عمال المطعم الشعبي الذي لا يرتاده الأجانب فقد أخذت (أمجد) الشهامة وقام بدفع الحساب لهذا الأمريكي المكلوم، بل وعرض عليه أن يقوم بتوصيله:

_ أين تقيم يا مستر؟

= فندق فلسطين في المنتزة!

أومأ (أمجد) برأسه متعجبًا في حركة لا إرادية فطن إليها الخواجة رغم سرعتها فقال:

= تتعجب من إقامتي في هذا الفندق الفاخر؟

_ لا أبدًا، ولكن ذلك المطعم البسيط لا يتناسب مع إقامة في ذلك الفندق.

= هذه هوايتي في كل بلد أسافر إليها: أرتدي ملابس بسيطة كما ترى وأرتاد المناطق العريقة غير السياحية مستخدمًا المواصلات العامة.

_ لماذا لم تذهب مثلا إلى حي (بحري)؟ الحي ملئ بالأماكن الأثرية وبالمطاعم التي يجيد عاملوها اللغة الإنجليزية.

= ليس هذا مطلبي، لا أريد مكانًا مهيئًا لاستقبال السياح، أحب معايشة الواقع الشعبي بلا تزويق ولا استعداد مسبق للسائحين، هذا يفيدني كثيرًا في عملي.

_ وما هو عملك؟

= filming!

و بعد هذه الكلمة الفاصلة في الحوار تدور الأحداث خاطفة في ذهن (أمجد)، حيث يصر مستر (ستانلي) على رد الجميل لأمجد، فبعد فترة قصيرة تأتيه دعوة من مستر (ستانلي) لزيارته في (هوليوود) وهناك يفاجأ (أمجد) بأن (ستانلي) ليس مخرجًا سينمائيًا مشهورًا فحسب بل من الطراز الأول بين المخرجين هناك! ، وأن الله ابتلاه بهواية التسكع في بلاد الله مبتعدًا عن الأضواء فقط لكي تتاح لأمجد فرصة لقائه.

= (أمجد) إن شكلك فوتوجينيك وتعبيرات وجهك ولغة جسدك كاريزمية، ألم تفكر في التمثيل يومًا؟

رد (أمجد) وقلبه يدق في عنف:

_ هذا حلم حياتي الذي تحطم على صخرة الواسطة في بلادي، لقد كنت دومًا عضوًا في فريق التمثيل المدرسي والجامعي ،. لكني لا أجيد فنون التحذلق لكي أنال ولو مشهدًا ثانويًا.

قهقه مستر (ستانلي) وأردف قائلاً:

= الواسطة وفنون التحذلق ليست في سينما بلادك فقط، حتى هوليوود فيها ذلك... اسمع (أمجد) لقد كنت أبحث عن وجه جديد، وجه له قدرتك على التعبير وله ملامحه الجميلة وتحار في تحديد جنسية صاحبه.

_ مستر (ستانلي) إن قلبي على وشك التوقف من هول المفاجأة.

= (أمجد)؛ كثير من نجوم هوليوود دخلوا مجال السينما من صدف أغرب من صدفتك هذه، لكن عليك أولاً أن تجري بعض الاختبارات.

و بالتأكيد فإن عقل (أمجد) الذي أنتج كل هذه الصدف السابقة سيجعله يشق طريقه كالصاروخ الصاعد في سماء هوليوود ليصبح أحد أيقوناتها تمثيلاً وشهرة و... جاذبية!، ودارت رأسه وهو يعدد عشرات الملايين من الدولارات التي سيجنيها سنويًا، وعشرات النجمات والموديلز والمعجبات الفاتنات اللاتي سيمرح بين أحضانهن. ولم ينس طبعًا أن يمزج الحلم بالمغامرات، وكيف سيغار منه (توم كروز) بعد أن تعلقت به (نيكول كيدمان)، وكيف سيرفض أن يكون وسيلة (ديمي مور) لإثارة غيرة (بروس ويليس)، بل ذهب خياله إلى حد الاستعلاء على النجمات المصريات وعلى السينما المصرية كلها خصوصًا أن عقده مع مستر (ستانلي) يمنعه من الظهور في أي فيلم خارج التعاقد ولو كضيف شرف.

ولأن أحلام (أمجد) لا تنفصل عن واقعه ولا تصادم مبادءه، فإنه سيشترط في عقده ألا يؤدي مشاهد عارية ولا مشاهد جنس صريح، إنه يقبل أن يعربد

خلف الكاميرا كما يشاء، لكنه أمام الكاميرا يخجل أن يراه أهله في مشاهد لا تقبلها الرقابة في التلفزيون المصري!

* * *

إنه ككثير من الرجال قد يكون ماجنًا في حياته الشخصية لكنه يحافظ على القيم الشرقية الاجتماعية العلنية... أولسنا شعبًا متدينًا بالفطرة؟!

وفي وسط نشوته في أحلامه الهوليوودية تلك والتي كانت تشعره بأنه ليس نائمًا في فراشه بل يحلق في سماء غرفته أو بأن سريره يسبح فوق بحيرة من الفضة سائلة، أوقفته قيمه ومبادءه عن تصوير مسلسل أحلام هوليوود! ؛ كيف سيستمر فيه وهوليوود محمية يهودية صناعية؟، أغلب شركات الإنتاج والمخرجين وكاتبي السيناريو هم من اليهود أو من أنصار اللوبي الصهيوني. وهل سيقبل المشاركة في دور العربي الهمجي الشهواني الإرهابي كما هي الصورة النمطية للعرب في هوليوود؟

وهكذا (أمجد) في أحلام يقظته وفي واقعه الافتراضي الجميل هذا، لا يبني قصوره الرملية في طرفة عين، بل يؤسسها طوبة فوق أخرى وعامودًا بجوار عامود، حتى يقنع عقله الحالم بأنه في قصر بالفعل وأن أحلامه حقيقية وفيها تسلسل ومنطق وفيها أحداث وصراعات وفيها مبادئ لا تنفصل كثيرًا عن مبادئه في حياته الحقيقية.

* * *

لماذا ينبغي على الشاب أن يحاور ويناور؟ وأن يحاول ويغازل؟ لماذا لا

تكفيه جملة: مساء الخير أنا معجب بيكي؟. فإما استجابت فخير وبركة وإما أعرضت فالجناين مليئة بالزهور الأخرى. أما هذه التي تتأبى وهي من داخلها تتمنى كي لا يُقال عنها سهلة أو خفيفة، أو تلك التي تشيح عنك بعينيها كي تعيرك أذنيها في انتظار جرعات من الغزل والمحايلات... فهذا مالم يستوعبه عقل (أمجد).

لقد ألقى (أمجد) كلمات التحية على بعض الفتيات فما لبث التحية من فورها إلا من كانت أقل جمالاً مما يشتهي. بعض الجميلات اكتفين بابتسامة لم يفهمها ثم ابتعدن، والبعض منهن كن يرمقنه بنظرة استنكار واستعلاء كان يذوب منها خجلاً وإحراجًا ثم لا يلبث أن يستشيط منها غيظًا فيرد على نظراتها:

_ إنتي فاكرة نفسك مين يعني؟

و كأنها هي التي ضايقته إذ لم تستجب لندائه، وكان يلتمس لنفسه أعذارها على غضبه وتسرعه في رد فعله، فإذا كانت كلمات مثلها قد جلبت من قبل استجابات أو ابتسامات فما بال هذه الفتاة تنظر لي هكذا؟ ألأنها جميلة؟ تبًا لأي بلد تظن فيه المليحة نفسها أنها عملة نادرة!

لم يكن لأمجد مجال للقاء الفتيات إلا في الأماكن العامة فقط، فقد تدرج في مدارس للبنين فقط من بعد المرحلة الابتدائية، وكل الفتيات من قريباته أو جاراته إما يكبرنه سنًا أو يصغرنه بكثير، أما في المناسبات الاجتماعية وزيارات

أصدقاء الأسرة فإن أسرته المحافظة كانت تخالط أسرًا محافظة مثلها تكتفي فتياتها بإبداء نظرة إعجاب خاطفة خجولة ويبرعن في إخفاء مشاعرهن البريئة. الحقيقة أن أيًّا منهن لم تستهو (أمجد) ولم يفكر في محاولة خوض أي مغامرة حقيقية مع أي فتاة منهن، لذا اكتفى بخوض تلك المغامرات معهن في خيالات فراشه، الغريب أنه عندما كان يقابل أيًّا منهن بعد ذلك ينظر إليها وكأنه يسألها: هل أعجبتك مغامرتنا؟ هل تبادلينني نفس الإثارة؟. آه لو كنت أقرأ الأفكار! لكنت... لكنت ماذا؟ إنهن في الخيال أحلى بكثير.. إن (عزة) لا تهتم بإزالة ذلك الشعر الباهت النابت فوق شفتيها وتحت سوالفها، وما خفي كان أبغض!. و(هبة) – علي روعة قوامها – تتعرق بسرعة لتختلط رائحة عرقها برائحة عطرها فإذا بهما مزيج خانق لمن اقترب منها. و(منى) التي تفتحت مشاعر المراهقة الأولى على الإعجاب بها إلى أن نبتت حبوب الشباب في وجهها مختلطة ببعض الرؤوس السوداء... تبًا لهذا الحظ...

متى تأتي أيام الجامعة ؟

* * *

(أمجد) بطابعه العملي المنطقي ميال لدراسة الرياضيات والفيزياء فكان طبيعيًا أن يختار كلية (الهندسة)، لو كان في بلد تُقدّر العلم لأختار كلية (العلوم) قسم فيزياء أو قسم رياضيات، لكنها دراسات مغبونة في مجتمع طبقي حتى في العلم والدراسة.

وتفتحت الأزهار حول (أمجد) من كل لون. من قال أن هندسة فقيرة في رصيد الجمال والأنوثة؟ ستجد فيها الجميلات بل والفاتنات، يكفيك أن تنظر إلى شلة (باكينام) المشهورة بشلة (بيانكي) حيث يساهمن في رفع درجة سخونة هذا الشاطئ صيفًا والجامعة شتاءً، أو شلة (ماهيتاب) المشهورة بشلة (دوللي دوتس) تلك الشلة الرباعية اللاتي لا تتحركن إلا سويًا.هذا ما رآه (أمجد) في البداية حتى فطن سريعًا إلى أن عدد الفتيات في الكلية أقل من ثلث عدد الشباب وبالتالى تقوم منافسة الشباب عليهن وتزداد على الجميلات وسطهن وتحتدم على الفاتنات النادرات بينهن، وطبعًا فإن (أمجد) أفشل ما يكون في منافسة كهذه، إن أقصى ما يستطيعه هو إلقاء التحية ثم يتلعثم وتزداد دقات قلبه في انتظار الرد ولا يسعفه عقله أبدًا في فتح مجال للحوار.

لم يكن (أمجد) منفرًا لدى الفتيات، بالعكس كانت له أرضية جيدة جدًا، وسيم ولديه سيارة مما يؤكد أنه من أسرة ميسورة، الواقع أنه كان جذابًا لكثير من الفتيات ولكنهن لسن بالجمال الذي يستهويه، وهو بصمته المطبق معهن — بسبب خجله — كان يوحي لهن دون أن يقصد بأنه مغرور. مشكلته أنه لا يرى إلا الفاتنات وفي نفس الوقت لا يبذل أي جهد للتعرف علي أيٍ منهن، كأنه ينتظر من تأتيه منهن كي تبادر هي بالتعرف عليه، أو ربما لأنه يدرك في اللاوعي أنه بعيد عن مستوى المنافسة على هذه المستويات النادرة من الفتنة والجمال.

عندما تكون الفتاة نجمة في كليتها تنحصر المنافسة عليها بين الشباب النجوم مثلها: شاب ثري، بطل رياضي، موديل إعلاني، احد الأوائل على الدفعة ممن ينتظر أن يكون معيدًا فأستاذًا، أو ابن أحد المسئولين المهمين، أما (أمجد) فكان متعدد المواهب لكنه كان النصف من كل شئ: وسيم ولكن ليس في وسامة (إكرامي) نجم الإعلانات الذي يسبقه بدفعة في الكلية، لديه سيارة لكنها عادية لا تنافس السيارات الحديثة المتوفرة مع شباب غيره، متفوق لكن ليس من الأوائل، أما الرياضة التي كان ينافس على بطولة الجامعة فيها فكانت الشطرنج، وهل رأيت في حياتك فتاة فاتنة تهتم بمتابعة بطولات الشطرنج؟!

وهكذا دارت أحلام الحياة الموازية والبديلة في عقل (أمجد)، فصاحب كل فاتنات الكلية في أحلامه، وضاجع من شاء منهن في خيالاته، حتى استحال الخيال لديه أحلى من الواقع ووقع أسير العادة التي كان يلوم عليها أصدقاء المراهقة... لماذا يجهد نفسه في التودد إلى (باكينام) أو في الصراع عليها طالما أنه يستطيع أن يضاجعها متى شاء كما يشاء في خياله؟ وبدون أن يصدمه ملمس شعر قد تكون قد استهانت في إزالته عن ساقها أو ساعدها، وبدون رائحة فم قد تكون كريهة، وبدون دورة شهرية وبدون إفرازات لزجة قد تصيبه بالصدود عنها... لماذا يضع نفسه تحت رحمة (قد) هذه إذا كان السهل والأكيد متوافرًا لديه؟!

وهكذا مرت به سنوات الجامعة الخمس، ركّز فيها على الدراسة والعلم ولم يهتم كثيرًا بالأنشطة الطلابية إلا بضع مشاركات في مسابقات الشطرنج

وبضع رحلات إلى القاهرة وبورسعيد. واكتفى بعدد محدود من الأصدقاء مصحوبًا بعدد لا بأس به من الصديقات! فبرغم أنه لم يكن ينجذب إلا للفاتنات – النادر وجودهن – إلا أن ذلك لم يمنع عنه الميل الفطري لوجود الأنثى في حياته ولو كصديقة، فمن الطبيعي أن يحتك بهذه الزميلة في الدفعة أو تلك وأن ينشأ بينهما حوار، فكان طبيعيًا أن تنشأ له معهن صداقات، وكان حريصًا ألا تتخطى مرحلة الزمالة أو الصداقة، فأي منهن لم تثره كأنثى وبالتالي لم تجذبه كحبيبة – والحب عنده قرين الإثارة – ولكن لا مانع من وجود الطيف الأنثوي حوله في صورة صداقة. صحيح أن بعضهن حاولن – بوسائل أنثوية ذكية – أن يجذبنه إلى قلوبهن لكنه كان واضحًا كل الوضوح في اكتفائه بالصداقة، البعض منهن اكتفين بذلك والبعض الآخر ذهبن بعيدًا عنه، أما هو فكان من سنة لأخرى يندب حظه الذي لا يضع في طريقه فاتنة من فاتنات الكلية وإنما يذهب بهن إلى أقسام ودفعات أخرى!

* * *

كثيرًا ما كان هاتف المنزل يحمل إليه بضع نفحات أنثوية، اتصال قد يبدو خاطئًا لكنه في الحقيقة مقصود بهدف فتح أي مجال عشوائي للتعارف، البعض يطلق عليه اسم معاكسات هاتفية بغرض التسلية، لكنه في الأساس سنارة تلقى في بحر الهوى لعلها تصيد عريسًا أو حبيبًا. في سنوات الثانوي وسنوات الجامعة الأولى كان (أمجد) يتعامل معها على أنها بذاءة تستوجب الرد

بالتعنيف، لكنه معَ الوقت بدأ ينظر إليها على أنها وسيلة من ليس بيدها حيلة للبحث عن عريس أو حبيب، فتجاوب مع بعضهن ممن راقه عذوبة صوتهن.

تأتي المعاكسات عادة مساءً وغالبًا في وقت متأخر من الليل وبالذات في الصيف حيث تصفو العقول من الاشتغال بالدراسة إلى الانشغال بالهرمونات! ، وتبدأ المعاكسة بالبدايات المحفوظة:

= ألو مين معايا؟

_ مش إنتي إللي متصلة؟ عمومًا أنا (أمجد)

أو:

= ألو ده بيت هاني؟

_ لا ده بيت (أمجد)، ينفع؟

ثم تمضي المكالمة في طريق التعارف المعتاد، وعادة تأخذ أحد طريقين: طريق المكالمات الساخنة التي ترتفع حرارتها مكالمة بعد أخرى، أو طريق محاولة الحصول على موعد، والطريق الأخير ينتهي عادة بصدمة. فبعد مرات قليلة أدرك (أمجد) أن كل من يبحثن عن الحب عبر أسلاك الهاتف هن متوسطات أو متواضعات الجمال، ونادرًا ما تجد منهن الجميلة ناهيك عن الفاتنة التي هي طلب (أمجد). وفي الليلة التي حاول فيها هو أن يجرب سنارته بنفسه فقد قدرًا لا بأس به من كرامته، فبعد عدة محاولات كان المجيب فيها إما ذكرًا وإما أمرأةً كبيرة السن؛ جاءت المحاولة التي صادت له أنثى عذبة

الصوت. لكن الشتائم التي تلقاها منها جعلت هذه المحاولة هي المحاولة الأخيرة.

= ها ها ها تستاهل

هكذا علق صديقه وزميله في الكلية (حازم) على محاولته هذه، ثم أردف:

= يا ابني المعاكسات دي عايزه بال طويل وجلد تخين وإنت ولد حساس.

هزَّ (أمجد) رأسه في أسى ثم أومأ مشيرًا إلى شلة من الفتيات يقفن في حلقة يتحدثن ويتضاحكن وقال:

_ كيف السبيل إليهن؟

= اذهب إلى من تعجبك منهن وكلمها.

_ بهذه البساطة؟ ماذا أقول لها؟

= اختلق أي حوار، أي بداية. لو كانت الفتاة عندها قبول تجاهك سيأتي الحوار من تلقاء نفسه، أما إن صدتك فاذهب إلى غيرها فالسماء مليئة بالعصافير.

_ لكن ليست كل العصافير التي تستهويني. فقط الفاتنات وهؤلاء أنوفهن في السماء.

= إذا أعجبتك فتاة جميلة اذهب وتودد إلى صديقتها الأقل جمالا، وستأتي فتاتك من تلقاء نفسها تدفعها الغيرة.

_ لكن هذه طريقة غير أخلاقية، ما ذنب الفتاة الأخرى؟

= أمرك عجيب يا (أمجد). وهل التودد إلى الجميلة أصلا أمر أخلاقي؟ هل

ستتزوجها مثلا؟

_ إذا أحببتها ثم إذا واتتني الظروف.

= وإذا لم تحبها؟ وإذا لم تخدمك الظروف؟

_ نكون قد عشنا مشاعر جميلة أو على الأقل لحظات حلوة.

= إذن ستحاول تقبيلها أو احتضانها أو ما تيسر فوق ذلك؟ فهل هذا شئ أخلاقي؟

_ ستكون الرغبة متبادلة بيننا، إما أن آخد فتاة مسكينة ككوبري لفتاة أخرى فهذا خداع.

= وهل تظن أن فتاتك ستسلمك شفتيها أو تمنحك أحضانها بدوافع هرمونية بحتة؟ دماغ النساء غيرنا، لن تمر إلى شفتي الفتاة إلا عبر طريق أذنيها ولن تدخل حديقة جسدها إلا من بوابة قلبها.

_ الواحد منا لو كان يعيش في أوروبا أو أمريكا كان زمانه هايص، علاقات بلا تعقيدات ووفرة في الجمال الحقيقي.

= لكن من يذهب هناك ويعيش هكذا لن يستطيع في المقابل أن يرفض هذه العلاقات على أخواته أو بناته.

_ كيف؟ عرب ومسلمون كثيرون يعيشون في الغرب ومتمسكون بدينهم وعاداتهم وتقاليدهم.

= رجال ونساء وليس على النساء فقط. وتعمد هذه الأسر هناك إلى تكوين مجتمعهم المحافظ فيما بينهم...

... كله سلف ودين يا ابن عمي...

صدر الدجاجة

وفي عصر أحد أيام الصيف بينما كان (أمجد) ينتظر دوره في شراء طلباته من محل البقالة القريب من منزله دخلت فتاة دون العشرين بقليل، تئن ملابسها المتواضعة تحت وطأة تضاريسها الناتئة في تحدٍ وجمال، يشرق وجهها بمسحة من الحسن، ليس بالوجه الفتان لكنه مغري الملامح ومثير، تنظر إليها وكأنك دخلت سوقًا للإغراء لا يكف باعته عن النداء فيه على بضاعتهم في إلحاح: من أول فاكهة جسدها التي نضجت في عنف، إلى شفتيها المتلئتين المزمومتين للأمام بشكل طبيعي وكأنها تقبل الهواء، مرورًا ببشرتها المشدودة كالطبلة التي سخنت على النار، وصولا إلى نظرة عينيها التي خلقت وكأنها تنطق بالرغبة! نظرتها التي لم تسقط من على وجه (أمجد) إلا عندما يبادلها النظرات فترخي جفونها إلى الأرض وهي تبتسم في دلال، وظلا يتبادلان النظرات والابتسامات حتى انتهى (أمجد) من استكمال طلباته فخرج من البقالة متلكئًا في انتظار خروجها وقلبه يدق في عنف، ولم تمكث هي إلا يسيرًا حتى خرجت مسرعة تتلفت حتى وقعت عيناها عليه فابتسمت ثانية وأبطأت في مشيتها، أحس (أمجد) وكأن كل من بالشارع ينظر إليهما، بل راوده شعور أن كل سكان الشارع خرجوا في شرفات بيوتهم ليرقبوهما، سار وراءها بمسافة كأنه يضلل عنهما الأعين حتى وقفت عند عمارة قريبة من مسكنه، فوقفت للحظة تنظر إليه ثم

دخلت. توقف عقله عن التفكير للحظات ثم ابتلع ريقه الذي جف وتساءل: هل أدخل وراءها؟ ماذا إن صادفت أحد السكان؟ ماذا عما أحمله من أغراض؟ لا بأس فقد عرفت سكنها على الأقل.

لم يتوقف (أمجد) عن التفكير فيها حتى عصر اليوم التالي، خرج واختار له موقعًا يقف فيه في منتصف الطريق بيْن البقالة وبين مسكنها، لم تلبث أن ظهرت فتاته من باب عمارتها وتلفتت كأنها تتوقع حضوره، ابتسمت في دلال وثقة لما رأته، وتظاهرت بأنها تعاين شيئًا في أزرار (الإنتركم) الخارجي ثم التفتت إليه بنظرة سريعة موحية ثم دخلت تاركة باب العمارة مفتوحًا. انتظر (أمجد) نصف دقيقة ثم دخل وراءها ليجدها تنتظره في ركن من المدخل، ابتلع ريقه الجاف من التوتر بصعوبة واقترب مبتسمًا

_ مساء الخير.

= مساء النور.

_ أنا (أمجد).

= وأنا (خيرية) !

_ ساكنة هنا؟

= أبويا حارس العقار الآخر الجديد المجاور للبقالة ونأتي هنا صباحًا أنا وأختي نقضي طلبات سكان هذه العمارة ونبيت هنا بالليل بعيد عن زحمة أسرتنا في الغرفة الضيقة هناك.

ـ إنتي حلوة جدًا يا خيرية.

قالها وهو يحدث نفسه: ما المشكلة؟ وهل سوف أخطبها؟ إنها صيد ثمين. هذه ستفرح بأي هدية مني بالذات لو كانت ثيابًا غير ثيابها هذه. وغرفتها هي وأختها ستوفر ملاذًا آمنًا لنا بعيدًا عن الرقباء.

انتشلته من تفكيره وهي تقول:

= إنت برضو ظريف وأمور. إنت بتشتغل؟

ـ لأ. أنا بعد نهاية أجازة الصيف دي هدخل نهائي كلية الهندسة.

= ما شاء الله، ويا ترى البشمهندس هيرضى يتجوز من ابنة حارس عقار؟

بهت (أمجد) للحظات وأخذ يحدث نفسه: أحا! هذه المتطلعة ترسم على زواج! لا بأس، دعني أرخي لها حبال العشم لعل هذه الثمرات الناضجة فوق شجرتها تسقط في حجري.

ـ كلنا ولاد تسعة يا (خيرية).

= إنت بتجاملني.

ـ أبدًا أبدًا.

ولم يستطع أن يقسم لها

ـ إنتي أحلى في عيوني من الأميرات.

= تعلملك أنا معايا شهادة ثانوية عامة ومجموعي يدخلني معهد خدمة اجتماعية لكن لما أحوالنا تستقر شوية... إحنا من عيلة محترمة وجدي كان عنده

أراضي ومواشي لكنه ضيعها على الحريم وعلى الزواج والخلفة الكتير، وأبويا أهمل تعليمه اعتمادًا على الميراث إللي ضاع معظمه قبل أن يأتي وما تبقى إتوزع فتافيت على أبويا وأعمامي التسعة.

_ مش قلت كلنا أولاد تسعة؟ أنا برضو من أصول ريفية.

= ولعلمك برضو ابن خالتي مهندس زيك في شركة غزل ونسيج.

_ ما شاء الله.

قالها (أمجد) بصبر نافد وهو يمانع نفسه من التقاط ثمرتي الرمان النابتتين فوق صدرها بكلتا يديه!

= اسمع: أختي ممكن تيجي فجأة أو حد من السكان ينزل، لازم تمشي دلوقتي.

_ طيب يبقى لازم أشوفك بعيد عن الشارع.

= كيف؟

_ بكرا.. إيه رأيك تقابليني على الكورنيش عند نادي المعلمين؟ قريب من هنا ومجرد عشر دقايق مشي.

= طيب تمام، في نفس الميعاد.

ثم أردفت مبتسمة

= أمشي بقا... أرجوك.

ابتعد (أمجد) خطوات ثم إلتفت لها وأرسل إليها قبلة في الهواء، فأحمرت

وجناتها وردت عليه بقبلة خافتة وهي تنظر إلى الأرض.

لا يدري (أمجد) لماذا ذكرته قبلتها الهوائية هذه بقبلة (سمر) أيام الابتدائي... ياه أبعد كل هذه السنين تذكر (سمر)؟ هل لو قابلتها – في الجامعة مثلا – ستذكرها وتعرفها؟

وفي الصباح خرج (أمجد) واشترى لها طاقمًا من الثياب كهدية، إن خيرية لو أصلحت من ثيابها – وغيرت اسمها – لطاولت بنات الحي الراقي هنا بأنوثتها المتفجرة. في البداية تمنعت خيرية عن قبول هديته، لكنها في الحقيقة فرحت بها فلقد أجاد (أمجد) اختيار ما كانت بحاجة إليه فعلا، وفي اللقاء التالى حرصت (خيرية) على ارتداء هديته وأبدت دهشتها له: كيف استطعت تخمين مقاسي؟، وبالطبع لم يقل لها إنه انتقى الثياب على مقاس البائعة التي كانت تقاربها في الحجم! هنا استطاع (أمجد) أن يصطحبها للكافيه بدلا من التسكع على الكورنيش لساعتين كما في اللقاء الأول، في البداية كان متوجسًا أن تأتي هي بأي تصرف عفوي أو لفظ شعبي يحرجه بين الناس، لكن إدمان مشاهدة الأفلام والمسلسلات عند البنات كفاه مؤنة ذلك خصوصًا وأنها على قدر من التعليم... هل تقلد السينما الواقع؟ أم نحن الذين نقلدها ونتعلم منها؟

و في اللقاءين لم تكف هي عن الحديث عن أحلام الزواج وفي المقابل لم يكف (أمجد) عن اقتناص أية فرصة للتغزل بجمالها، لكنه حرص على التدرج من الغزل الخفيف إلى الغزل الصريح، وفي مقابل غزله حرصت (خيرية) على إجابة

كل كلمة غزل منه بجملة مكررة لا تتغير:

= كل ده هيكون ملك إيديك ورهن إشارتك لما نتجوز.

وأثناء عودتهما حرص (أمجد) على تعقبها إلى عمارتها وقد فاضت به عواطفه، وبعد دقيقة من دخولها دلف وراءها

= (أمجد)! بتعمل إيه هنا؟

_ وحشتيني يا (خيرية).

أجابت بدلال: لحقت أوحشك؟

_ إنتي بتوحشيني لو غمضت عيني عنك وإنتي معايا.

= يا حبيبي!

_ بجد بتحبيني زي ما بحبك؟

طأطأت رأسها في خجل وقالت

= طبعًا يا روحي.

اقترب (أمجد) منها في بطء وهو يرخي أهداب عينيه حتى التقط كتفيها بكفيه وهمس في نعومة

_ خيرية...

= لا لا يا (أمجد) مش قبل الزواج.

_ إن كنتِ تطيقين عني صبرًا فقد استودعت منك الصبرا.

هكذا قالها بالفصحى، ثم مال بشفتيه على خدها يلثمه

= أرجوك يا (أمجد)... بلاش.

لم يضيع (أمجد) فرصته واقترب بجسده أكثر حتى احتضنها والتفت بشفتيه إلى شفتيها، قاومت هي لكن بتمنع الراغبة فلم تدفعه عن أحضانها بل اكتفت بهروب شفتيها من شفتيه أن تلتقطهما؛ لتسقط قبلاته هنا وهناك على صفحة وجهها. لم تتخلف يداه عن المشاركة فملست على كتفيها ثم مالت إلى ظهرها نزولا بلمساتها حتى وصلت الى عجيزتها، هنا فقط بدأت خيرية في التملص من أحضانه بعد أن تخطى الحد الذي رسمته له، فلم يزده تملصها إلا تشبثًا بأردافها، لكن... هل هذا هو طعم القبلات؟ لماذا لا يشعر حتى بربع الإثارة التي كان يتخيلها؟ لقد كان يتصور أنه بمجرد اقترابه منها ستنتشي هرموناته وتستيقظ مدفعيته! لكن شيئًا لم يتحرك، حتى عندما التقطت يداه بروزات تضاريسها: أهذا هو ملمس الأرداف؟هل هذا هو الإحساس عند اعتصار الصدر؟ لا شئ! كيف؟ كيف يكون الخيال أو تكون المشاهدة السينمائية أمتع بكثير وأكثر إثارة من مواقعة الطبيعة؟ وفي وسط كل هذا وجد عقله يتساءل: هل تقلد السينما واقعنا أم تلهب خيالنا وعواطفنا؟ فما لبث غير دقيقة حتى بردت دماؤه عنها وزهدت نفسه فيما كان يصنع...

= إيه إللي إنت عملته ده يا (أمجد)؟ فاكرني إيه؟

هكذا صاحت فيه مستنكرة.

ـ كاد يفرط لسانه قائلا: بلا نيلة!.. لكنه تدارك نفسه وقال

_ أنا آسف، لم أستطع كبح نفسي، اعذريني لم أتمالك عواطفي.

= عواطفنا ممكن تتسامح في قبلة أو حضن، لكن ما عملته لا أتسامح فيه إلا لرجل واحد فقط.

هز رأسه بالموافقة ممتعضًا ثم ولى منصرفًا دون أن يزيد بحرف، ومضى وهو يحدث نفسه... أرأيت ما صنعت بنفسك؟ ابنة حارس العقار تلقي عليك دروسًا وأنت أمامها كالتلميذ الخائب، وحتى المتعة لم تستمتع... صحيح: لماذا لم أشعر بأي شئ وأنا من كنت أتلهف على قبلة واحدة منها؟ والآن كنت أعتصر مفاتنها وكأنني أعتصر وسادتي! هل لأن ملابسها حالت بيني وبين حرارة ملمسها؟ ألهذه الدرجة يحجب الملبس حرارة الملمس؟ لا بد أن أكتشف ذلك عمليًا!

خلال لقاءات تالية طيب (أمجد) خواطر (خيرية)، وصبر على ارتداء قناع الرومانسية، وتعمد الاكتفاء بتقبيل يدها في لقاءات بير السلم، حتى استكانت له مع الوقت ومكنته من صحن خدها وما لبث غير قليل حتى انزلقت شفتاه من خدها إلى شفتيها في قبلات خاطفة في البداية ورويدًا رويدًا طالت مدتها وزادت حرارتها، حتى وصل إلى اللحظة التي كان يتمناها، لحظة أن تتحرك أحاسيسها نحوه فتبادله حرارة بحرارة وتلتهم هي شفتيه عن رغبة، ولعبت وقتها كل الظروف في صالحه، إذ سحبها برفق إلى داخل غرفتها الخالية من وجود أختها، فسألته بصوت ضعيف مرتعش:

= ماذا؟

_ أخاف أن يفاجئنا أحد من السكان وإحنا هيمانين ولا نشعر.

قالها وعاود بسرعة ارتشاف رضابها قبل أن تبرد منه، فما لبثت أن احتضنته بقوة، فمد يده برفق إلى أن لامس ظهرها.. أخيرًا أتى الصبر بثماره وزال ستار الملبس عن الملمس وها هي يده تسرح في محيط ظهرها بلا حائل، لكن... لماذا لا يشعر بفارق يذكر؟ صحيح أن ملمس الجلد أكثر حرارة لكن ملمس الثياب أكثر نعومة، هل بشرتها خشنة؟ أبدًا إنها عادية كملمس يدها أو ملمس يد أي فتاةٍ صافحها، ألم يكن من المفترض أن يشعر الآن بإثارة كاملة تكاد تفجر ماء الحب منه؟ ربما لأنه لم يصل إلى الأماكن الأكثر إثارة، فاحتال حتى امتدت يدهَ رويدًا إلى صدرها فتمنعت في البداية ثم استكانت شريطة ألا ينزع عنهما ما يأويهما، ارتفعت حرارته لحظات ثم بردت بسرعة مصحوبة بهبوط حاد في مستوى التستوتسيرون عنده حتى أحس وكأنه يمسك صدر دجاجة مسلوقة، عبثًا حاول إعادة الأمور إلى نصابها، فاكتفى بالمزيد من القبلات الأقل حرارة ورويدًا رويدًا فضا اشتباك ذراعيهما.

نظرت له بطرف عينها مبتسمة وقالت وهي تهندم ثيابها:

= أخدت راحتك على الآخر وما حرمتكش من حاجة.

اغتصب ابتسامة وهو يقول مجاملا لها:

_ إنتِ أغلى حاجة عندي في الدنيا يا (خيرية)، ده أنا مهما يحصل بيننا

لا أشبع منك.

= لا لا يا (أمجد)، أنا مش عارفة أنا وافقت وتركت نفسي إزاي كده، لولا حبي لك ما كنت حتى سيبتك تبوسني.

_ وأنا عارف يا حياتي ولولا إني بحبك برضو ما كنت..

قاطعته بأن وضعت إصبعها على فمه وقالت:

= إنت نفسك تعمل كده وأكتر من كده أول ما شفتني ومن قبل ما تلحق تحبني، أنتم يا شباب الحب عندكم جنس وبس وبتضحكوا علينا بكلمة بحبك لحد ما تنالوا المراد.

تظاهر (أمجد) بنبرات الصدق في صوته وقال:

_ أوعي تقولي كده، أنا بحبك بجد يا خيرية.

= يبقى تطمن قلبي من ناحيتك وتخطبني.

نزلت الكلمات على (أمجد) كالدش البارد، في حين أكملت هي قائلة:

= أنا بحبك وبدوب من لمسة إيديك وعايزة أدوب في حضنك من غير ما ضميري يؤنبني.

عبيطة هذه؟ أم صدقت نفسها؟ أم تصدق قصص الحب في أفلام الأبيض والأسود؟ هكذا خاطب (أمجد) نفسه.. هل تستغل ما تظنه من إثارتي بها؟ فما بالها لو أدركت أنني لم أثر بها أصلا رغم ما فعلناه..

= إيه؟ إنت سرحت في إيه.

ـ لا شئ، أنا معكِ.

= واضح أن كلامي مش عاجبك.

ـ أبدًا يا خيرية، لكن إنتِ مستعجلة ومش واخده بالك إني داخل على سنة البكالوريوس، إزاي أرتبط دلوقت؟

= أنا مقلتش نكتب الكتاب، أطلبني من أبويا، مجرد خطوبة تطمن بها قلبي وبعدها أنتظرك ولو عشر سنوات.

ثم ابتسمت في دلال وقالت في تغنج

= وبعد الخطوبة هطير عقلك باللي هتشوفه من حبي.

ـ أخاف أتعطل عن الدراسة وعقلي ينشغل وأنا في آخر سنة وأضيع مجهود خمس سنين.

= وهل مقابلاتنا دي مش هتشغلك عن الدراسة؟ واللي بنعمله ده مش هيشغل عقلك؟ دكتور (طارق) جاركم أبوه خطب له وهو في نهائي طب.

صمت (أمجد) وقد أعيته الحيل وخصوصًا وأن ذهنه كان مشوشًا أصلا مما أصابه من إحباط جنسي، فقالت هي:

= واضح إنك كنت بتتسلى بي وكلامك إن كلنا ولاد تسعة مجرد كلام.

ـ يا (خيرية) إفهمي، أهلي مش هيوافقوا إني أخطب دلوقت حتى ولو

كانت بنت وزير.

= خلاص، تعال لوحدك أربط كلام مع أهلي وهم هيفهموا ويقدروا إنك هتيجي إنت وأهلك رسمي بعد التخرج.

_ مش قادرة تصبري كام شهر؟

= وإنت مش قادر تجبر خاطري بزيارة واحدة لأهلي؟

فضل (أمجد) أن يعطي نفسه مساحة للمناورة ولاستجماع أفكاره للخروج من حالة الإحباط التي كانت أصلا مسيطرة عليه، فقال:

_ طيب أعطيني فرصة أفكر وأرتب أموري، الخطوة مش سهلة يا خيرية.

= خد وقتك وفي انتظار ردك بالإيجاب، غير كده أنا مش مستعدة أتمادى في عواطفي لحد ما ترفعني لسابع سما وفجأة تسيبني أقع لسابع أرض.

سكتت لحظات ثم أردفت

= إنت مش محتاج أفهمك إني ما فتحت لك أحضاني إلا لحبي لك، وإني أتمناك أكتر مما تتمناني، لكن أنا عايزة أريح ضميري ولا أخون أهلي.

_ طبعًا طبعًا.

هكذا تمتم وهو ينصرف عنها ليسرح في أفكاره: ابنة حارس العقار لا ترسم إلا للزواج وإنت مثل المغفل كنت تظن أنها تعلل ضميرها بكلام الحب كي ما نذوق الشهد سويًا ثم تختال هي على أترابها أنها أحبت وصاحبت مهندسًا...

ما هذا الحظ، أين حظي من حظ صديقي (حـازم): صـديقته الـتي تعـرف عليهـا مصادفة من المعهد المجاور لكليتنا سحبها إلى فراشه ببضعة كلمـات عـن الحـب ووعود باهتة بالزواج بعـد أن يجـد عمـلا بعـد تخرجـه بـل وبعـد أداء الخدمـة العسكرية! وعاش معهـا ليـالى وأيامًـا مـن الجنـون، ولـولا تماسـكه لاسـتجاب لضعفها وإلحاحها عليه ذات مرة بأن يقطف عذريتها..

= أبوها جزار يا عم ولـو قفطـت زهرتهـا فعلـي أن أختـار بـين التـورط في الزواج منها وبين أن أتحول إلى كباب بتلو!

_ وهل ستفضح نفسها؟ ستخاف أن يقتلها أبوها.

= بالعكس! إنت طيب زيادة عن اللزوم، لـو قطفـت عـذريتها ورفـضت أن أتزوجها ستذهب لأهلها وتبكي لهم ذلك الذئب الذي وعدها بالزواج وخلا بها، ستأخذ هي علقة محترمة لكن لن يقتلها أبوها مخافة الفضيحة ومخافة المساءلة القانونية، وسيجبرونني علـى الـزواج منهـا، هـذه الآن وسـيلة بعـض الفتيـات الوقحات لتوريط العرسان!

* * *

يا له من حظ! دع عنك طموحات (خيرية)، مـا هـذا الـذي حـدث معـي؟ كيف لم أشعر بأي فارق يذكر؟ كنت أتعلل بحوائل ملابسها أول مـرة، فمـا هـي العلة الآن؟ أين ما كنت أسمعه من قصص مـشابهة يغـرق فيهـا الـشاب ملابـسه الداخلية؟ هل ملمس جلد كل الفتيات كملمس (خيرية)؟ كم فتاة يجب أن أعاين

وأختبر حتى أعرف حقيقة طعم النساء؟

وفي المساء وبعد أن هدأت خواطره وأسئلته آوى إلى فراشه واستعاد لحظاته في أحضان (خيرية)، وفي أقل من دقيقة تنبهت حواسه واشتدت إثارته بها وما لبث أن أاغرق ملابسه! نظر إلى وسادته في إمتنان فكأنها هي خيرية بل أحلى منها وأكثر حضورًا معه وإشباعًا له، ثم علل نفسه بأن ألقى لائمته على (خيرية) نفسها؛ فبشرتها ليست تامة النعومة، كما أن جو غرفتها قد أعطاه إحساسًا بالتوتر مخافة أن يدخل عليهما أحد.

و في اليوم التالى اصطدمت سيارته بأخرى وانكسر أحد المصابيح الأمامية فأحس أن ذلك عقاب إلهي له على ما فعله مع (خيرية) وتحذير له من التمادي في علاقته معها ومحاولة خداعها. الغريب أنه زهدها تمامًا بعد ذلك فلم تعد حتى فتاة خيالاته السرية. وكأنما صدت نفسه تمامًا عن أي شبق بالنساء والتفت إلى دروسه تمامًا، ولم يفلح ظل أي أنثى في التشويش على زهده هذا، فما هو الفارق بين ظل أي أنثى وبين (خيرية)؟ إنها أجمل وأكثر أنوثة وإثارة، وحتى من تضاهيها في أنوثتها فلن يختلف طعمها عن طعم (خيرية) والذي لم يشبعه أصلا... وفي الأحلام متسع لهن جميعًا!

* * *

حملت له الشهور الأولى التي تلت تخرجه في الجامعة عدة مفاجآت ما بين سارٍ ومحزن، لكنها تآزرت مع بعضها في إنعاشه ماديًا بشكل كبير ورفعته

من فئة المتيسرين ماديًا إلى فئة المقتدرين، فقد توفي والده إثر أزمة قلبية مفاجئة، وتماسك هو ووالدته وأخته الأكبر منه في مواجهة مصابهم الجلل. وامتدت يد القدر مواسية له بقبول تعيينه في شركة أمريكية للتنقيب عن البترول والغاز في خليج السويس والصحراء الغربية، ساعده في ذلك تفوقه الدراسي وإتقانه اللغة الإنجليزية بلكنتها الأمريكية، ولم يخل الأمر بالطبع من بعض التوصيات من خاله ومن زوج عمته. وانسجم تمامًا مع نظام العمل: أسبوعان في الموقع يعقبهما أسبوعان للراحة.

ساعدته طبيعته غير الاجتماعية وقدرته على بذل المجهود العالى على ألا يتذمر كثيرًا من إسبوعي العمل الشاقين، صحيح أنه في أسابيعه الأولى في العمل كاد أن يرفع الراية ويترك الشركة بسبب العمل الشاق المتواصل أحيانًا لمدة 14 ساعة في لهيب الحر القائظ ومن إمكانية إيقاظه بعدها في أي وقت لدواعي العمل حتى ولو لم يكن بدنه قد أخذ ولو قسطًا من راحته المطلوبة، إلا أنه وبعد أن عاد إلى الإسكندرية في أول أيام أجازته ونام لقرابة يوم كامل، صحا بعدها ليدرك متعة إسبوعي الراحة.

ولم يشغل باله كثيرًا ما كان يشتكيه زملاؤه الأقدم منه في العمل من عزلتهم عن أسرهم طوال أسابيع العمل وقضاء كثير من أيام الأعياد في مواقع العمل بعيدًا عنهم، فهو لا يزال أعزبًا كما أنه قليل العلاقات الاجتماعية أصلا حتى يهتم بهذه الأمور. أما إرهاق العمل فلا بأس من التضحية إذن بإسبوعين

من الأشغال شاقة وعدم انتظام ساعات النوم في سبيل إسبوعين آخرين من الراحة يصنع خلالهما ما يشاء من رياضة أو هواية أو سفر يكون خلالهما جيبه ممتلئ بالنقود.

ولم تكتف يد القدر بمواساته براتب الوظيفة المجزي وإنما واسته — هو وأسرته — بميراث أبيهم... الفيلا الموجودة في (برج العرب) التي كان يصر والده على الاحتفاظ بها وكانوا لا يزورونها إلا لإثبات وجودهم فيها، وكان هو لا يرى لها فائدة سوى أن يحلم بأنه حفر تحتها ليجد كنزه! ؛ هذه الفيلا تطلب إحدى شركات الاستثمار شراءها منهم كي تكون مقرًا إداريًا لها، وهكذا وجد (أمجد) نفسه وفي خلال سنة واحدة من تخرجه الجامعي يمتلك حسابًا بنكيًا يجاوز المليون جنيه بجوار راتبه الكبير من شركة البترول الأمريكية.

ماذا ينقصك يا (أمجد) كي تتزوج؟ هكذا خاطبته والدته وسألته أخته.. ينقصني؟ أهم شئ.. العروس!

الحقيقة أن (أمجد) لم يكن ينتوي أن يتزوج بهذه السرعة، لماذا يكبل نفسه بأصفاد الزواج ومسئولياته في هذه السن المبكرة؟ لماذا يحرم نفسه من التمتع بالدنيا التي كان يكتفي بالتفرج عليها؟ لا بأس إن ساقت له الأقدار العروس التي تبهره.. لا تنازل عن أن تبهره، وهو يظن في نفسه ما يبهر أي عروس! الطيبات للطيبين.. فقط المبهرات منهن للمبهرين، وحتى ذلك الحين فليعوض حرمان السنين.

باع (أمجد) سيارته التي صاحبته سنوات الجامعة ودفع ثمنها مقدمًا لسيارة حديثة يدفع أقساطها من راتبه، وأنفق بسخاء على ثيابه، وبذلك اكتملت له الصورة التي تصورها مبهرة في خياله: شاب وسيم يرتدي ثيابًا فاخرة في سيارة حديثة، يا لها من صورة ستذيب قلوب الفتيات. لكنه لم يكن أبدًا ليصطاد بائعات الهوى، لا يتخيل نفسه أبدًا يجوب الشوارع بسيارته أو يرتاد ملاهي الليل في اصطياد جسدٍ للبيع، (أنا لا أدفع مقابل الجنس) هكذا كان شعاره، (و لماذا أدفع؟ ماذا ينقصني كي أصاحب الجميلات؟ ليس بخلا فأنا على استعداد لأن أنفق على صديقتي هذه هدايا وفسح أضعاف ما قد تناله فتاة ليل، حتى وإن لم أنل من صديقتي هذه قبلة واحدة! تكفيني متعة الصحوبية، وقد أنال منها في لحظات الصفاء متعة الجسد أو بعض متعة، أما أن أشتري المتعة ممن تقلبت بين أفخاذ المشترين؟ فلا وألف لا)... هكذا ملأ هذا المبدأ وجدانه. وحتى في المرة التي جاءته فيها من تعرض عليه بضاعتها:

= هاي.

_ هاي أنا (أمجد).

= إزيك يا (أمجد) أنا (سالي).

_ اسمك حلو يا (سالى).

= ميرسي يا حياتي! دي عربيتك يا (أمجد)؟

إيه حياتي دي؟ هكذا حدّث نفسه وهو يقول:

_ أيوه.

= حلوة زيك، ويا ترى شقتك حلوة زي عربيتك؟

_ عندي شقة في المعمورة حلوة جدًا، مش برضى أأجرها أو حتى أسيبها لحد من أصحابي.

= ههههه أومال بتعمل فيها إيه يا خلبوص؟

_ تعالى وإنتي تشوفي بنفسك.

= اها، لكن مش على بيات.

قالتها وهي تنظر إليه بخبث، أما هو فدق قلبه في عنف وهو يقول:

_ أوك.

= وشكلك كريم ومش هتفاصل معايا.

_ أفاصل؟! في إيه؟

= في الفلوس طبعًا.

بهت (أمجد)، فلم تكن هيئتها ولا طريقة كلامها تدل على أنها كذلك، وها هو أمام من لم يكن يتخيل أن يحتك بهن أبدًا، فانطفأت رغبته فيها في لحظة وتغيرت نبرة صوته وملامح وجهه إلى ما يشبه التحدي وهو يقول:

_ وأدفع ليه؟ إنتي هتنبسطي زي ما أنا هنبسط بالضبط.

قالها وكأنه يلقن كل فتيات الليل درسًا في وجهة نظره في الجنس، أما هي

فقالت وهي تضحك:

= يا سيدي اعتبرهم هدية.

_ وهو فيه حد بيطلب الهدية؟ ثم إن وجودي معاكي هدية في حد ذاته.

تجهم وجه الفتاة ونفد صبرها فقالت:

= إنت مغرور قوي وشكلك خام!

و هكذا بادرته بأكثر كلمة يبغضها في حياته (ولد خام)، فاحتد في وجهها وقال:

_ سيبنالك الخبرة يا صديقة الطلبة ومريحة الرجال.

و هنا أدرك (أمجد) أنه إنسان خام فعلا بعد أن وضع نفسه في مرمى نيران من ليست لديها كرامة لتخسرها! فقد انقلب ذلك الفم المتغنج إلى حنفية للردح المصحوب بالاستغاثة من هذا الذي يحاول الاعتداء عليها، فانطلق (أمجد) هاربًا بما تبقى من كرامته خشية أن تبعثر على يد المارة الذين بدأوا في التجمع ولم يمنعه هروبه من سماع بعض رذاذ كلماتهم:

= أصل أمه اللي شارية له العربية من عرقها!

و مضى (أمجد) وعقله لا يكف عن محادثة نفسه:

_ هذه عاقبة الانحراف يا (أمجد)، بعثرت كرامتك وجلبت السباب لأمك من حثالة لا يطمع أحدهم أن يعمل ساعيًا في شركتك التي تعمل بها.

_ أي انحراف؟ لقد كنت ألقنها درسًا وأواجهها بخسيس حقيقتها.

_ لكنك كنت تتمنى مضاجعتها لولا أن فاجأتك حقيقتها، لقد عاقبك الله في لحظتها.

_ فما بال غيري من الشباب الذين يصبحون في أحضان صاحبة ويبيتون على افتراش مومس؟

_ لعل الله يصد عنك أبواب الحرام، تزوج يا (أمجد).

_ وهل صادفت من تملأ عيني بحسنها ولم أتزوجها؟

_ كن أمينًا مع نفسك، لقد جاءتك أمك وأختك بل ومعارف الأسرة بمن هن أجمل ممن سعيت لصحبتهن.

_ الصحوبية يمكن التخلص منها في لحظة، أما الزواج فقيد وقفص إن لم تعشقه هدمته.

بالله عليك أيها الحب، ما هو طعمك؟ ما هي أعراضك؟ كيف أجدك أصلا؟ كيف ألتقيك وأنا من بعد سنوات الجامعة في محيط ذكوري بحت، ما هذا الحظ الذكر!

لقد جاءني المعارف بأكثر من عشرين عروس لم ترق لي منهن إلا فتاتان، واحدة منهما لم تكن تعلم بالأمر قبل أن تذهب للمقابلة المدبرة فغضبت وأخذتها العزة بالرفض، والثانية لم يرق لها نظام عملي وطالبتني بالبحث عن غيره في الإسكندرية! وكأن سماء الإسكندرية تمطر فرص عمل بربع راتبي الذي

أتقاضاه، تبًا للجميلات المدللات. أما الباقيات فتبًا أيضًا!.. كل من يأتيني بعروس إنما يأتيني بمن يهمه أمرها ويتمنى لها الزواج ولا يلتفت لطلباتي التي أذكرها له، كأنني أتكلم مع تمثال، فإذا لمته بعدها ولفتُ نظره إلى أنها غير ما كنت أطلبه تمامًا ابتسم في بلاهة وقال:

= أنا قلت يمكن لما تشوفها تعجبك وتنسى طلباتك.

الغريب أنهم يبتسمون جميعًا نفس الابتسامة ويجيبون نفس الإجابة.. كأنها مؤامرة!، لن أذهب لرؤية أي عروس إلا أن يأتيني بها من أكون أنا أقرب إليه منها ويهمه أمري أكثر من أن يهمه أمرها.

هكذا حدّث نفسه وأخذ قراره...

* * *

وطوال عامين أو أكثر دارت وتيرة حياته ما بين أسبوعي العمل المنقطع عن الدنيا وبين أسبوعي الراحة يقضيهما بين الأهل والأصدقاء القليلين ولقاءات مباريات الشطرنج ومع بعض المتعة في الذهاب إلى السينما ولو وحيدًا أو التردد على النادي أو الكافيهات، ولا يخلو الأمر من سفر هنا أو مصيف هناك، الشئ المشترك في كل هذه الفعاليات هو جفاف العنصر الأنثوي فيه. فحتى لو صادفته من تعجبه اكتفى بتسديد نظراته إليها، فإذا بادلته نظرة بنظرة دارت عجلة أفكاره بطريقة آلية يحكمها كل ما مر عليه من تجارب وما استقر في وجدانه من مفاهيم، من أول ما أجملها.. كيف هو طعمها؟ مرورًا بكيف السبيل إليها؟

وكيف سيكون رد فعلها إن حاولت أن أكلمها؟ وصولا إلى ماذا أريد منها بالضبط؟ زواج، علاقة، صداقة؟، ويظل هكذا يدور في دوامة أفكاره مكتفيًا بالمزيد من النظرات أو العبث بمفتاح سيارته كأنما يستعرضها، وأحيانًا يتمنى لو بادرته هي بالكلام فالشاب لا يُحرج فتاةً تبادره بالحديث بينما يحدث العكس كثيرًا وهو الشئ الذي لن يطيقه (أمجد). ويظل هكذا في دوامة أفكاره إلى أن تنصرف الفتاة تاركة إياه في حسرة يتساءل: لماذا لم يحدث أبدًا أن بادرتني فتاة بالحديث وهو ما حدث مع بعض أصدقائي ممن أفوقهم شكلا ومالا؟

عاشقه وغلبانه للأسف

قطعت وتيرة أيامه هذه عروس جاءه بها خالـه... (مهـا)؛ فتـاة شـقراء، حين تعلم أنها مصرية تتساءل فورًا: هـل أصولها تركيـة أم شـامية؟ خـضراء العينين، شعرها ناعم مسترسل، أنفها مدبب للأمـام قلـيلا كأنهـا فتـاة ألمانيـة، تكون أجمل حين لا تبتسم مظهرة لثتها. انبهر بملامحها الشقراء ولم يتوقف كثيرًا عند الامتلاء البسيط الذي في قوامها فهذه هي الطبيعة الغالبة على الجسد المصري.

= هي بس تلعب رياضة وتخس شوية وهي تبقى زي الموديلز.

هكذا قالت له أمه وأخته

تحادثا فوجدها فتاة خجولة رومانسية، من بيـت محـافظ وتربيـة بـيتي بامتياز. تعارفا أكثر فوجدها أطيب مما كـان يتـصور، ولم يكـن بحاجـة لكـثير فطنة كي يدرك أنها أعجبت به.

= هاه يا (أمجد) ما رأيك؟ بنت مثل القمر.

_ هي جميلة فعلا يا ماما، لكن قوامها..

= ماله قوامها؟ البنت لا مليانة ولا نحيفة، مثل طلبك بالضبط.

_ أقصد رشاقة القوام... جمال القوام.

= البنت قوامها لا غبار عليه، بطل بطر.

_ أنا لا أقصد أن قوامها معيب، لكن أقصد...

و لم يتمكن من أن يصارح أمه بالمفاتن التي يتمناها كروية الاستدارة.

_ أقصد أن فيه بنات قوامها أجمل وأكثر فتنة.

= كفاية بطر يا (أمجد): البنت لفتت بجمال ملامحها ونعومة شعرها كل اللي كانوا في النادي، النساء قبل الرجال، ثم إن القوام بينقلب بعد الزواج عند كل البنات في مصر، بالذات بعد الولادة، على رأي المثل الريفي (ما تنعرف البضاعة إلا بعد الحمل والرضاعة)... لكن الوجه الجميل يظل جميلا.. (أمجد) يا ابني: في الزواج ما هو أهم من الجمال، مثل الطباع و..

قاطعها قائلا:

_ أنا لا أقول إني أرفضها، أنا فقط أقول اللي في بالى.

= أنا شايفاها بنت ممتازة وأهلها كأنهم مننا.

هز رأسه وقال: على خير بإذن الله.

ولأن الأسرتين متقاربتان في كل الظروف المادية والاجتماعية والتعليمية فقد سارت الأمور في مسارها السلس، وسرعان ما حددا ميعادًا لحفل الخطبة يكون في القريب العاجل. وبدأ (أمجد) و(مها) يتحادثان هاتفيًا، كلٌ يحكي في البداية عن نفسه وأهله وحياته ثم عن حاضره وعن أحلامه، ولم يمض إلا وقت قصير حتى تحولت دفة الحديث تحولاً عاطفيًا. كانت (مها) طاقة من العواطف الرومانسية المكبوتة وانفجرت بغير رفق ولا تمهل.. عاجلته بحبها وبثته

عواطفها متدفقة كالنهر الثائر. لم تمنحه فرصة أن يفكر بروية في ملائمة كلٌ منهما للآخر، بل انجرفت دفة الحديث إلى الحب والمشاعر تحت وطأة وإلحاح عواطفها المخزونة طوال سنوات في انتظار فارس الأحلام، كانت تلقائية صادقة جياشة وغير متروية، لا تجيد فنون الفتيات في المداراة وإظهار عواطفهن بحساب. كان كل ما فيها يرقص حوله طربًا، قلبها يرقص وعيناها تتراقص وتلمع وهي تنظر إليه وصوتها يرقص حبًا وهي تحادثه، فما كانت حيلته إلا أن يتراقص هو الآخر؟ بادلها كلمات الحب والغرام التي لم تخرج أبدًا عن نطاق المشاعر العذرية، حتى أحبا الحب ذاته، عشقا ما كان يخرج من شفتيهما من كلمات حب، كان بداخل كل منهما مخزون عاطفي متراكم ثم قرر كلٌ منهما أن يمنحه للآخر بغير حساب. دارت مكالماتهما حول هذا المحور دون أن يتريثا في اختبار صدق مشاعرهما. الحقيقة أنها أحبته هي بصدق بينما أحب هو دوامة العواطف التي ألقته فيها.

* * *

فإذا ما فترا قليلاً عن أحاديث الحب تكلما – أو بمعنى أصح تكلمت هي – عن أحلام عش الزواج. كانت هي من ذلك الصنف من بنات الطبقة الميسورة اللاتي يهتممن بتفاصيل تفاصيل البيت من زينة وزخارف وديكور، تفاصيل الأثاث والستائر والسجاد والمفروشات والفضيات والكريستالات إلخ، واضطر لأن يتناقش في كلمات هو اصلاً لم يسمع بها من قبل إلا عرضًا: شنواه، أوبيسون،

لوي كانز، سيرما، بوهيميا، جوبلان، براقع، بلتكانات، برجير، أويما، ميركتريه، بانتير، توال، مط وهاف مط، فينو إنجليزي وفينو فرنساوي، وأنها تحب السجاد الكاشان والأصفهان والشيراز لكنها لا تحب نقشة التبريز، وقتها فقط عرف إحساس الجهل المركب! وكما عرفت يده طريق كتب أشعار الغزل وقصص الغرام كي يقتبس منها، فقد عرفت يده أيضًا طريق مجلات الديكور.

* * *

لم يجرؤ (أمجد) على التجاوز في الكلام مع (مها) وانعقد لسانه حتى عن التلميحات الجنسية الخفيفة، كانت مشاعرها غضة بريئة لا تناسب فتاة في الحادية والعشرين ربيعًا، بل كانت أشبه بفتاة في الرابعة عشر من صباها الغض تستحي أن تفض بكارة مشاعرها البريئة، الحقيقة أن (أمجد) فوق ذلك لم يكن يتخيلها إلا زوجة، فاستحضر ذهنه لا إراديًا كل أصول الاحترام والأدب التي ينبغي عليه كشاب شرقي محافظ أن يعامل بها زوجة المستقبل. ليس هو في ذلك بدعًا من الشباب، فحتى صديقه اللعوب (حازم) هو وأصدقاؤه المنفلتون مثله، الصديقة عندهم شئ والصاحبة شئ آخر أما الخطيبة فشئ ثالث مختلف، اللسان الذي يجيد فنون الإغواء ينقلب لسانًا عفًّا محافظًا عندما يحادث خطيبته، ازدواج أخلاقي.. فصام جماعي.. خداع للنفس، أيًّا ما كان لكنها حقيقة الكثير من الشباب وقتئذ، يخاطب صاحبته بما يتمنى الحصول عليه ويخاطب خطيبته بما يتمناها أن تكون عليه، ويتحاشى التفكير في أن خطيبته اليوم ربما كانت

صاحبة غيره في يوم ما ! لعل هذا هو السبب الذي دفع (حازم) يوم أن قرر الخطبة أن يختار فتاة عادية الجمال لكنها من أسرة محافظة ذات أصول ريفية؛ فديون (حازم) من الأعراض كانت كثيرة!

* * *

الحقيقة أن (مها) كانت فتاة خام جدًا بل أقرب إلى الطيبة والسذاجة، فلم تتورع يومًا أن تصارح (أمجد) أنها أحبت في مراهقتها جارًا في السكن القديم لهم، وكيف أنه جاراها في مشاعرها ثم ما لبث أن هجم عليها محاولاً احتضانها وتقبيلها، فجفلت منه وارتاعت وتركته غير نادمة. وحكت له ذات مرة وهي مصدومة كيف أن إحدى صديقاتها أسلمت شفتيها لخطيبها بعد حفل الخطبة..

= ماذا – لا قدر الله – لو فسخت خطبتهما يا (أمجد)؟ إنها وإن ظلت بكرًا فهي لم تعد عذراء الأحضان والشفاه!

* * *

لا يتذكر (أمجد) من هو بالضبط صاحب اقتراح التعجيل بكتب الكتاب، لكن الاقتراح لاقى قبولا جماعيًا برغم أن الاتفاق كان ألا يتم الزفاف إلا بعد أن تنهي (مها) عامها الجامعي الأخير في كلية الآداب، وفي حفل الخطبة تألقت (مها) ببشرتها الوردية في فستانها الوردي الذي كشف عن ذراعيها وأجزاء من الصدر والظهر جاهد (أمجد) في جعلها أقل ما يمكن... غريب أمر فتيات بعض البيوت (المحافظة)، ينتقدن تصرفات وأزياء الفتيات المتحررات ثم يسعين إلى محاكاتهن في فساتين الخطوبة والزفاف المكشوفة بحجة أنها ليلة العمر!

رقصت (مها) ليلتها من قلبها كاليمامة العاشقة وكادت أن تطير مع أغنية (عاشقة وغلبانة) التي كانت فقرة ثابتة في زفة أي عروس في تلك الأيام، ورقص (أمجد) أيضًا ولكن كالطاووس المختال. كان – رغم سروره – لا يستطيع أن يغالب شعورًا غامضًا بالغربة، هل هذا حقًا هو حفل خطبتي؟ من هذه؟ هل هي فعلا نصيبي وزوجتي؟ هل تسرعنا في كتب الكتاب؟!

وفي الأيام التالية لحفل الخطبة سُمح لأمجد ومها بالخروج وحدهما، ولم يجد (أمجد) أي ممانعة عندها من تقبيلها واحتضانها، بل لعلها كانت أكثر شوقًا منه إلى ذلك. في البداية لم تسعفه جغرافيا المكان بأكثر من بضع قبلات وأحضان سريعة في خلوة صالون البيت أو مصعد العمارة، وبالطبع لن يعرض زوجته لشبهات حدائق المتنزه! ، لكن مكالمات الهاتف كانت أكثر سخونة وأشد جرأة، وما هي إلا أسابيع قليلة حتى وافقت – بعد تمنع هش – على أن تصحبه إلى شقة المعمورة، إنها زوجته حلاله، أما الشئ الوحيد الذي قد يكون ممنوعًا أو محرمًا عليهما فقد أقسما سويًا على ألا يقرباه إلا بعد الزفاف.

اصطحبها للتنزه هناك، وتناولا طعام الغداء في مطعم الأسماك المطل على الشاطئ، وأسمعها طوال الوقت أحلى كلمات الغزل كمقدمة تمهيدية يزيل بها إحساس التوتر المسيطر عليها كفتاة عذراء خجول ينتوي حبيبها الاختلاء بها بعد قليل. تجاذبت (مها) مشاعر متباينة ما بين حبها لأمجد ورغبتها الصادقة في إرضائه بل ورغبتها فيه كأنثى، وبين الخوف من التجربة الأولى حتى وإن لم

تكن مكتملة، وبين الحياء من التجرد أمام رجل حتى وإن كان حبيبها وزوجها، لكن الإحساس الأكبر الذي سيطر عليها كان إحساس الخوف من ألا يتمالكا نفسيهما عن الحنث بيمين حفظ العذرية. وتآزر الحب مع الرغبة وانتصرا على كل مشاعر الخوف التي برع (أمجد) في تخديرها بكلمات غزله، ووافقت (مها) على دعوة (أمجد) لها لمشاهدة شقته. ورغم خبرته المتواضعة فقد أدرك (أمجد) أنه يجب عليه ألا يبادر بشئ قبل أن يذيب الجليد أولاً ويستميل عواطفها ويستثير حواسها، فكثير من عذراوات التجارب يغيرن رأيهن في اللحظة الأخيرة، ولابد للأمور أن تسير بتدرج وسلاسة دون أن يقطعها أي حادث عارض سيعيدة لنقطة الصفر حتى ولو كان ذهاب أحدهما إلى دورة المياه! بل قد تعود الفتاة لنقطة الصفر من تلقاء نفسها لمجرد تفكير عارض يطرأ على عقلها، بل قد تغير رأيها من لا شئ وبدون أي أسباب، فعقلية المرأة متاهة حلزونية لا يفهمها الرجل مهما أو حاول أو ادعى، وإنما يكتفي الرجل الخبير بتعلم بعض فنون التعامل مع هذه المتاهة.

دار (أمجد) بها في أرجاء الشقة لتتفرج عليها ثم استقر بها في غرفة المعيشة وأدار شريط كاسيت به باقة من الأغاني الرومانسية، ثم سحبها للرقص على أغنية (الشاب خالد) الجديدة: عايشة، فأحس بها تحلق معه في سماء هذه الأغنية الحالمة، فلما تلتها أغنية (ضميني وإنسي الدنيا) استجابت من تلقاء نفسها بالكلمات وأكملت شفتاه ما بدأته أحضانها، واستفاض في ذلك حتى

ارتخت تمامًا بين ذراعيه، فبدأ في التعامل رويدًا رويدا مع أزرار وسحابات ثيابها، وكلما بدا منها ما كان مستورًا أمطره بقبلاته حتى طالت شفتاه أنحاء جسدها إلا قليلاً منه.

و ماذا بعد؟ أهذا هو طعم الجسد؟ لقد كان يظن أن يداه ستملس على بشرتها كما تنزلق الصابونة فوق سطح أملس مبلل، لماذا تبدو الأحلام أحلى من الحقيقة؟ طعم قبلات الجسد كلها واحد؛ ارتفعت أو انخفضت أو توسطت! يا للواقع المؤلم، أين الإثارة التي كانت تلهب خياله بها؟ بل أين الإثارة في هذا الجسد أصلاً؟ إن جسد (مها) فقير في منحنياته الأنثوية، ولا يعرف منحنى الكمنجة طريقه إلى خصرها، الفرق بين مقاس الخصر ومقاس الحوض أقرب إلى الصفر!

بل إن غرفة بير السلم مع (خيرية) كانت أقل إحباطًا من شقة المعمورة الفاخرة مع (مها).

_ لعلها ممتلئة قليلاً؟ هل إذا خسرت بعض الوزن عادت الكمنجة لتعزف لحن الإثارة والجمال؟ لا أظن، لقد صادفت على الشواطئ كمانجات رائعة وكانت أجسادهن أكثر منها إمتلاءً، أين كانت عيناك أيها المغفل؟ وأين كان عقلك حين أكدت لك عيناك من قبل أن هذا الصدر العارم هو في حقيقته مترهل ينظر إلى الأرض لولا أن ترفعه حمالاته، ما هذه الأرداف الصغيرة التي تفتقر إلى أي لمسة أنثوية؟

هكذا خاطب أمجد نفسه وهكذا كانت مها شقراء غنية في جمال الوجه منسدلة الشعر كالحرير لكنها بقوام فقير.

بدت خيبة الأمل في عيني (أمجد) وعلى ملامحه وفي لمسات يده حتى وإن جاهد في إخفاء ذلك وفي إرغام نفسه على المضي فيما بدأه كي لا يجرح أحاسيس (مها) التي فطنت بالطبع إلى تغيره ؛

= مالك يا أمجد؟

_ مالي؟

= فترت فجأة وبردت أحاسيسك.

_ أبدًا... أكيد هذا توتر المرة الأولى الذي يقولون عنه.

= وهل أعجبتك يا حبيبي؟

_ أكيد.. قالها وهو يتصنع الصدق فيها.. أنتي بيضاء كالقشدة وردية كالزهرة.

و كانت (مها) من الطيبة والسذاجة كي تصدق مجاملاته. تاق لسان (أمجد) إلى الخرس إحباطًا من التجربة، لكنه قاوم ذلك وافتعل الحديث معها في الموضوعات المعتادة بينهما، لكنه لم يقدر أبدًا أن يبادلها أحاديث الحب والغرام كسابق عهدهما، لم يطاوعه لسانهِ على تكذيب قلبه الذي تحطم إحباطًا على صخرة خيبة الأمل الجنسي. وفي طريق عودته إلى منزله بعد أن أوصلها إلى بيتها دار حواره تلقائيًا بينه وبين نفسه:

_ لماذا تحكم على هذه العلاقة بالإحباط الجنسي من محاولة واحدة؟ لعل هذا الحرملك الافتراضي الذي اعتاد خيالك أن يبيت فيه كل ليلة قد مسخ طابعك الجنسي.

_ ألم ترها وهي عارية يا رجل؟ إن جسدها لا يؤهلها حتى لدخول هذا الحرملك.

_ هذا لأنك قد صادمت خيالك بالواقع، ربطت الشهوة في عقلك بأيقونات جسدية لا تراها إلا من خلال كاميرات محترفي تصوير الإغراء.

_ من قال هذا؟ ألا تعرف المقام الرفيع الذي تحتله أبلة (أماني) في الحرملك؟ ألا تدرك ما تمثله (هبة) ابنة الأسرة الصديقة لأسرتنا من خيال قديم؟ إنهما وحدهما تحتلان نصف حلقات مسلسل النشوة الليلي.

_ هذا لأنك لم ترهما عاريتين أبدًا، ربما لو رأيت لصدمت من ترهل هنا أو سمنة هناك.

_ كأنك تزعم أن العري يذهب بالإغراء.

_ عادة! ، كم بيكيني رأيته على الحقيقة؟

_ كثيرًا جدًا، مصريًا وأجنبيًا وعربيًا. ألا تذكر (باكينام)؟

_ كم بيكيني منهن قد أخذت بعقلك؟ أليس أُقل القليل؟

_ المهم أنه موجود.

_ الأهم أنه نادر، ثم من قال لك أن هذا النادر ستنجح معه في الحقيقة

مثلما تشتهيه في خيالك الذي أدمنته؟

_ هذا القوام النادر هو وحده الذي يثيرني بين كل النساء.

_ وهذا الرأس الجميل فوق كتفي (مها) تحسدها عليه نساؤك اللاتي في الحرملك.

_ الجسد هو ما يغريني.

_ لأنك صببت خيالك في قالب الجسد وحده وحرمت نفسك من إدراك متعة الإغراء في نظرة عين ذات إيحاء أو في صفحة خد ناعمة تشتهيها القبلات أو في سلاسل شعر من حرير يطيرها الهواء فتطير معها القلوب.

إن (مها) الآن زوجتك وما تقوله معناه الطلاق، هل تعلم ما معنى الطلاق؟ ماذا صنعت هي لك كي تحطمها؟ غيّر قناعاتك، بدل مواطن إغرائك، أغلق هذا الحرملك وطلق نساءه طلاقًا بائنًا، واملأ خيالك بصور وجه (مها) المضئ كالبدر.. دمر عالمك الافتراضي قبل أن يدمر لك واقعك ومستقبلك.

ولشهر كامل أغلق (أمجد) مسرح خياله وأوقف تصوير كل مسلسلاته وألغى عقود بطلاته. وفي كل مرة كان يقابل (مها) كان لا يكف عن التملي بعينيه في وجهها ويكثر من العبث في خيوط الذهب الذي تسميه شعرها:

_ شقة المعمورة وحشتني!

= وأنا كمان..

قالتها وقد تخضب وجهها بحمرة الخجل وجاهدت في إخفاء توترها،

توتر فتاة تمتحن أنوثتها وجاذبيتها في ملحق امتحان حبيبها بعدما فشلت في امتحان الدور الأول حتى وإن زعم حبيبها لها النجاح. لكنها رادارات الأنثى التي لا تخيب مهما كانت الفتاة ساذجة!

لم يكن (أمجد) بأقل منها توترًا، يتوتر لفحولته التي هي قيد الاختبار، ويتوتر كلما فكر بأنه تسرع في عقد الزواج، ويتوتر كلما فكر في تبعات هذا التسرع، ويتوتر أكثر كلما خاطره عقله بأن ما هو فيه إنما هو ثمن خطيئة خيالاته السرية، ويزداد توتره كلما تذكر أن مِن أصدقائه وزملائه مَن غرق أكثر منه في بحر العادة السرية لكنهم لم يفشلوا مثلما فشل هو في الإحساس ب (خيرية) أو (مها). لكنه يذيب توتره بأن يتذكر من أثرنه من النساء بشدة لمجرد مشاهدتهن: لماذا لم يوقعني حظي العثر في إحداهن؟

و يطمئن خاطره بأن مزاعم أصدقائه هي من باب الفشر الذكوري المعتاد...

لكن:

_ ألا ترى حولك يا أمجد من تزوج من هي مثل مها في فقر جمال الجسد ولا تمتلك نصف جمال وجهها؟

_ حسنًا فالأذواق تختلف وأنا جبلت على حب الكمال في صفات الجمال.

_ ركز إذن في هذا الوجه الصبوح وأغرق في مواطن فتنته.

و فعلاً لم يلبث إلا قليلاً حتى شعر بإثارة حقيقية نحوها ورغبة قوية في خوض غبار جسدها، وتكفل رادار (مها) في التقاط إحساسه بها فبادلته رغبة

برغبة، وأحس بها وهي تذوب في أحضانه ويذوب توترها معها، وبدءا في التخفف من ملابسهما تدريجيًا وتناسبت حرارتهما المتصاعدة عكسيًا مع ما تبقى عليهما من ثياب حتى وصلا إلى مرحلة الزي الرسمي لشواطئ الكاريبي! فإذا بأمجد يخرج من سكرة الوجه إلى صدمة الجسد، وكادت الأمور تخرج من يديه فتحول ذهنه سريعًا وتلقائيًا للخيال ب(هبة) ثم بأبلة (أماني) ثم (خيرية) حتى ألقاه الخيال فجأة في أحضان ميس (نجوى) التي تذكرها فجأة بتنورتها وقبلاتها له، وإذا بها تعلق بأحضان أفكاره وممارسات خياله حتى تبللت (مها) منه! فانطفأت أضواء المسرح إيذانًا بالانصراف، لكن (مها) لم تكن قد استعدت للانصراف بعد فتشبثت بفصلٍ جديد، فرفق (أمجد) برغباتها وارتجل لها فصلا جديدًا من ممارسة المتعة يعلم الله كم جاهد نفسه على إكماله حتى استكفت منه.

بادرته بأحضان ملؤها الحب والامتنان وبادلها بأحضان ملؤها التساؤل:

هل هذا هو ما ينتظرني بعد الزفاف؟

= هاااه يا (أمجد) كأنني أطير فوق السحاب!!

هكذا قالت (مها) لتخرجه من أفكاره فاغتصب ابتسامة رضا وقال:

_ أحضاني هي سحاباتك فطيري بينهم كيف شئتِ.

فاحتضنته بشدة وقالت:

= كل هذه النشوة ونحن على البر، فكيف بعد الزفاف؟

_ شئ لا يوصف يا حبيبتي لكنه يحس.

و لم يلبث إلا دقيقة حتى قام مغادرًا الفراش

= رايح فين؟

_ لازم آخد دش.

ابتسمت وقال:

= اسمه شاور، وبعدين شاور إيه بس دلوقتي، خليك معايا شوية.

_ معلش يا (ماهي) الوقت سرقنا ولسه ما اشتريناش حاجة من اللي قلنا لأهلك إننا هنتأخر علشان نشتريها.

الحقيقة أنه كان يريد الانتهاء سريعًا من هذا الذي لم يستمتع به، وأثناء استحمامه طفرت دمعة صغيرة من عينه شعر بحرارتها وهي تنساب فوق خده ثم وهي تسقط فوق صدره، ولم يفلح شلال الماء المنساب فوق رأسه في إطفاء حرارتها. وضاعفت (مها) من عذاباته بنظرات الحب والامتنان التي ملأت عينيها وهي تنظر إليه بعد أن انتهى من غسله، حتى إذا همّا بالخروج من باب الشقة هوت (مها) فجأة إلى قدميه وطبعت قبلة دافئة عليها، فكأنها غرست سكينًا من وخز الضمير في قلبه، وهوى (أمجد) سريعًا يرفعها من الأرض.

* * *

عاد (أمجد) إلى موقع العمل وطوال أسبوعين لم يتوقف عن التفكير: هل هو الذي يفهم الجنس بشكل خاطئ؟ لو لم يكن قد رأى آلاف العاريات في الصور

وعلى الشواطئ لقال إن أجساد النساء كلهن كجسد (مهـا). فمـا بالـك والـشوارع تضج بالفتيات اللاتي تفـصّلهن الملابـس تفـصيلا، ألهـذا الـسبب ترتـدي (مهـا) ملابس واسعة رغم أنهـا غـير محجبـة؟ ألهـذا يقـول الـشيوخ إن الله أمـر المـرأة بالحجاب؟ كي لا تبور سوق نصف النساء؟ ماذا يفعل شباب الجماعات الدينيـة؟ إن الشاب منهم لا يرى من خطيبته إلا وجهها وكفيها، هل يكتفـي بـذلك؟ هـل يستطيعون فعلاً غض أبصارهم طوال الوقت فلا يؤثر فيهم لا بادي ولا ستريتش؟ هل يرسل أحدهم أمه أو أخته لزيارة عروسه كي تعـود إليـه واصـفةً منحنياتهـا له؟ مستحيل طبعًـا، ألم يتـزوج كـل أجـدادنا (عميـاني) لمجـرد تزكيـة الأم أو الأخت للعروس؟ تبًا للنساء وتبًا للشهوة وتبًا للزواج، لولا مخافة الندم لخصيت نفسي!! هكذا تمتم (أمجد).

و تذكر كلمات جارهم (طارق) الذي يكبره ببضع سنين والذي كان يعتـبره بمثابة الأخ الأكبر له:

= إياك يا أمجد أن تتزوج فتاة لجمالها، الأسرة وطباع الفتاة أهم شئ.

بماذا ستغني عنه طباعها إذا فـشل في لعبـة العـرايس؟ بالتأكيـد سـتنقلب عليه إلى نمرة شرسة.

إن طباع (مها) جميلة، صـحيح أن طيبتهـا تلامـس حـد الـسذاجة لكنهـا تحبني في صدق، دعني أقترب من عالمها أو بمعنى أصح فلأدخلها هي إلى عالمي، لنتصادق فالصداقة أدوم من الحب وأقوى، هنا فطن (أمجد) أن محـور حـديثهما

الذي انحصر في الديكور والأثاث قد انتهى تقريبًا باكتمال تأثيث المنزل، وكل أحاديث الحب العذري الذي فاضت به مكالماتهما قد خفتت تدريجيًا...

= أمجد إنت ليه مش بتقول كلام حب زي الأول؟

_ الحب العملي أحلى، وللا إيه رأيك؟

= بتكلم جد، الحب العملي ما يغنيش عن الكلام الحلو، إنت حبك ليا قل؟

_ لا طبعًا يا روحي، لكن محدش بيفضل يقول كلام غزل طول العمر.

= طول العمر إيه بس، ده إحنا مبقلناش سنة نعرف بعض، ثم أنا نفسي تفضل تحبني وتقول كلام حب طول عمرنا.

_ إنتي رومانسية قوي يا (مها).

= وهي الدنيا لزومها إيه من غير حب ورومانسية؟

رد وهو يهمس في شبق:

_ لزومها حاجات كتير.. شقة المعمورة مثلاً.

صاحت مبتسمةً في حياء وقد تخضبت بالخجل:

= يا خرابي عليك... إنت دماغك على طول كده؟

_ أصلك وحشتيني قوي، أسبوعين الأجازة الجايين نفسي أروح شقة المعمورة كل يوم.

كان (أمجد) صادقًا فيما يقول، ليس شهوة ب (مها) لكنه يريد حسم الأمور على بصيرة: أشتهيها أو لا أشتهيها تلك هي المسألة!

و طوال أسبوعي الأجازة كانا يخرجان يوميًا تقريبًا ويقضيان وقتًا طويلاً معًا، ولم يعر اهتمامًا لتلميحات والدها وتبرمه من هذا الوضع، حاول أن يدخل عالمها ويدخلها عالمه، فوجد أن (مها) خارج نطاق أمور البيت والأسرة تهتم تقريبًا باللاشئ! لا سياسة ولا رياضة ولا ثقافة ولا قراءة، تزهد تمامًا في أن تعمل وليست لديها هواية سوى التلفاز ومجلات المرأة والديكور، ولا تعرف عن أحلام المستقبل سوى أن تنجب ولدًا وبنتًا تدخلهما مدارس أمريكية ويناديان لهما (مام – داد) مثل الأطفال الأمريكان، فتكون الأسرة بذلك أسرة مميزة اجتماعيًا! وستربي للولد – الذي يفترض أن يرث جمال شعرها – شعره حتى ظهره، فإذا ما جرى الولد وتطاير شعره في الهواء وهو يصيح بالكلمات الإنجليزية بلكنة أمريكية متقنة أثار ذلك حسد واهتمام جميع من حولهم...

= واااو، هنبقى أسرة (إيليت) بجد يا (أمجد)!

حاول هو أن يجذبها لعالمه وحاولت هي أن تجاريه في أحاديثه لكنها كانت بالضبط مثل الجمهور الذي يتفاعل مع مسرحية؛ يضحك ويصفق أو يبكي ويستهجن، لكنه لا يشارك فعليًا في أحداث المسرحية.

و لم تكن زيارات شقة المعمورة تختلف كثيرًا عن سابقاتها سوى في تغيير بطلات أحلامه اللاتي يستعيض بهن عنها، حرص أشد الحرص على إبقائها عذراء حتى في المرة التي استبدت بها رغباتها وطلبت منه ألا ينتظرا الزفاف! وحرص أيضًا على تجنب أسباب الحمل المسروق! كان يتحاشى أي قيد فوق قيد

عقد الزواج.

لا متعة في جنس ولا مشاركة في حوار ولا اهتمامات مشتركة.. إن الطلاق على البر خير من أن تغرق المركب في عرض بحر الزواج ويغرق معها ذلك الطفل الجميل ذو الشعر الطويل واللكنة الأمريكية. ولكن؛ هل هكذا بلا مقدمات؟ يلقي يمين الطلاق هادمًا المعبد في لحظة؟ قد تنهار فيها (مها) وقد تصيب رأسه بعض شظايا المعبد من ردة فعل أهلها، ماذا سيقال عن هذا الطلاق المفاجئ وقد شارفت كل الاستعدادات على الانتهاء؟ لا بد من وضع كلمة الطلاق على لسانها هي، وإذا كانت طبيعة (مها) المستكينة وحبها الجارف لأمجد لا يبشران بحدوث ذلك؛ إذن لتوضع كلمة الطلاق في قلبها أو عقلها.

بدأ (أمجد) في الابتعاد عنها تدريجيًا، يباعد بين مكالماته ويكثر فيها الصمت

_ ألا تلاحظين يا (مها) أن كل أحاديثنا السابقة انصبت في حوارات الديكور والأثاث حتى إذا اكتملا لم يعد بيننا حوار؟

لم يعد (أمجد) يتجاوز عن هفواتها المتكررة كثيرًا بسبب سذاجتها، ولم يعد يجاريها في أحلامها عن الأطفال مدّعيًا أنه لا يريد الإنجاب سريعًا بعد الزواج. كان طبيعيًا أن تفطن مها وتفطن الأسرتان إلى هذا التغيير، لكن الشباب ماهرون في اختلاق الأعذار وتعليقها في رقاب الفتيات. وبدأت مرحلة النصائح وكيف، أن كل المخطوبين يواجهون المشاكل والخلافات. ثم جاءت مرحلة السحر

و: أنتم ممول ليكم عمل... ولاقى هذا القول قبولاً حتى عند (أمجد) نفسه! ما المانع أن يكون كل ما هو فيه - بل ومن قبل أن يعرف (مها) أساسًا - مرجعه أصلاً لسحر أو لعشق سفلي؟ يمكن أن يكونا محسودين ، ويمكن أن يكون هو مسحور فلا تكتمل له تجربة طبيعية، أو معشوقًا عشقًا سفليًا يصده عن معاشرة نساء الإنس، وتكون خيالاته وممارساته اليدوية هي وسيلة عاشقته السفلية في التلذذ به! فلماذا لا يغلق هذا الباب؟ إن كان مسحورًا أو معشوقًا عولج، وإن كان غير ذلك تأكد من سلامته.

تذكر (أمجد) زميل دراسته السلفي (نبيل) والذي حدثه ذات مرة أيام الجامعة عن تجربة شخصية لصديقة أخته، وكيف أحضر (نبيل) لها من يثق به من الشيوخ المتطوعين، وكيف عالجها الشيخ من مس كان بها وصرف من جسدها عددًا من الجان، كانت آخرهم جنية ماردة أتعبت الشيخ وأجهدته في صرفها حتى كاد أن ييأس من قدرته عليها ويضطر للجوء لمن يفوقه من الشيوخ، لكن الله منَ عليه بصرفها في المحاولة الرابعة! ولولا أن (نبيل) كان زميل (أمجد) طوال سنوات الجامعة ويعلم صدقه لما صدقه أبدآ في قصته ولضحك منها.

لم يخجل (أمجد) من الاتصال ب (نبيل) والذي أجاب طلبه وأحضر له شيخًا يقرأ عليه، بداية لم يرتح (أمجد) لنظرات ذلك الشيخ ودارت في عقله كل مشاهد السينما والدراما التي تصور أمثال ذلك الشيخ على أنهم نصابين، وتوقع مقدمًا أن يخبره الشيخ بأنه ممسوس أو مسحور وأن علاج ذلك يستغرق وقتًا

ويتكلف كذا وكذا. أو يترك مسألة المال لا يتكلم فيها حتى يحبك صورة الشيخ العفيف الذي سيضطر لقبول ما ينفحه به (أمجد) بعد تمنع !

وبدأت الجلسة بأن أخذ الشيخ يقرأ على (أمجد) لمدة نصف ساعة، ونفث هواءً في وجه (أمجد) عدة مرات، كان أمجد يجفل في كل مرة منها أن يصيبه رزازٌ من فم الشيخ لكن هذا لم يحدث، وعرف أمجد بعد ذلك أن ذلك التفل الجاف يسمى (النفث).

المفاجأة أن الشيخ بعدها قال إن (أمجد) لا بأس عليه لا من سحر ولا من مس، وإنما مجرد حسد خفيف لا يضر ولا يعرقل زواجًا، ورفض الشيخ كل إلحاحات (أمجد) المهذبة أن يأخذ حتى أجرة مواصلاته وهو الشيخ القادم إليه خصيصًا من كفر الدوار! ولم يطمئن (أمجد) تمام الاطمئنان إلا بعد أن تكرر نفس الحوار مع شيخ واثنين:

= هل أحسست برغبة في البكاء أثناء القراءة؟

= هل شعرت بتنميل في رأسك أو في جسدك؟

= هل تشعر بغازات في بطنك كثيرًا أو بخدر وكسل في جسمك؟

و لما كانت إجابته (لا) على كل الأسئلة:

= أنت مغافى بإذن الله ولا بأس عليك.

* * *

و كان الطلاق من (مها) !

و قدر ما أحس (أمجد) بالارتياح للخلاص قدر ما أحس بالذنب تجاه المسكينة التي كسرت مرتين؛ مرة بكسر قلبها في أول تجربة حب لها ومرة بأن حملت لقب مطلقة في هذا السن الصغيرة وإن كانت عذراء. وترك (أمجد) لها كل المهر ولم يسترد شيئًا من الشبكة والهدايا بينما رد لها كل هداياها. ومع ذلك لم يشعر بأن ذلك كفارة له أمام ضميره، وكم من ليلة استيقظ فيها على دموعه تهطل بإحساس الذنب، لكنه ضبط نفسه أكثر من مرة أيضًا وهو يرقص طربًا للخلاص!

= مش ندمان على ظلمك للمسكينة هذه يا أمجد؟ ولا ندمان على ضياعها من إيديك؟

_ ندمان على أختياري من الأول، وكنا سنندم أكثر يا (أمي) لو أكملنا وتطلقنا بعد الزواج.

= وهي البنت كان فيها إيه وحش عشان تندم على اختيارك لها؟

_ لم أحبها.

= وكنت بتكتب كتابك وللا حتى بتخطبها ليه من الأول؟ وهي فيها إيه وحش عشان ما تحبهاش؟

_ قلتلك من الأول... جسمها مش حلو زي شعرها أو زي ملامحها.

= وهو ده الحب عندك؟ هو أنت هتتجوز راقصة؟

_ وإزاي أحب واحدة وهي مش بتث...

و لم يكمل كلمة (تثيرني) حياءًا من أمه، لكنه أكمل قائلا:

_ وهي مش مالية عيني؟ ثم إحنا لما تعاملنا سويًا ما لقيتش فيه أرضية مشتركة ما بيننا.

= وطول ما إنت محكم عقلك في قلبك وطول ما أنت متطلع لسقف الجمال العالى ورافض تتنازل ولو شوية عن طلباتك؛ يبقى عمرك ما هتحب ولا عمرك هتتجوز.

_ وأنا أعمل إيه إذا كان لا قلبي بيحس ولا عقلي بيروح إلا للسقف العالى والمواصفات المتكاملة؟

= صحيح يا (أمجد)؛ أنت فعلا عمرك ما حبيت؟

_ بالعكس؛ أنا أعجبت بأكثر من بنت لكن ولا واحدة فيهم قدرت أوصل إني أحبها. دايمًا يطلع فيها (إنّ) تمنعني إني أكمل معها، وصدقيني كل مرة كنت ببقى زعلان عليها جدًا وكان بيبقى نفسي إن الموضوع يكمل، يعني أنا ممكن أحب أهو.

= بالعكس، أنت كده لا عمرك حبيت ولا عمرك هتقدر تحب!

درس عملى فى الجغرافيا

= (أمجد) إنت طلباتك إيه في الزواج؟

قهقه أمجد قهقهة خفيفة ثم قال:

_ عندك عروسة ولّلا إيه يا (حمدي)؟

= قول بس يمكن أقدر أخدمك... إنت عريس لقطة ههههههه.

_ أهم شئ الجمال!... فاتنة ومثيرة... لكن في نفس الوقت لازم الأصل الطيب والتربية والأخلاق.

=عندي لك عروس ستبهرك.

_ مين؟

= أخت زوجتي، طالبة في السنة الأولى في الجامعة.

_ ياه.. إنها أصغر مني ب 13 سنة وربما أكثر.

= هل هي مشكلة بالنسبة لك؟

_ قد تكون مشكلة بالنسبة لها هي أو لأهل زوجتك.

= أبدًا... أنا بيني وبين زوجتي – أختها – فارق 15 سنة!

_ هل سيشترطوا أن تكمل تعليمها قبل الزفاف؟

= بالعكس، قد يشترطوا عليك الإسراع في الزواج، هم أسرة متمسكة

بتقاليد عريقة؛ الزواج أولى بالبنت من الدراسة، والجامعة تنتهي وقت ما تنتهي، خصوصًا أن العروس آداب قسم آثار... دراسة خفيفة يعني.

_ عظيم جدًا، دبر لنا لقاءً.

* * *

كان (حمدي) زميلا (لأمجد) في العمل، يتوافق معه في نفس مواعيد النبطشيات، صحيح أنه لم يكن من أصدقائه المقربين ولا يتقابلان في أسبوعي الراحة برغم أنهما من نفس المدينة، لكنهما كانا يرتاحان للحديث معًا في أيام العمل. ضرب (حمدي) (لأمجد) موعدًا في ثالث أيام الأجازة بعد أن يرتاحا ليومين من عناء أسبوعي العمل وعناء السفر، لا يدري (أمجد) لماذا وافق على عرض (حمدي)؟ بعد أن علمته التجارب ألا ينصت إلا لمن كان يهمه أمره هو أكثر من أمر العروس، لكن.. لنذهب ونرى.

كان اللقاء في منزل (حمدي)، وبعد الترحيب الروتيني المعتاد من (حمدي) وزوجته؛ استأذنت العروس بالدخول... يا الله؛ ما هذا! لم يكن يتوقع أبدًا أن تكون بمثل هذا الجمال!، قوام يضج بالفتنة في كل تفاصيله، ممتلئ قليلا لكن امتلاؤه هذا ضاعف من وقع فتنته، خمرية البشرة ووجهها مثلث الشكل دقيق الملامح في تناسق وجمال، ويزيد من فتنة ملامحها عينان سوداوان تضجان بنظرات ملؤها الإغراء والشبق لكن بشكل طبيعي غير مصطنع، يشعر من يحادثها وكأن عينيها تقولان له: هيت لك!، لو رآها مكتشف (كيم كارديشان)

لاستغنى بها عنها.

شوش صنم الفتنة هذا على تفكير (أمجد) وهو يكلمها، فلم يكن يعي كثيرًا من مجريات الحوار الذي دار بينهما، الشئ الوحيد الذي وعاه (أمجد) هو أن (هويدا) قد أعجبت به بل ربما وقعت في غرامه من أول نظرة!

و في اللقاء الثاني الذي تم ترتيبه لمزيد من التعارف قبل انتهاء الإجازة كانت الصورة أوضح؛ الشوق يطل مع نظرات العينين، واليد تسلم بحرارة وهي ترتعش، والشفاه تبتسم وكأنها تطلق قبلات مكتومة. وهكذا كان الحوار في ذلك اللقاء تحصيل حاصل، لقد غطى الإعجاب المتبادل على أي رغبة في فهم الآخر أو رؤية مدى تقارب الفكر والطبع.

وقبل السفر بيومين اصطحب (أمجد) أسرته لقراءة الفاتحة على (هويدا) والاتفاق على الخطوط العريضة للخطبة والزواج والحصول على الضوء الأخضر لمهاتفة (هويدا).

وهكذا عاد (أمجد) إلى موقع العمل بقلبٍ جديد لأول مرة بعد سنوات من انفصاله عن (مها)، ها هو في طريقه للزواج من فاتنة تفوق في تضاريسها فاتنات أحلام فراشه، فكان يقسم وقته بين العمل وبين مهاتفة (هويدا) وبين النوم بعد أن يقضي وطره منها في خياله!. وعى (أمجد) درسه السابق مع (مها) فلم يوافق والدة (هويدا) على رغبتها في التعجيل بعقد الزواج مع حفل الخطبة الذي ضربوا له موعدًا في غضون شهرين. ومن خلال مكالمات الهاتف بدأ في التعرف عليها

بشكل أوضح، لاحظ بعض الاختلافات التي بينهما ؛ فهي من أسرة تجار خردة، وكان المرحوم والدها يلقب ب (المعلم جابر) قبل أن تسعى بناته اللاتي لم ينجب غيرهن من الصبيان إلى تغيير هذا اللقب إلى (الحاج جابر) كي يتواءم مع رغبة الأسرة في زواج بناتها من أطباء ومهندسين سعيًا لتغيير الوضع الاجتماعي لهن، فالمال ليس كل شئ. لاحظ كذلك أنها تهمل في صلاتها وإن أبدت له رغبتها في أن يساعدها على الانتظام فيها، كما أنها متحررة وملفتة في ملابسها وإن أظهرت أيضًا رغبتها في تغيير ذلك وصولا إلى مرحلة الحجاب. لكن في المقابل لاحظ أنها عاقلة بدرجة كبيرة، عقلها وهي في ال 18 من عمرها يضارع عقله وهو الشاب الثلاثيني، بل كانت هي أثقب منه نظرًا في بعض الأمور، فكانت المقابلة شاسعة بين سذاجة وطيبة (مها) ورزانة عقل (هويدا) ، أما الملاحظة التي أسعدته بحق فكانت خفة ظلها العالية ؛ فكان لا يتمالك نفسه من الضحك على قفشاتها وتعليقاتها التلقائية.

و تمت الخطبة سريعًا وبدأت العلاقة تأخذ منحنىً جديدًا ؛ يخرجان سويًا وحدهما ويزورها في بيتها الذي تعيش فيه مع أمها بمفردهما ودون الحاجة لوجود (حمدي) أو إحدى أخواتها المتزوجات. كان عندما يزورها يجلسان سويًا في غرفة المعيشة، وذات يوم فاجأته بارتداء تنورة بدلا من البناطيل الضيقة التي اعتادت ارتداءها، كانا قد اتفقا على ذلك كبداية للتغيير في نمط ثيابها وصولا إلى مرحلة الحجاب كما كانت تقول له، لكنه ندم على ذلك، فقد كانت التنورة

الضيقة فوق جسدها الفائر المتلئ أكثر إثارة من البنطلونات وأكثر تحديدًا لعجيزتها البديعة!

لم يفهم (أمجد) في البداية؛ هل عندما يجلس بجوارها إلى شاشة الكمبيوتر التي في نفس الغرفة؛ هل هي تتعمد

إلصاق صدرها العارم بذراعه؟ أم أنها محض صدفة؟ فماذا عن نظرات الشبق التي في عينيها وكأنها تناديه؟ الواقع أنه كان لا يزال متأثرًا بعلاقته مع (مها) التي لم يمسك يدها إلا بعد عقد الزواج، وبفكرة أن الخطيبة غير الصديقة، لكن (هويدا) بدوامات الإغراء التي تنبثق منها، وأمها التي تكتفي بالسلام عليه أول حضوره ثم تختفي بعدها في غرفتها، كل هذا قد غير كل تصوراته السابقة، وفي لحظة صمت طويلة بينهما تنادت أعينهما إلى التقاء شفاههما!

* * *

برغم أن (أمجد) يغيب عن الإسكندرية لإسبوعين، لكنه لم يكن يخرج مع خطيبته في إجازته بعدهما إلا مرة أو مرتين، ويفضلان البقاء في المنزل لبقية الأيام حيث تجمعهما الأحضان والقبلات في مأمن من رقابة الأم:

_ نفسي أقرب منك أكثر وأكثر لكن خايف مامتك تدخل علينا فجأة.

= ماما زمانها نامت، ده ميعاد نومها!

إذن فالأم تنام تمام العاشرة مساءً وهو لا ينزل قبل الحادية عشرة وربما

بعد ذلك، ساعة أو ساعتين مدة كافية كي تأخذ العلاقة بينهما أمدًا بعيدًا، لكنها لم تصل إلى ذلك الأمد الذي كان بينه وبين (مها)، فبرغم أن (هويدا) كانت كثيرًا ما تبدأ هي بمناداته إلى جسدها لكنها كانت تضع خطوطًا حمراء صارمة لا تتجاوزها تضمن بها تمام المتعة مع تمام السلامة وبدون تعرٍ كامل.

كانت صدمة (أمجد) صدمتين؛ الأولى في هذه الأسرة وهذه الأم التي تنام وتترك ابنتها تسهر مع خطيبها في غرفة آمنة، والثانية صدمة خفيفة في أن (هويدا) وهي بملابسها أكثر إثارة منها وهي نصف عارية!، ربما لحبوب الشباب التي يخلو منها وجهها لكنها تنتشر في ظهرها وذراعيها، أو ربما لأن بعض الامتلاء الذي في جسدها لا بد وأن تصاحبه تكتلات دهنية أو سليوليت في أجزاء ما، أو ربما لأن بشرتها لم تكن مشدودة كبشرة الموديلات وفاتنات السينما ، أو ربما لأنه هو من سجن عقله في خيالات مثالية يندر وربما يستحيل وجودها في الواقع... لكنها بالتأكيد أكثر إثارة وبكثير من (مها)، وبالتأكيد سيختلف الأمر حين تزول خطوط هويدا الحمراء. لكن عقله لم يكف عن التفكير:

_ هل هذه هي الفتاة التي ستؤتمن على المستقبل وعلى تربية بناتي؟

أحس (أمجد) مع الوقت بواقع الاختلافات بينهما في المنشأ وفي تربية الأسرة، كان يشعر بالغربة وسط أهلها، هو لا يتحفظ على كونهم تجار أو أن أباهم كان يحمل لقب (المعلم)، لكنه أحس باختلاف فئات الناس عن بعضهم، فبعض ما كان يضحكهم كان يجعله يمتعض أحيانًا؛ لا يزال يذكر عمها وهو

يضحك مع خالها وهما يتذكران فرح ابنة ذلك العم وكيف انسجم الحاضرون وتفاعلوا مع الراقصة وطلبوا منها المزيد من الرقص، فلما رفض وكيل أعمالها لأنها ملتزمة بمدة محددة، قام هذا العم وأخرج مسدسه قائلا:

= تكمل وتاخد خمسة آلاف جنيه؟ وللا..؟؟

لا يهم، المهم هو (هويدا) نفسها، فهو لن يرى عائلتها إلا كل حين بعيد، وهي أخواتها وأزواجهن لسن كمثل هذا العم أو ذلك الخال. لكن حتى (هويدا) نفسها أحس معها ببعض الغربة؛ بعض ألفاظها العفوية، أسرتها غير المحافظة، طريقتها وإن تصنعت الهاي كلاس إلا أن اللمسة الشعبية تطل برأسها رغمًا عنها أحيانًا. وضع (أمجد) كل علامات الاستفهام هذه وترك للوقت مسألة البت فيها، أما الشئ الذي توقف عنده فعلا فكان ذلك الشك الذي قفز إلى سفينتهما فجأة...

كانا قد اعتادا على مطالعة كل منهما في الهاتف المحمول للآخر والعبث فيه وفي صندوق رسائله، فلم تكن هواتف تلك الأيام المحمولة تحتوي من ترفيه سوى بعض الألعاب والرسائل الطريفة. لكن في مرة وأثناء وجود محمولها في يده أتت إليها رسالة من رقم غير مسجل فقرأها:

(إتعوجتي علينا يا (دودو)، ربنا يخلي السريلاك اللي خلاكي تكبري علينا.)

_ من مين الرسالة دي يا هويدا؟

= معرفش. الرقم غير مسجل عندي.

_ لكن واضح إنها من شخص يعرفك وبيتكلم بعشم.

= وريني الرقم؟ اها؛ دي زميلة من ثانوي وافترقنا بعد دخول الجامعة.

لكن الذي لم تتصوره (هويدا) أن الرقم قد نقش في ذهن (أمجد)، وكان أول ما صنعه بعد نزوله من بيتها أن اشترى كارت ميناتل وطلب الرقم:

= ألو...

صوت شاب يجيب على الاتصال

_ أيوه؛ حسن معايا؟

= لا يا فندم، مين معايا؟

_ مش أنت حسن في سنة أولى آثار آداب إسكندرية؟

= أنا فعلاً في أولى آثار إسكندرية، لكن أنا أحمد مش حسن.

أغلق (أمجد) الخط ونافورة الشك تدور في رأسه، وأول ما عاد إلى بيته اتصل بهويدا:

_ هويدا إنتي معاكي زميل في الدفعة اسمه أحمد.

= معانا أكتر من أحمد، ليه؟

_ النمرة بتاعة السريلاك مش بتاعة بنت زي ما قلتي، دي بتاعة أحمد زميلك الدفعة!

= إنت بتشك فيا بقا وبتفتش ورايا.

_ ما هو مفيش بنت هتبعت لزميلتها القديمة اللي افترقوا زي ما بتقولي وتقولها سريلاك وإتعوجتي.

= وإنت حفظت النمرة مخصوص عشان شكيت فيا؟

_ النمرة سهلة وإنتي عارفة إن ذاكرتي قوية في الأرقام... ثم ما تهربيش من الموضوع الأساسي، عارفة ده لو كان طلع في أي حتة تانية غير أولى آثار كنت قلت صدفة أو غلطة، لكن ده واضح أنه يعرفك كويس وكمان بيتكلم بعشم.

= وما سألتش نفسك ليه نمرته غير منسجلة في موبايلي؟

_ قولي إنتي.

= بصراحة يا (أمجد) أنا زي أي بنت؛ لما بتدخل الجامعة كتير من زمايلها بيحاولوا يتعرفوا عليها – كزملاء مش أكتر، لكن أنت أول ما ظهرت في حياتي بطلت أكلم أي حد منهم غير صباح الخير وصباح النور... وآديك شفت بنفسك إني حتى مش مسجلة نمرته عندي.

_ طيب والعشم اللي في كلامه ده؟ ده كأنه واخد عليكي.

= طيب أنا أعملهم إيه؟ كتير إتغاظوا لما بقيت مطنشاهم، وإنت عارف بقا غرور الشباب وغلاستهم.

_ وليه كذبتي عليا إنك تعرفيه؟

= الله يسامحك، الحق عليا إني خفت إنك تغار أو الغضب يخليك تعمل مشكلة أو خناقة، وكنت هامسكه أهزأه لما أشوفه.. لكن معلش: أنا غلطانة وما حسبتهاش صح، حقك عليا... خلاص بقا (و قالتها بدلال).. والله خفت منك تغار وإرتبكت وطلعت مني كده.

ثم بعد لحظات صمت قالت بدلال:

= ما قلنا خلاص، يا أختي؟ إيه الراجل ده... (قالتها وهي تضحك)

رد أمجد وهو يبتسم وقد لان قلبه:

_ آخر مرة تخبي عليا؟

= خلاص حرمت.

_ ومفيش هزار مع أولاد.

= ولا حتى كلام يا (أمجد)، والله ولا حتى كلام غير صباح الخير.

و عادت المياه إلى مجاريها ثانية وإن تعكرت قليلا بلون الشك حتى وإن تعمدت (هويدا) ترك هاتفها المحمول معه حينما تغيب عنه لدقائق إلى الحمام أو إلى المطبخ. ولا يدري (أمجد) هل هذا الشك هو الذي جعله يخفف من حرارة عبثهما المعتاد في خلوة غرفة المعيشة ويكتفي بالقبلات الساخنة؟ أم هو تأنيب الضمير على هذا العبث؟

و ما كاد الشك ينطفأ في صدره حتى جاءت المصادفة بما يسكب الزيت على

ناره؛ فبينما هو يعبث في محموله في فترة الغداء في موقع العمل جاءه اتصال من (هويدا) كان المقصود أن يكون مجرد (رنة) كتحية منها – فذلك كان عصر الرنات في تاريخ المحمول – لكن (أمجد) فتح عليها الخط عفوًا في لحظتها دون أن يقصد، ولما همَّ بالكلام معتذرًا عن تسرعه غير المقصود؛ إذا به يسمع على الطرف الثاني من الخط جلبةً وصياحًا، أنصت باهتمام فإذا هو حديث صاخب يموج بالمزاح بين مجموعة شباب وبنات وصوت (هويدا) يأتيه مميزًا وواضحًا وهي تضحك وتصيح بصوت عالٍ:

= الواد ده بيخم في اللعب، وعقابه أن هو اللي ينزل (صَلَح)، أنا إيدي ورمت منه!!

إذن ف (هويدا) لم تمتنع عن الحديث مع الشباب وها هي تلعب معهم لعبة (صَلَح)!

= كفاية كده اللعبة المؤذية دي وتعالوا نلعب المنديل أو مساكة.

كمان؟؟

* * *

= والله يا (أمجد) مش أنا، أحلفلك بإيه تاني أنه...

قاطعها وقال

_ وكمان بتحلفي؟ الاتصال من موبايلك والصوت صوتك.

= أنا ما اتصلتش والموبايل كان مع صاحبتي.

_ (متهكمًا): سايبة الموبايل مع صاحبتك عشان تعرفي تقفي (صَلح)؟

قالت وهي تتهدج في عصبية:

= انا مكنتش معاهم أصلا.

_ أنتي فاكراني حمار؟ تليفونك مع صاحبتك وممكن نبلعها، لكن مش واقفة معاهم؟ ليه؟ صاحبتك واخده الموبايل لفة وبعدين ترجعه؟

= أيوة، أنا سيبته معاها ورحت مكتب دكتور مادة (اليوناني)، وده لو الموبايل رن في مكتبه هيبهدلني.

_ فيه اختراع اسمه الوضع الصامت أو ممكن نقفل الموبايل.

= زرار الباور كان معلق وكنت عايزة ألحق أدخله قبل ما ينشغل ومعرفش أدخل له بعدها.

بصوت هادئ قطع حدة الحوار وقال:

_ هويدا... إنتي لو قلتي الكلام ده لعيل صغير مش هيقتنع بيه، وحتى لو لغيت عقلي وصدقت كل الصدف المدهشة دي، صوتك يا هانم، أنا مش تايه عن صوتك، أنا استمريت 4 دقايق كاملة أسمع صوتك وضحكك وصريخك.

= (بصوت يختلط بالبكاء): أنا مظلومة والله حرام حرام.

_ عن إذنك يا هويدا، عندي شغل.

و طوال يوم كامل و(هويدا) مستمرة في محاولة إقناع (أمجد) بصدق

كلامها؛ ونفس الحوار السابق يـدور بينهمـا في دوائـر متكـررة متـصلة، لكنهـا كانت كمن يحاول إقناعه بأن الشمس تبيت لـيلا في أعمـاق البحـر ولـذلك عنـدما تشرق صباحًا تكون باردة!، ولم تتمكن (هويدا) مـن الـصمود في التمثيـل طـويلا حتى جاءت لحظة انفجرت فيه بالبكاء قائلة:

= أنا خفت تضيع مني، عقلي إتشل لما لقيتك بتواجهني باللي سمعته.. أنا حمارة.. أنا مجنونة، لكن أنا مجنونة بحبك.. خفت لتفهم هزارنا غلط...

قاطعها متهكمًا:

_ وأنا كـده فهمتـك صـح؟ ده إنـتي بقالـك **24** سـاعة بتحلفـي بأيمانـات المسلمين كلها إنه ما حصلش.

= أنا آسفة... أنا غلطانة... عيلة وماعرفتش تحسبها صح، منها لله (ندى) المجرمة؛ دي من يوم ما اتخطبت وهي هتمـوت مـن الغـيرة وهـي اللـي قـالتلي هاتي الموبايل عشان تعرفي تقفي في اللعبة وهي أكيد اللي اتصلت بيك.

_ أسامحك على إيه بالضبط؟ على حلفانك بالكذب؟ وللا على خداعك ليـا: أنا زمايلي في الكلية مش بكلمهم حتى!... مش بكلمهم لكن بلعب معاهم صَلّح! تقفي قدامهم وتديهم ضهرك وإيدك تحت إبطك وهما يضربوا كـف أيـدك بكـف إيدهم.. واللي تيجي إيده في كتفك أو على ضهرك أو فين الله أعلم.

= حاسب على كلامك يا (أمجد).

صرخ فيها

_ أيواا... طلعيني أنا الفلطان: أنا اللي بحلف كذب وبخدعك.

= يعني إنت الشك دخل قلبك خلاص؟

_ إنتي عندك رأي تاني؟

= وناوي على إيه؟

_ أنتي شايفة إيه؟

= خلاص يعني؟

_ شكلها كده يا (هويدا).

= وهتقول لماما إيه؟

_ هفكر وأقولك، مش ها أرضى أشوشر عليكي برضو.

ردت بعصبية:

= إيه أشوشر عليكي دي؟ هو أنا كنت خنتك؟

_ اقفلي يا (هويدا)... مع السلامة.

* * *

= خير بس يا (أمجد) استهدوا بالله، حصل إيه بس.

_ مش مرة ولا اتنين يا طنط، (هويدا) بتطول لسانها عليا، ده وإحنا لسه مخطوبين، طيب بعد الزواج هيحصل إيه؟

= أنا آسفة ليك بالنيابة عنها، ولو اتكررت تاني أنا المسئولة، أبوها الله يرحمه لو كان عايش كان جالك بنفسه.

ـ حضرتك وعمو الله يرحمه على عيني وراسي، لكن أنا حذرتها قبل كده، مرة واتنين وتلاتة وخاصمتها ومفيش فايدة... لسانها متبري منها، ممكن توصل للشتيمة، تخيلي حضرتك لو وقعت منها شتيمة من دول قصاد حد بعد الزواج؟ هطلقها في ساعتها! يبقى نسيب بعض وإحنا على البر أحسن.

= ده آخر كلام عندك؟

ـ بعد كل المحاولات اللي فاتت دي؟ صعب أصدق أنها ممكن تتغير، دي مرة طولت لسانها عليا وإحنا في الكافية وسط الناس.

= كده إنت اللي سايب!

ـ بمعنى؟

= الشبكة والهدايا من حق (هويدا).

ـ ليه؟ هو أنا سيبتها من لا شئ؟ وللا من عمايلها؟

= إنت اللي مكبر الموضوع، ستات كتير بتعمل كده مع رجالتها ومحدش منهم بيعمل زيك.

ـ دي تبقى رجالة كاوركات، وأنا راجل وراجل قوي.

= طالما راجل يبقى تتحمل ثمن قراراتك، دخولك وخروجك وقعادك معاها في البيت مش ببلاش!

ـ إيه يعني؟ الشبكة تبقى ثمن الخروجات والقعدات معاها؟

= حاسب على كلامك يا (أمجد).

_ كلام حضرتك معناه كده.

= ده العرف عند الناس لما العريس هو اللي يسيب.

_ و(هويدا)؛ ما غلطتش؟

= كل بنت بتغلط.. إنت اللي حنبلي.

رد عليها بغيظ وهو يضغط على مخارج الحروف:

_ خلاص، اعتبري الشبكة ثمن اللي حصل بيني وبين (هويدا)!

ردت بذهول:

= هو إيه اللي حصل؟

كاد (أمجد) من غيظه أن يتسرع ويصارحها برأيه فيها (إنتي اللي بتنامي وتسيبينا لوحدنا لنصف الليل)، لكنه تمالك لسانه بصعوبة وقال:

_ قصدي كلام حضرتك... الخروج والقعدات يا طنط... سلام عليكم.

* * *

لم يندم (أمجد) أبدًا على تركه ل (هويدا)، بل لام نفسه على اختياره غير الموفق، اختيار قائم فقط على تضاريس جغرافيتها متناسيًا تمامًا التاريخ وعلم الاجتماع، ولام نفسه أنه لم يصارح أمها بالسبب الحقيقي لفسخ الخطبة واكتفى بذكر هذا السبب الثانوي، (هويدا) فعلا كانت سليطة اللسان، وانفلتت لسانها منها أكثر من مرة بشتائم خفيفة لكنها كانت تتدارك ذلك بسرعة وذكاء

مدعية أنها كانت تمزح...

_ آه صحيح؟ لماذا لم أتوقف عند طول لسانها من قبل؟ إن العيب الصغير الذي تصادفه في الخطبة ستجده أضعافًا بعد الزواج.

هكذا لام نفسه على ضعفه أمام إثارة (هويدا) ودخل في هذا الارتباط غير المتناسب من البداية، لكنه حمد الله أنه لم يسارع بعقد الزواج ودفع المهر وإلا كانت الخسائر مضاعفة...

_ تبًا للزواج في هذا البلد التعيس... أم أنا الذي حظه دكر؟

النهر المالح

عادت أيام (أمجد) إلى وتيرتها الأولى ما بين أسابيع العمل وأسابيع الراحات، ويقضي أوقات فراغه إما في لعب الشطرنج أو الورق أو أمام جهاز الكمبيوتر الخاص به. وفي أحد الأيام جاءه على الكمبيوتر إعلان من موقع (وداد)؛ أحد مواقع الزواج، كان (أمجد) قد سمع عن هذه المواقع لكنه لم يفكر قبل ذلك في التعامل معها. وجد نفسه بدافع الفضول يفتح صفحة الموقع، وبعدها وجد نفسه يسجل بياناته ثم يرفع صورته على صفحته التي أنشأها في هذا الموقع، ثم بدأ التصفح...

شكل الموقع وطريقة تصميمه عالية الاحترافية مما يضفي الثقة عليه، والأكثر أنه يراجع مسبقًا الصور التي يرفعها المشتركون للتأكد من توافقها مع سياسات الموقع؛ كأن لا تكون بملابس جزيئة مثلا، كما أن الموقع يراجع الكلام الذي يصف فيه المشترك نفسه أو يصف طلبه في شريك حياته؛ يجب ألا يحوي ألفاظًا خارجة والأهم ألا يحوي أرقام هاتف أو بريد إلكتروني، وإلا فمن أين سيربح هذا الموقع؟ إنه يربح من اشتراكات العملاء التي تمنحهم إمكانية إرسال رسائل للطرف الآخر أو دعوته للدردشة.

بنات من كل شكل ولون ومن معظم البلاد العربية بل ومن كثير من دول العالم، بعض الفتيات يرفعن صورهن وكثير منهن لا يرفعن صورهن لدواعي

أمنية ! . وبعضهن يرفعن صورًا مستعارة: والموقع يمنع رفع صور الفنانين والفنانات كنوع من المصداقية والثقة. ورغم أن الموقع يعرف نفسه بأنه: موقع زواج إسلامي؛ إلا أن فيه من تكتب أنها مسيحية وتشترط زوجًا مسيحيًا وأحيانًا لا تشترط، ومنهن من تكتب ديانات أخرى كبنات شرق آسيا البوذيات أو الهنديات الهندوسيات، ومنهن من تكتب أنها بلا ديانة!

وهكذا بدأ (أمجد) في تصفح صندوق الدنيا الجديد، فتيات يرسلن له في طلب التعارف وهو أيضًا يرسل في طلب تعارف من تروقه منهن، هو طبعًا كان يختار أشدهن جمالا لكنه كان يفاجأ إما أنهن يرفضن طلبه وإما لا يأتيه رد منهن أصلا، ولأن (أمجد) شديد الحساسية تجاه أن ترفضه أي فتاة حتى ولو كانت في عالم افتراضي لا تعرفه ولا يعرفها؛ لذا فقد قرر التوقف عن إرسال أي طلبات تعارف، وأما من تعجبه منهن بدرجة كبيرة فكان يقوم بإرسال رسالة لها وينتظر الرد منها على رسالته. جاءت (لأمجد) طلبات تعارف كثيرة الغالبية منهن لم يرقن له، فكان يستحي أن يبادر برفض طلبٍ من فتاة، فكان يقبل الطلب ثم يمسحه. تواصل مع فتيات كثيرات، تبدأ الدردشة في كلام عام وتعارف مبدئي حتى يصل إلى النقطة المهمة... أن يرى صورتها. كثير من الفتيات يتعاملن مع مسألة الصور على أنها قضية أمن قومي، فمنهن من ترفض حتى وضع صورتها على سطح نافذة الحوار برغم إن ذلك الوضع آمن ولا يسمح بحفظ هذه الصور، هؤلاء كان لا يلقي لهن بالاً ويغلق الدردشة على الفور ولا

يستجيب لأي محاولة لاستئناف الحوار. وأخريات كن يرسلن صورهن بمنتهى البساطة، فكان يصدم بالشكل أحيانًا ويجد القبول أحيانًا أخرى، ونادرًا ما يجد الجميلة التي تروقه.

كان (أمجد) يظن أن الجميلات لا يزرن أمثال هذه المواقع، لكنه فوجئ بواقع الزواج الأليم في مصر وفي كثير من الدول العربية. فبرغم انفتاح المجتمعات وسهولة التعارف بين الجنسين إلا أن الواقع مرير؛ جامعيات بل ومدرسات في السلك الجامعي، ومن أسر محترمة بل ومرموقة، ومن لا ينقصهن الجمال بل ووافرات الجمال.. يذخر بهن الموقع.

أكثر من كن يغظن (أمجد) هن اللاتي يرسلن له طلب التعارف ثم تقول له إحداهن:

= أنا مش هقدر أعيش في إسكندرية.

_ يعني إيه؟

= حاول إنت تنقل شغلك القاهرة!

_ هو الراجل اللي بيروح ورا الست وللا العكس هو اللي بيحصل؟

= ما أنا مش هقدر أبعد عن ماما.

_ خلاص خليكي جنبها، ربنا يخليكو لبعض.

ثم يغلق صفحة الدردشة

* * *

= ما بك يا (أمجد)؟ أراك غاضبًا.

_ ماذا حدث لبنات هذه الأيام يا (مازن)؟

قهقه (مازن) - أحد أصدقاء (أمجد) في العمل — ثم قال:

= موقع الزواج إياه؟ إشجيني.

_ من تقول لك أنا لا أترك مدينتي التي تربيت فيها.

= مع أن غيرها مستعدة لأن تأتي من آخر بلاد المسلمين.

_ من المغرب إلى باكستان، تخيل؟

= طبعًا أتخيل، إذا كانت هناك من تترك أوروبا أو أمريكا لتعيش في مصر.

_ ومن تقول لك أنا لا أجيد الطهي، حاولت كثيرًا وفشلت.

= أيوة... كي تكون على نور ولا تأتي يوم وتطلب منها دقية بامية أو صينية بطاطس باللحم الضاني.

_ يا رجل الآن البنت التي تعرف الطبخ أصبحت تتباهى أنها عملة نادرة.

= لا وأنت الصادق؛ هناك أسر تتباهى أن ابنتهم لا تعرف طريق المطبخ... كأنها بذلك صارت البنت المعززة المكرمة.

_ فعلا.. مع أنك تجد نفس هذه الفتاة تجلس أمها 4 ساعات تعد حلة محشي.

= واضح أن أسباب العنوسة ليست أسبابًا اقتصاديةً فحسب!

* * *

عادة توجد كذبة واحدة على الأقل في كثير من البروفايلات، فمن تكتب أنها في أواخر العشرينات تكون عادة في أوائل الثلاثينات، ومن تذكر أنها متوسطة القوام فهي غالبًا ممتلئة، وغالبيتهن يغالين في حقيقة مستواهن الاجتماعي. وكما أن هناك في الواقع (عروسة لقطة) فهن موجودات أيضًا في هذا المجتمع الافتراضي، بل إن منهن من تبدو كنجمات المجتمع يصعب أن تصدق وجود مثلها في موقع للزواج، فالصور المرفقة وافرة الجمال، والبيانات المدونة تؤكد رقيًا واضحًا في المستوى الاجتماعي والمالي والتعليمي، وقد يساورك الشك في أن صاحبة هذا البروفايل فتاة نصابة تطمع في القيام بعملية نصب ما أو أنها تكذب للإيقاع بعريس مرموق، لكنك تفاجأ بأنها قد وضعت قيودًا على الوصول إليها؛ فطلب التعارف لا يرسل إليها إلا إذا كان المرسل صاحب مواصفات محددة في السن أو التعليم بالذات وذلك كي تحد من طلبات التعارف المرسلة إليها، وإرسال طلب الدردشة ممنوع، وحتى عندما أرسل هو إلى واحدة منهن برسالة نصية جاءه الرد فورًا برسالة آلية تشكره على الاهتمام وتعتذر له إذا امتنعت صاحبة الصفحة عن الرد، فهي إذن ليست نصابة، فأي مستوى تطمح إليه إذن؟ لقد اختار (أمجد) أفضل صورة جاذبية وتعمد أن يُظهر مستواه المادي المرتفع، إذن فلا يفوقه إلا شباب رجال الأعمال، فهل يحتاج هؤلاء الشباب إلى مثل هذه المواقع؟ ألهذه الدرجة الزواج في مصر في أزمة؟

الميزة الكبرى في هذه المواقع أنها توفر وجود مئات الفتيات المتواجدات

أصلا بغرض التعارف والزواج، فتغلب (أمجد) بذلك على مشكلتي الخجل وضيق دائرته الاجتماعية: لن يصادف أبدًا من تقول له: ماذا تريد. غالبية الفتيات اشتركن من أجل الزواج، وكثير من الشباب من أجل أغراض أخرى!، ولأن الموقع يحاول أن يتميز عن غيره من المواقع بقدر من الاحترام والمصداقية فإنه يحجب أي شخص يذكر أنه جاء من أجل الصداقة، كما يحجب أي امرأة تذكر في بياناتها أنها متزوجة.

لا يذكر (أمجد) أبدًا عدد من هاتفهن من فتيات الموقع ولا يتذكر بالضبط عدد من قابلهن، لكن ما أدركه مع الوقت أن الوضع لم يختلف كثيرًا عما قبل، فدائمًا ما يطل شيطان ال (إنّ) بقرنيه ليفسد أي موضوع، فهذه التي أعجب بصورها وحصل انسجام بينهما تصارحه قبل أول لقاء بينهما أن صورها هذه كانت قبل أن يزيد وزنها 20 كيلو جرامًا! لكنها تنوي عمل رجيم قاسي!

وفتاة أخرى (نور): مصرية نشأت في أستراليا حيث هاجر أبواها وهي بعد طفلة صغيرة، لكن والداها يريدان لها زوجًا مصريًا بتقاليد مصرية محافظة، اصطدم مع أفكارها في أول دردشة، ليست أفكارًا عن الحرية والجنس بل بسبب انبهارها بحضارة الغرب ونظرتها الدونية لحضارة العرب والمسلمين:

أمجد: – فماذا عن عشرات الملايين الذين قتلهم هذا الغرب المتحضر من الهنود الحمر ومن سكان أستراليا الأصليين ومن أهل إفريقيا الذين اختطفوهم ليستعبدوهم؟ هذا بخلاف الملايين الذين قتلوا في الحروب العالمية.. الخ الخ؟

نور: = والإسلام لم ينتشر إلا بالسيف.

_ اذكري لي مذبحة واحدة قام بها المسلمون.

= مذابح الأتراك للأرمن!

_ هذه كانت بعد انتشار الإسلام في العالم بقرون طويلة، والأرمن لم يدخلوا الإسلام بعد هذه المذبحة المزعومة التي حولها لغط كبير في أسبابها وحقيقتها وردود أفعال كل أطرافها.

= كانت هناك مذابح قديمة وطمسها كاتبو التاريخ.

_ التاريخ الذي حفظ لنا حياة الأمم البائدة وحروبهم وتفاصيل حياتهم هل سيعجز عن تذكر هذه المذابح؟

= هذا ما يقوله فلاسفة التاريخ؛ هذا الانتشار السريع للإسلام غير منطقي، لا بد أن الفاتح المسلم أجبر الناس على دخول الإسلام.

_ ومطلوب مني أن أصدق هؤلاء المتفلسفين وأن أثق في نزاهة حكمهم على حضارة يحاربونها!

= هذه عقدة الاضطهاد التي يحاول المسلمون تعليق أخطاءهم عليها.

_ هذا هو ما أقنعوكي به؟ تفسيرات جدلية بلا دليل عليها؟

= أنت مجادل!

_ أنا المجادل أم أنتي التي تقتنعين بكلام ناس هوائية وأيضًا تريدين إقناعي هكذا بغير دليل؟

= أنت لا تحترم المرأة في حوارك معها. سلام

_ سلامات وليس سلامًا واحدًا!

* * *

هذا بخلاف الفتاة المتعجرفة:

= ألو أنا (رنا)

_ أنا (أمجد)

= اقرأ بروفايلي الأول... أنا بشرب سجاير وشيشة.

_؟؟.. دي حريتك الشخصية.

= أنا مش بسألك عن حريتي، أنا عارفاها كويس، إنت مستعد ترتبط ببنت بتدخن؟

_ لما نعرف بعض ونرتاح لبعض ممكن نبقى نتفاهم في النقطة دي، لو مكنش عشان صحتك يبقى عشان صحة أولادك.

= يبقى الجواب لأ... باي.

* * *

مل (أمجد) هذا الموقع وقرر أن يجرب حظه في مواقع أخرى... وما أكثرها، كلها مواقع تسعى للربح.. لا مشكلة.. ليس مطلوبًا من أحد أن ينفق وقته وماله كي يوفق الرؤوس في الحلال، لكن المشكلة في بعض هذه المواقع التي تكون مريبة. موقع منهم لا يضع أي شروط أو حدود لأي صورة أو على أي كلام تكتبه عن نفسك، الموقع مليء بفتيات من شرق أوروبا ومن غرب أفريقيا لكنهن

شقراوات أيضًا! ، اكتشف فيما بعد أن كل من قابلته عليه إما عاهرات وإما نصابات! ، إذ تبهره إحداهن بصورها الفاتنة وبكلامها الدافئ الملئ بالمشاعر ، حتى إذا وصل إلى لحظة الرغبة في لقائها فإنها تخبره بأنه محظوظ؛ فهي تستطيع الحصول على إجازة قريبة وأنها تتمنى قضاءها معه في (شرم الشيخ) — كلهن يعرفن شرم الشيخ — فتتقافز في ذهنه صورتها وهي معه بالبكيني — أو بدونه! — لكنها تطلب منه مساعدتها في ثمن تذكرة الطائرة أو في تكاليف استخراج جواز السفر! ، هنا تدق أجراس الإنذار في عقل (أمجد):

_ دعيني إذن أحجز لك التذكرة على الإنترنت وأدفع ثمنها أونلاين.

= هذا سيتسبب لي في المشاكل في المطار؛ سيطلبون رؤية بطاقة الائتمان التي دفعت ثمن التذكرة.

_ لقد سافرت عدة مرات بهذه الطريقة ولم يحدث ذلك معي أبدًا.

= الأمور تختلف عندنا في بلادنا، كما أنني أحتاج إلى مساعدتك في ثمن جواز السفر وهذا لا يمكن دفعه على النت.

_ وكم يتكلف جواز السفر هذا؟

= حوالى 400 دولار!

_ ياااه... إنه أضعاف أضعاف تكاليفه في أي بلد آخر.

= هكذا حال بلادنا بعد الشيوعية، الدولة تريد جمع المال بأي طريقة.

هنا يتذكر (أمجد) صورها الكثيرة المثيرة التي أرسلتها إليه، أي فستان

ترتديه في أي صورة منها أغلى من هذا الثمن.

_ تملكين نقودًا تشتري كل هذه الملابس الغالية وليس معكي ثمن جواز السفر؟

و هنا تذهب هي إلى غير رجعة، ولم يستغرب بعدها أن يجد أكثر من فتاة يشتركن في نفس الصور! . هذا بخلاف حيلة النصب التي أصبحت تقليدية ممن تدعي أنها تعمل في بنك وأنها تعرف حسابًا مات صاحبه وترك ثروة وراءه – عدة ملايين أو عدة مئات من الألوف من الدولارات – وأن هذا المتوفى تعلم هي جيدًا أنه ليس له ورثة، وأن إدارة البنك ستضع يدها على الحساب إذا لم يظهر للمتوفى أي وريث في غضون سنة، وهذه الأموال للأسف ستذهب لتمويل تجارة الماس والسلاح حيث لا يمكن تتبع صاحبها في ملاحقات غسيل الأموال! بعد هذه القصة الطويلة الشيقة التي قد تثير اهتمام البعض تحدثه عن رغبتها في تقاسم هذا المال معه بعد أن تسهل له إجراءات إثبات أنه وريثٌ لهذا المتوفى، كل ما تطلبه منه هو أن يقسم أولا على ألا يخونها، وأن يتبرعا بجزء من هذا المال لأعمال الخير، والأهم أن يحول لها ألف دولار من أجل الحساب الذي ستفتحه باسمه في البنك ضمن خطتهم للسطو على هذا المال! . كان أكثر سؤال يراود (أمجد)؛ ترى هل هناك من السذج من ينساق وراء هذه المطامع؟

* * *

موقع آخر استغرب (أمجد) أن كل طلبات التعارف التي وجدها في صندوق

رسائله كانت من الذكور! في حين لم ترد فتاة واحدة عليه! ، ولم يستغرق الأمر منه كثيرًا كي يفهم طبيعة الموقع وطبيعة رواده من المثليين ويسارع بإلغاء صفحته فيه وعمل حظر لهذا الموقع ولرسائله.

لذلك عاد (أمجد) إلى موقع (وداد)، الحقيقة أنه قد أدمن الدخول إلى هذا الموقع حتى ولو لم يعوّل كثيرًا على العثور على ضالته فيه، وبرغم أنه كثيرًا ما كان يشعر أنه قد زهد الزواج وزهد المرأة، لكنها قسوة الوحدة وقسوة الفراغ العاطفي وشبقه الذي لا ينام قبل أن يشبعه في خياله، كل هذا الشبق لا بد أن يترجم في أي اتصال أنثوي من أي نوع – حتى لو كان اتصالا في واقع افتراضي – مهما كان زهده في جنس النساء.

* * *

لماذا يا (أمجد) لا تخرج من بوتقتك؟ لماذا لا تستثمر إسبوعي الإجازة في الخروج للحياة الواقعية؟ اخرج الى النادي، إلى الكافيهات، إلى المنتديات الفنية والثقافية. وخرج (أمجد) إلى الحياة الواقعية بالفعل، لكنه أدرك سريعًا أن الفاتنات قليلا ما يحفلن بالثقافة ومنتدياتها، والمنتديات الفنية غالبًا عبارة عن شلل وأسرة واحدة يعرف بعضهم بعضًا ويحتاج لوقت ولتواجد مستمر كي يكون فردًا منهم خصوصًا وأنه يحضر كمتفرج وليست لديه مواهب فنية.

إنها طريقة لم تختلف في نتائجها كثيرًا عمن تعرف عليهن في سفرياته خارج مصر، بالعكس؛ كان ذلك التعارف الأجنبي أسهل وأجمل! ، يكفيه أن

يكون في بهو الفندق أو في أي كافيه ويذهب إليها ويلقي تحيته، أو إذا أراد مستوىً اجتماعيًا أو ثقافيًا معينًا فيمكنه ذلك في حفل للأوبرا أو قاعة مؤتمر من المؤتمرات التي ينوب عن الشركة في حضورها، ومن السهل افتعال أي حوار ومن الأسهل أن يجد تجاوبًا من الطرف الآخر، فلم يجد أبدًا من تنظر إليه بطرف عينها ثم توصد باب الحوار بكلمة جافة، ولم يجد أبدًا من تتصرف من منطلق: التقل صنعة، المسألة هنالك أبسط من ذلك، المهم ألا تكون طريقة الدخول غشيمة تظهره كسائح عربي هايج بهرته نساء الفرنجة. بهذه الطريقة تعرف (أمجد) من قبل على عدة فاتنات أوروبيات وآسيويات وكانت علاقته بهن تنتهي عند صالة المطار، صحيح أنهن جميلات ومرحات وغالبيتهن متفتحات ومثقفات، لكن الزواج عند (أمجد) الشرقي شئ آخر؛ شئ يتطلب طباعًا وعادات وتقاليد، شئ يعني صفات وأخلاق ستربي عليها الزوجة أبناءها وبناتها.

وبين كل ما صادفه (أمجد) في بنات أوروبا من صفات إيجابية كقوة الشخصية والاستقلالية والتفكير العملي والجدية في الحياة والتنمية المستمرة للذات، برغم كل تلك الصفات فإنه كان يتوقف عند صفة الحرية الجنسية ويقول لنفسه: عجيب أمر أولئك الغرب؛ راقون في معظم صفاتهم ولكنهم في هذه النقطة ينحطون سبع درجات في سلم التطور بين الكائنات، ستجد أن القطط والدجاج أرقى منهم في السلوك الجنسي!

لم يتعلق قلب (أمجد) بأي أجنبية سوى ب (بريندا)؛ ألمانية شقراء

مكتملة الأنوثة لكنها تفكر وتتصرف كأنها رجل، الوحيدة التي ظلت على صلة به بعد صالة المطار: مكالمات ومعايدات، بل وقضت أسبوعين في مصر في رفقته ما بين القاهرة والأقصر والغردقة، والجميل أنها في الطباع نصف شرقية فلم تمنحه سوى شفتيها، فهي لا تمنح جسدها إلا لزوجها أو لمن ستقرر أنها ستكون زوجته، لكنها برغم إعجابها (بأمجد) لم يجد عقلها العملي شيئًا يغريها في ترك ألمانيا والحياة في مصر، إن الهوة الحضارية والمدنية أصعب من أن تتخطاها وبالتالى فلا معنى لأن تمنحه شيئًا غير شفتيها، إن لها قدرة عجيبة على التحكم في غرائزها حتى لتظن أنها تستطيع التحكم في مستويات هرموناتها أو تعتقد أنها تدخل في نطاق البرود الجنسي، وهكذا بقيت علاقتهما في حدود الرسائل والمكالمات وبعض المقابلات إذا أسعدهما الحظ وحضرا نفس المؤتمر من المؤتمرات الدورية التي تشارك فيها جهتي عملهما.

* * *

وهكذا عاد (أمجد) إلى ناديه المفضل... موقع (وداد) الذي أدمنه بغير هدف حقيقي، وظن نفسه محظوظًا عندما وجدها على موقع (وداد)... فتاة تبحث عن صداقة تؤدي إلى زواج إن حدثت بينهما (كيمياء) كما قالت... لهذا لم يحجب الموقع طلبها طالما سيؤدي إلى زواج... وهي غير متعجلة على الزواج كما قالت له، مقبولة جمال الوجه لكنها رائعة القوام الذي تتفنن في إبراز جماله بالملابس الضيقة، تهوى الكافيهات والديسكوهات، وأخذ يمني نفسه بالذهاب معها إلى الشاطئ في الصيف الذي اقترب.. صريحة ومتصالحة مع ذاتها لأبعد

الحدود..

_ مكنتش أظن إن بنت ليها ستايلك ممكن تشترك في موقع زواج على الإنترنت.

ابتسمت باستغراب وقالت:

= ليه بتقول كده؟

_ يعني... عادة البنات اللي ف إستايلك بتفضل الزواج عن حب، وكتير منهن ترفض مبدأ زواج المواقع أو الزواج اللي بيسموه زواج الصالونات.

= وإيه المانع إن الحب ييجي عن طريق النت أو حتى زواج الصالونات؟

_ تلاقيها تقولك: أرفض مبدأ المغاينة وأني أكون زي البضاعة المعروضة.

= يا سلاااام؟؟

هكذا ردت باستنكار وهي تميل برأسها جانبًا قبل أن تكمل قائلة:

= ما هي برضو هتشوف العريس وتعاينه، ثم هل البنت لما تتعرف على شاب في محيط العمل أو الجامعة أو النادي أو أي محيط بيسمح بنشوء علاقة الحب.. هل هو مش بيشوف ويعاين برضو؟ وللا هيحبها عمياني؟... دي بنات بتردد الأفكار اللي بتسمعها حتى من غير ما تفكر فيها.

_ كلامهم برضو إن الزواج المباشر زي الصالونات والإنترنت بيكون فيه تكلف من الطرفين وكله بيطلع أحسن اللي جواه، لكن التعارف التاني بيكون تلقائي أكثر و...

قاطعته قائلة:

= وبرضو اللي بيدخل في قصة حب بيطلع أحسن اللي جواه ويخبي عيوبه اللي يصدم بيها الطرف التاني بعد الزواج، وعشان كده تلاقي نسبة الطلاق بعد زواج الحب نسبة عالية برضو.. ده حتى الأجانب تلاقي الطرفين يقرروا يعيشوا مع بعض في بيت واحد عشان يجربوا حياتهم مع بعض بما فيها السكس، وبعد كده يتزوجوا، وبرضو تنتهي أغلب زواجاتهم بالطلاق.

سكتت لحظة ومدت بصرها للأمام كأنها تتأمل الأفق برغم أنهما في كافيه مغلق ثم قالت:

= بطيخة... الزواج ده بطيخة، أقصى حاجة ممكن تعملها إنك تخبط على قشرتها، لكن عمرك ما هتعرف تحكم عليها إلا بعد ما تفتحها وتتذوقها كمان.

_ ربنا يكملك بعقلك يا بنتي، ويكرمك كده وتلاقي البطيخة اللي ما تطلعش قرعة.

ضحكت وقالت:

= بقولك إيه؟ إحنا هنقضيها نقاشات؟ ما تيجي ترقص معايا ع الأغنية دي؟

* * *

لكنها ابتعدت فجأة! ما السبب؟ لا يعرف، حاول الاتصال بها مرارًا لكنها لا ترد، اتصل بها من رقم لا تعرفه، أحرجت منه، سألها مباشرة:

_ مش عايز غير بس أعرف: إيه السبب؟

= ولا حاجة، إنت إنسان ممتاز لكن مش ستايلي، دنيتي غير دنيتك، أنت تتصنع التحرر وشخصية الشاب الكوول الإستايل، هنتعب سوا لو أتجوزنا.

_ خلاص خلينا أصدقاء.

= زي ما قلتلك عالمنا مختلف، محتاج تشوف نفسك وإنت معايا في الديسكو مثلا، عامل زي السائح الأوروبي لما يلبس عقال ويركب جمل، بيكون في غاية الانسجام لكنه في عالم غريب عنه.. دنيا مش بتاعته.

* * *

و هكذا من الخروج مع فتاة إلى مواعدة أخرى بلا هدف محدد، وحين يستبد به شيطانه لا يحصل إلا على قبلة هنا أو لمسة هناك ولا شئ فوق ذلك، ثم يذهب كل منهما إلى حال سبيله.

بدأ (أمجد) يقتنع أن أحد أسباب ارتفاع نسبة الطلاق هو علاقات ما قبل الزواج حتى تلك البريئة منها، إن الشاب أو الفتاة يدخل عالم الزوجية وقلبه مجهد من كثرة ما زرع في أرضه وما قلع منها؛

هذه كانت أخف ظلا وهذا كان رياضي القوام،

هذه كانت ممشوقة القوام وهذا كان يذيب أذناي بحلاوة كلامه،

هذه كانت واسعة الأفق وهذا كان رائع الأناقة... وهكذا،

حتى إذا حان أوان الزواج فمهما تمتع به الزوج الجديد أو الزوجة

الجديدة من مميزات فستظل ذكرى العلاقات السابقة حاضرةً بإلحاح في أفق الذكريات، خاصة أن هذه الذكريات لم تر إلا الجانب المتأنق ولم تتعكر برائحة فم تغيرت بعد ساعات النوم ولا برائحة عرق أو بصل ولا بانفلات حركة الأمعاء! أما إذا كانت تلك العلاقات غير بريئة فهنا قد تكون المقارنة قاتلة!!

يكاد يجزم أن كثرة التجارب هذه هي سبب فوضى الزواج والطلاق والخيانات الزوجية في المجتمعات الغربية، وأن الذين يزعمون أن الشخص المجرب قبل الزواج يكون على بصيرة من نفسه ومن شريك الحياة المناسب له فيكون اختياره صائبًا.. إنما يهرفون بهراءات نظرية يكذبها الواقع العملي، فالشاب أو الفتاة في الغرب لا يخرج من تجربة إلا لكي يدخل في أخرى — وكل تجاربهم كاملة!، حتى إذا انتويا الارتباط عاشا سويًا بدون زواج لفترة قد تمتد لسنوات حتى يتأكدا تمامًا من صحة اختيارهم وقوة حبهم رغم ارتوائهم جنسيًا من بعضهم، فلماذا تنتهي إذن أكثر زيجاتهم بالطلاق بعد عددٍ لا بأس به من الخيانات المتبادلة؟ إنها نظرية النهر المالح التي آمن بها (أمجد)؛ لا ترتوي منه مهما ظننت أنك عببت منه ليرويك.

و بالرغم من إيمانه بنظرية نهر العلاقات المالح ماؤه تلك، إلا أنه ظل أسير تلك العلاقات التي لم تتعد حد البراءة إلا لمامًا، الغريب أن (أمجد) وبرغم أنه كان يطلب هذه العلاقات كي يكسر كآبة الوحدة وافتقاد دفء العاطفة إلا أنه كان يعود منها أكثر كآبة ويشعر بوحشة أشد في قلبه.

بيت العائلة

يدق هاتف (أمجد) وتبشره أمه بأن في انتظاره حين ينزل أجازته القادمة عروسًا لا تُعاب... (دعاء)؛ فتاة في أوائل العشرينات، لم تنه عامها الجامعي الأخير، من أسرة محافظة ومترابطة جدًا على طريقة (بيت العيلة)، تربية بيتي بامتياز، كل حياتها الاجتماعية تدور في فلك الأسرة والعائلة، الجامعة للدراسة فقط والصديقات لسن للخروج أو الفسح، لكنها لا تشعر بالحرمان؛ فالدفء العائلي بزياراته ونزهاته لا يترك مجالا للبحث عن الترفيه خارجه. حياة جميلة بحق لكن بدون خصوصية شخصية، لا توجد شقة في بيت العائلة مغلقة على أسرتها، ومن يسكن منهم خارج بيت العائلة فالزيارات شبه يومية وبدون إخطار مسبق.

إستغرب (أمجد) أن موعد اللقاء الأول كان في بيت جد العروس لأمها وليس في بيت أبيها، لكن الاستغراب زال قليلا حين عرف أن العروس قضت طفولتها في بيت هذا الجد وأن هذا الجد هو عم الأب أو بمعنى أصح ابن عم أبيه. فوجئ (أمجد) بوجود قرابة 15 فردًا في استقبالهم هو وأمه وأخته وزوجها، أسرة مريحة ومستريحة ماديًا، بل وبعض أفرادها من الأثرياء يمتلكون مصانع للكرتون في برج العرب، لم تكن دعاء ابنة أحدهم فوالدها محاسب في إحدى شركات البترول لكنك لا تشعر بوجود هذا الفارق المادي في تعاملات العائلة مع

بعضهم البعض.

(دعاء): بيضاء جميلة الوجه محجبة متوسطة الطول تميل قليلا للامتلاء لكنه ليس اكتناز لحم وإنما هي عريضة العظام، تعارفت الأسرتان وتحادث العروسان قليلا ثم انصرف الضيوف. لم يجد (أمجد) ما يعيب في (دعاء) وإن كان أيضًا لم يجد ما يثير كثير حماسته لها، دخلت عقله بأكثر مما دخلت قلبه، ارتاح لها لكن ليس إلى درجة الكيمياء المتبادلة... حسنًا فلنسر خطوات في الطريق ونرى...

* * *

بماذا تختلف (دعاء) عن غيرها؟ هو نفسه لا يعرف، لقد مر عليه من هي أجمل أو أطول أو أكثر تعليمًا أو أخف ظلا أو أو... فلماذا يمضي في طريقها هي بالذات؟ لا يدري، هل هي الكيمياء؟ أبدًا، لقد عرف قبلها من انعقدت كيمياؤه معها بشكل أقوى وأسرع ومع ذلك لم يكتمل التفاعل إلى منتهاه، ولكن يبقى النصيب هو التفسير المقنع، بل والتفسير الوحيد المناسب لتخطيه كل مشاكل فترة الخطبة التي ربما لو صادفها مع فتاة أخرى لتوقف عندها كثيرًا. لكنه كان يتجاوز ذلك كلما فكر بأنه لا خطبة بدون مشاكل، وكلما فكر في كلام من قال له: أنت محسود أو معشوق عشقًا سفليًا وعلاجك أن تمضي في طريق الزواج لا تبالي بشئ.

الحق أنه لم يقف عند الشئ الكثير في فترة الخطبة القصيرة، فبغض النظر عن عصبية (دعاء) وعن مساحة التدخل الواسعة لعائلتها في تفاصيل حياتها فإن، لا توجد مشاكل أخرى مقلقة سوى بعض المواقف الصغيرة التي

عرضت له؛ بدءًا من رسالة عتاب أرسلتها له على جواله لكنها كانت قاسية اللهجة، وعندما حاولت الاعتذار عنها كانت المشكلة أكبر، إذ أصرت على أن يمسح هذه الرسالة من جواله وحينما رفض أن يعطيها الجوال صارت المشكلة: ماذا تخفي في جوالك؟.

- وصولا إلى المشكلة التي – رغم تفاهتها – لكنه توقف فيها عند طبيعة ردود أفعال (دعاء):

_ عارفة يا (دودو)؛ رغم إن حياتي اللي في الشغل عايشها مع الأمريكان لكن أنا متحيز جدًا للثقافة العربية، للأغاني العربية، حتى لما ربنا يرزقنا بأطفال هسميهم أسامي عربية صرفة، مش ماهيتاب وماهينور وأشكيناز والكلام ده.

= ليه؟ هو إنت اللي هتسمي الأولاد؟

ضاحكًا:

_ طبعًا، ده حقي شرعًا وقانونًا.

= لا طبعًا، يعني الأم تشيل في بطنها9 شهور وييجي الأب يسمي على الجاهز؟

رد وهو لا يزال يعتبر الأمر من باب المزاح:

_ الأم مش بتشيل غصب عنها، الحمل في حد ذاته متعة للمرأة، الحلم الجميل اللي بتحلمه من أيام الطفولة، لكن الأب هو اللي الأولاد بيشيلوا اسمه،

بعدين أنا مش هاروح أسميهم من ورا ضهرك، أكيد هكون مظبط معاكي.

= اها... من باب العلم بالشئ يعني؟

ثم احتدت وارتفعت نبرة صوتها واستمرت تتحدث لمدة نصف ساعة عن تعب الأم وعن حقها المهضوم وعن أحقيتها هي في اختيار الأسماء، ولماذا لا يحدث العكس: الأم تختار هي الأسماء بمشورة الأب؟ وعن حلم كل فتاة في إنجاب بنت وتختار لها اسمها وتسريحة شعرها وأزياءها ولعبها... الخ.

الحقيقة أن ما توقف عنده (أمجد) ليس منطق (دعاء) في الكلام وإنما منطوقها؛ حدتها وصوتها الذي ارتفع عليه وهو في بيتها وتهويلها للأمر الذي حولته إلى الحديث عن اضطهاد المرأة، وحديثها المتواصل لنصف ساعة دون انقطاع. انصرف (أمجد) وهو يسائل نفسه عن عصبية (دعاء)، وهل استحق الموضوع رد الفعل هذا كله؟

وبعد ساعات قليلة اتصلت هي به ولكنها كانت (دعاء) الأولى قبل أن تثور، (دعاء) ناعمة تعتذر في مودة وأنها لم تشعر بارتفاع صوتها بل فوجئت بأمها وأبيها يقرعانها على ارتفاع صوتها وحدتها مع خطيبها، وكيف أن مشاكلها في جيوبها الأنفية تؤثر على حدة سمعها أحيانًا فلا تشعر بأن صوتها عالٍ. ولم تتركه حتى أحست بصفاء نفسه عما حدث، إذن فهي تعتذر عن الخطأ وهذا في حد ذاته شئ جيد، لا داعي يا (أمجد) لأن تقف طويلا عند هذا الموقف فلن تجد إنسانًا كاملا بلا عيوب. هكذا تجاوز الموقف وكما حدث نفسه من قبل

فسيمضي في الأمر متجاوزًا أي عقبة.

و بعد شهور قليلة كان الزفاف، وفي نهاية الحفل وقفت (دعاء) تودع أمها باكية قبل أن تصعد مع (أمجد) إلى جناح العرائس في ذات الفندق الذي احتضن حفل الزفاف حيث سيقضيان ليلتين. كانت هذه هي الخلوة الأولى له معها، فأسرتها المحافظة لا تسمح بالخروج للبنت مع خطيبها، وهي بتربيتها المحافظة لم تسمح له حتى بمسك يدها، وهو أيضًا لم يكن متعجلا لفعل أي شئ ولم يمانع في طلب والدها أن يكون كتب الكتاب ليلة الزفاف.

طبعًا (أمجد) مر من قبل بنصف تجربة مع (هويدا) وبتجربة إلا ربع مع (مها)، وبأرباع التجارب في سفرياته إلى الخارج اللاتي يندهش كيف لم تكتمل أي تجربة منهن رغم مواتاة كل الظروف!، لذلك لم يكن الجو غريبًا عليه، بينما (دعاء) في حالة ارتباك حقيقي... هي لا تجيد التمثيل إطلاقًا!، لم يكن هو متعجلا لذلك ترك الأمور تسير ببطء كأنها صديقة جاءت لزيارته في بيته مثلا. أكلا من أطباق الفاكهة والحلويات المقدمة لهما من الفندق، وتركها تبدل ثيابها بعيدًا عن ناظريه بعد أن لمس خجلها منه، وجلسا سويا يبحثان بغير هدف في القنوات الفضائية ويتبادلان الحديث حتى بدأت أعصابها تفك قليلا، فبدأ يملس على رأسها ويربت على كتفيها ويقبلها في حنان، لكنها عادت إلى التوتر مرة أخرى عندما أراد أن ينتقل إلى مستوى أعلى:

_ ندخل ننام شوية عشان مرهقين؟

= آه يا ريت يا (أمجد).

لم يتعجل أمجد على دعاء في شئ فهما سيخرجان من الفندق إلى المطار إلى شرم الشيخ وهناك أمامه متسع من الوقت لكل شئ. وهكذا آويا إلى جناحهما في فندق شرم الشيخ ذي الخمس نجوم وآوت أغراضهما إلى خزاناتها وآوى هو إلى أحضانها لينجز المهمة الصعبة! ، دقائق وبدأت الدماء تبرد في عروقه.. ما هذه الحبوب الحمراء الملتهبة التي تملأ ساقيها وفخذيها؟ وما كل هذه المسام الواسعة التي تملأ ما بين كتفيها وأعلى صدرها؟ لقد أخبرته ذات مرة بأنها مشعرة قليلا؛ فهل كل هذا من أثر إزالة الشعر؟ هل خرج من قوام (مها) الممهد التضاريس ليقع في بشرة (دعاء) غير الممهدة الملمس؟! لماذا لم تستعمل الأنواع الفاخرة من الكريمات التي لا تترك حبوبًا؟ حسنٌ.. كل هذا يمكن تداركه فيما بعد لكن ماذا عن الدماء التي بردت في حين أن هناك مهمة في انتظاره و(دعاء) خائفة إلى درجة الرعب والتشنج:

= مالك يا أمجد؟

_ لا شئ، أنا وأنتي متوترين وتشنجاتك لا تعطيني مساحة.

وعدلا عن أداء المهمة بشكل كامل واكتفيا بالممارسات السطحية، خلال ذلك وجد (أمجد) نفسه تلقائيًا يستحضر في ذهنه بعضًا من بطلات خيالاته السابقات كي يصل إلى مرحلة الذروة!. وخلال سبع ليال في شرم الشيخ استطاع (أمجد) استحضار كل نساء أحلامه بقصصهن المتنوعة، ولم يخل الأمر من محاولات لفض

الغشاء كانت كلها فاشلة. مرة بسبب برودة دمائه عنها، والمرة التي يستجمع فيها حرارة أعصابه وينفصل عن واقعه ويتعايش تمامًا مع (دعاء) كأنها إحدى فاتنات أحلامه؛ فإنه يصطدم بجدار صلب من تشنجات (دعاء):

= أنا سمعت إن الغشاء منه أنواع بتكون صلبة لدرجة يستحيل فضها بدون مساعدات جراحية.

_ وممكن يكون خوفك وتشنجك عامل انقباض قافل المجال.

= يعني أنا السبب؟

_ إحنا مش في إيه السبب دلوقتي، ولما نرجع بيتنا ونتعود على بعض أكتر هتتحل إن شاء الله.

لكن الأمر لم يختلف كثيرًا في الإسكندرية، ووافق (أمجد) على ذهابها مع أمها إلى طبيبة أمراض نسا التي أخبرتهما أن الغشاء من الدرجة الثالثة من أصل أربع درجات صلابة؛ يصعب لكن لا يستحيل فضه طبيعيًا، وأنها لا تفضّل التدخل الجراحي كي لا تهدم ثقة الزوج بنفسه، أما توترها وتشنجها بسبب الخوف من الألم فقد حبذت لها أن تستجمع شجاعتها وأن تشرب أعشابًا مهدئة قبل المارسة، فإن لم تكف فقد تضطر لاعطاها جرعة (روهيبنول) أو (الكيتامين) قبل المارسة لكنها ستكون غائبة عن الوعي وقتها!، ويبدو أن خوف (دعاء) من تعاطي هذه المواد المندرجة في فئة المخدرات قد تغلب على خوفها من الفض فاستجمعت شجاعتها واسترخت طبيعيًا بعد أن تناولت أطنانًا

من مشروبات الأعشاب المهدئة، وبعد عدة محاولات استعان فيها (أمجد) بكل نساء خيالاته تمت المهمة الصعبة... وتطلب الأمر منها بعد ذلك أن تعيد تحفيف بشرتها ثانية بشكل كامل وأن ينتظرا ليومين حتى تبرد التهابات منابت الشعر، وتساءل كل منهما في نفسه: هل ستتكرر هذه المعاناة كل شهر؟ وإن كان كلٌ منهما يسأل من زاويته هو:

_ هل هذا طبيعي؟ هل كل النساء مشعرات هكذا؟ هل الطبيعي أن تنبت للفتاة شعيرات أسفل ظهرها وعند كتفيها من الظهر؟ فما بال النساء اللاتي رأيتهن في شواطئ مصر وشواطئ أسبانيا وتايلاند؟

* * *

= هل ما يفعله (أمجد) طبيعي؟ أم أنه حساس بزيادة تجاه هذا الشعر الذي لا يخلو منه جسد فتاة؟ إن صديقاتي وقريباتي لم تشتك واحدة منهن أن زوجها يفعل مثل (أمجد)، قد أكون أغزر منهن بعض الشئ ولكنني تقريبًا مثل صديقتي (ولاء) التي لم تذكر يومًا أن زوجها يشمئز من ذلك، وهي صديقتي المقربة وكلانا موضع سر الأخرى.

هكذا حدّث كلٌ منهما نفسه حتى جاءت لحظة مصارحة بينهما:

= (أمجد) إنت مش بتبالغ شوية؟

_ إنتي فاكرة لما قلتي إنك مشعرة شوية؟ إنتي نفسك حاسة كده.

= زي ما إنت قلت: مشعرة شوية مش كتير.

_ والحبوب الملتهبة دي؟ عادي؟

= أيوة عادي، كل البنات كده.

_ لا إستني، أنا رحت بدل الشاطئ مائة جوا وبرا مصر، وشفت بدل المايوه ألف، صحيح كان فيه بعض بنات عندهم حبوب من عملية السويت، لكن مش كده.

ابتسمت في خجل وقالت:

= أنا ها أفهمك؛ وأنا في إعدادي وثانوي قبل الحجاب كنت في المصيف بأنزل البحر بشورت فوق الركبة، فكنت بأستسهل واعمل سيقاني بماكينة الحلاقة الرجالي، لكن تيتة شافتني مرة وبهدلتني، ومن يومها بطلت... معقولة ده السبب ؟

رد ساخرًا

_ إنتي شايفة إيه؟

ضحكت في خجل ثم سكتا، لكن باطنهما لم يتوقف عن الصراخ، فما إن يبدأ الشعر في التنبيت في ساقيها حتى يكون ملمسهما بعد عدة أيام كملمس ذقن الرجل النابتة بعد يومين من حلاقتها، وبهذا تتوقف بينهما اللقاءات الحميمة ولا تستطيع (دعاء) إعادة عملية التحفيف إلا عندما يبلغ الشعر طولا معينًا. حتى جاء يومٌ انفجرت فيه (دعاء) غضبًا لما اعتبرته إهانة لكرامتها:

= يمكن أنا مشعرة شوية، لكن حساسيتك دي مش طبيعية.

_ لا طبيعية وإلا ما كانت النساء في كل الدنيا بتعمل سويت.

= بيعملوا كده من أجل زيادة المتعة، لكن الزوج حتى لو مراته بطلت تعمل سويت خالص لن يهمه أي شعر لما تلح الرغبة عليه.

_ لو كان الموضوع قليل الأهمية ما كانوا عملوا إزالة الشعر بالليزر ولا كانت جداتنا اخترعن الوطوطة.

= إيه الوطوطة دي؟

_ لما بتتولد بنت وقبل ما تتم أسبوع من عمرها بيجيبوا وطواط ويدبحوه ويمسحوا جسم البنت كله بدم الوطواط.

= ياااااع.

_ شفتي؟ بيعملوا ال (يع) ده عشان البنت ما يطلعلهاش شعر في جسمها طول عمرها، يبقى أكيد الشعر ده شئ مش ظريف وأنا ليا حق أقرف منه!

و لم ينتبه (أمجد) لكلمته الأخيرة إلا بعد أن نطقها، وصاحت (دعاء):

= يعني بتقرف مني؟ طيب أنا ها أريحك من القرف ده خالص.

و أسرعت تلملم بعض أغراضها..

_ إنتي بتعملي إيه؟

= وإنت عايز تقعد مع واحدة بتقرف منها ليه؟

_ إعقلي يا دعاء، أنا قصدي الشعر مش إنتي.

= وده شعر جسمي وللا شعر الجيران؟

و حاول منعها من لملمة أغراضها فكأنه ضغط على زر سحري لتخرج منه (دعاء) أخرى، فأصبحت عيناها وكأنهما تدوران في مقلتيهما وترتعش شفتاها من العصبية، وأخذت القذائف الصوتية تخرج من فمها كمسدس الصوت، بدون ألفاظ جارحة لكنها تصم الآذان، وعبثًا حاول تهدئتها وحتى لما قال لها: صوتك والجيران؛ ظنًا منه أن هذا سيعيد لها بعضًا من هدوئها لكنه كان كمن يسكب الزيت على النار ليطفئها، فتركها تمضي في حال سبيلها.

ساعة واحدة وانهمرت الاتصالات على (أمجد)؛ من أم دعاء وأبيها وجدتها وخالها وعمتها... يا الله! هذه المتهورة أخبرت الجميع بكل شئ، حتى هيأ له أنه قد يجد الخبر في القناة الخامسة!، الكل يلومه على جرحها والكل يبرر لها صوتها الرعدي وتركها البيت، والجميع يلومه على استنكاره أنها نشرت المشكلة هكذا بين أهلها: إن لم تلجأ لأهلها وقت المشاكل فلمن ستلجأ؟... هنا أدرك (أمجد) معنى ما سمعه من قبل: إن ضوء العيب الذي ستراه خافتًا أيام الخطوبة ستراه مبهرًا يعمي الأبصار بعد الزواج.

* * *

لم تتوقف المشاكل بين (أمجد) و(دعاء) عند السبب الجنسي، فكثيرًا ما وقع سوء التفاهم لأمور صغيرة مدهشة...

= عايزين نشتري طفاية سجاير للصالون.

_ عندنا طفاية كريستال.

= لا دي تتبهدل من السجاير، عايزين طفاية تكون طفاية سجاير فعلا.

_ إنتي عارفة إني حساس من رائحة السجائر.

= يعني لو جاء أحد من أهلي يزورنا وعايز يشرب سجاير يعمل إيه؟ إنت عارف إن أخوالى وأعمامي مدخنون شرهون.

_ عادة اللي بيلاقي أهل البيت مش حاطين طفاية سجاير بيحترم رغبتهم ويقول أستحمل الساعتين دول.

= أه... يعني إنت عايز خالى أو عمي يقعد ساعة ويمشي، أو يمكن مش عايز حد يزورك منهم أصلا.

الذي أدهش (أمجد) أنه وجد حماته تتصل به بعد ساعتين لتسأله: صحيح يا أمجد إنت مش عايز حد من أهل دعاء يزوركم في البيت؟!

و حمد الله أن حماته سيدة عاقلة ولم تسارع بإخبار أحد من أهلها قبل أن تستوثق من أمجد حقيقة ما حدث!

* * *

تغلب (أمجد) و(دعاء) قليلا على معضلة شعر الساقين، فما إن يبدأ في التنبيت ويميل ملمس ساقيها إلى الخشونة حتى تبادر هي إلى ارتداء جوارب (فوال) بطول ساقيها بالكامل، ويتجاهل (أمجد) أسفل ظهرها ويتجنب ملامسته. أما الشئ الذي لم يستطع أن يتجاهله ولا التغلب عليه فهو رغبته

القهرية في استحضار خيالاته القديمة، إنه لا يستثار إلا بهذا، حتى أنه دهش لما وجد نفسه ذات مرة يستحضر (مها) في خياله وهو في أحضان دعاء!. وكثيرًا ما خاطب نفسه: هل العيب في أنا أم في (دعاء) و(مها)؟ لا بد أن هذه العادة الزفت هي سبب ما أنا فيه، ولكن مهلا.. لقد كنت مع (هويدا) بكامل أحاسيسي وتركيزي... صحيح أنه قد نفر قليلا من حبوب ظهرها ولكنه كان معها وحدها بغير شريكة لها في خياله، أم أن ذلك كان سيتغير حين يكمل معها العلاقة إذا كانا قد تزوجا؟

* * *

حتى أكثر الفتيات غفلة كانت لتدرك أن (أمجد) في أحضانها بجسده فقط؛ فكيف ب (دعاء) وطبيعتها المتشككة؟ إنها بسهولة ستدرك أن عقل (أمجد) ليس معها، بداية ظنت أنه لم يتخلص من حبٍ قديم وأنه ينام مع حبيبته في أحضانها هي، لكنها فطنت إلى الحقيقة حين سها (أمجد) عن أحد سراويله المبللة تحت وسادته، أحست هي بجرح أنوثتها وإن كان أمر السروال هذا أخف وطأة من بقايا حبٍ قديم. انعكس ذلك بالطبع على جو البيت؛ فبيت الزوجية بغير فراشٍ دافئ بيئة خصبة للشجناء والتوتر مصحوبين بنشرة صوتية تخبر الجيران عما يدور من خلافات. طبعًا لا يخلو الأمر من ساعات صفا بعد نزهة جميلة أو سهرة حلوة؛ خاصة إذا نجح أمجد في التركيز مع دعاء وحدها وتألقت هي في إعداد نفسها، لكن ذلك لم يتكرر إلا لمرات قليلة.

الحقيقة أن (أمجد) و(دعاء) كانا يصلحان كصديقين لكن وجود الزواج بينهما بغيرته ومتطلباته العاطفية والجسدية قد أفسد ما بينهما، إن (دعاء) تغار من خيالها وتحب (أمجد)، لكن إحساسها بزهده في أنوثتها يقتلها ويزيد من حدة ردود أفعالها وهي المرأة العصبية أساسًا، وأكثر ما كان يغيظ (أمجد) في انفعالاتها تلك هو صوتها الرعدي وقدرتها على مواصلة الشجار بغير توقف. جرب معها كل شئ؛

- إذا سكت تمامًا اعتبرت ذلك إقرارًا منه بالخطأ فتستمر في تقريعه بغير توقف.

- إذا رد عليها كلمة بكلمة كان كمن سكب الجاز على النار.

- إذا رفع صوته أعلى من صوتها كي لا تتوهم أنه ضعيف تتحول صيحاتها إلى صراخ هستيري وتشنج.

- إذا ترك لها المنزل تعقبته بالاتصال وإذا أغلق هاتفه انتظرته حتى يعود كي تواصل كلامها من حيث توقفت!

المرة الوحيدة التي قرر فيها إحراجها واتصل بوالدتها أثناء نوبة غضب لها ندم عليها أشد الندم، فهذه أسرة تقف في صف ابنتها على طول الخط ولا تقر أبدًا أن ابنتهم على خطأ، ولا تعترف بجلسات الصلح الأسرية المغلقة وإنما تؤمن بجلسات العرب العرفية الموسعة! حتى أقسم (أمجد) ذات مرة أنه لن يذهب إلى أي جلسة يزيد فيها الحضور عن أبيها وأمها.

أثرت هذه الأجواء المتوترة على رغبتهما في الإنجاب، البعض فسر تأخر الحمل لقرابة السنة إلى تغير في طبيعة رحم (دعاء) إلى طبيعة حامضية بسبب ما هي فيه من نكد وتوتر فقلت بذلك فرص التخصيب التي تتطلب رحمًا قاعديًا، لكن الأساس كان خوف الطرفين من مستقبلهما معًا الواضح في عدم استقراره؛ ماذا سيكون ذنب ذلك الطفل؟

الطلاق كان واردًا في خاطرهما، لكنه ليس بالقرار السهل بين فردين نشئا في بيئة محافظة، وما هو المبرر؟ العصبية والصوت العالى؟ الغيرة والظن السئ؟ عدم التفاهم؟... ليست بالمبررات القوية، وبالطبع لا يجرؤان على التصريح بمبرر الفراش البارد، فكان لابد للحياة أن تستمر هكذا حتى يلوح في الأفق إما أملٌ بالانسجام بينهما أو أن يظهر مبرر قوي لهدم بيت الزوجية... وهو ما كان!

* * *

عاد (أمجد) إلى بيته في بداية إسبوعي راحة عمله، سلم على (دعاء) وقبلها واتجه الى الحمام ليغسل عن نفسه آثار السفر، خرج ممنيًا نفسه بوجبة غداء شهية من يدي (دعاء) الماهرة في الطهي ليجدها تسأله بوجه متجهم:

= مين (فاتيما) دي؟

_ فاتيما مين؟

= إحنا هنستعبط؟ فاتيما اللي مكلماك إمبارح الساعة 3 الفجر.

_ إحترمي ألفاظك مع جوزك؛ إيه نستعبط دي؟ ثم إسمها (فاطمة).

ردت بسخرية:

= وسعادتك كاتبها بإسم الدلع كمان: فاتيما!

_ هو إيه أصله ده، كل الأسامي على موبايلي مسجلة بالإنجليش، عشان كده مكتوبة Fatima زي ما الأجانب بيكتبوا.

= يا سلام! طيب ما تكتبها Fatma؟ وللا الخبراء الأجانب في الشغل بيعملوا ليكم تصحيح لغة؟

_ هو ده اللي مزعلك قوي؛ فاتيما مش فاطمة؟

= لا طبعًا... مين الهانم اللي تكلم راجل متجوز الساعة 3 الفجر؟

_ دي مسز فاطمة مديرة الHR ، وكان عندنا مشكلة في اللوجستيك فأنا كلمت واحد من HR وهو صعد الموضوع ليها، فهي اتصلت بي باعتباري superintendent الموقع عشان تناقش المشكلة معي.

= وهي عادي تصحى وش الفجر تكلمك؟

_ ما إنتي مش مقدرة معنى إن عربيات مياه الخدمات تتأخر... تخيلي نفسك بعد 12 ساعة شغل وعرق مش عارفة تستحمي.

= واضح إنكم واخدين على بعض قوي، مسجلها (فاتيما) من غير كلمة مسز اللي طلعت دلوقتي.. دي فين جوزها دي؟

انسحب أمجد من لسانه وقال:

_ دي مطلقة، لكن حتى لو متجوزة؛ هي بتكلم حد غريب؟ ده شغل يا ماما.. شوووغل.

صرخت دعاء:

= وكمان مطلقة؟ يعني ست ملهاش ضابط يضبطها.

_ إحترمي نفسك واتقي الله في كلامك عن بنات الناس، دي ست محترمة عندها 45 سنة وعندها ولاد قريبين منك في السن.

= أنا تقولي إحترمي نفسك؟ وعشان الست اللي مش محترمة دي؟

رد باشمئزاز

_ إنتي إزاي تعيبي وتجرحي في بنات الناس بالشكل ده؟ أيوه محترمة غصب عنكِ.

صرخت دعاء

= دي لا بنت ناس ولا محترمة ولا حاجة.

_ إنتي مش متربية كويس!

صرخت دعاء وعيناها تختنقان بالدموع

= أنا مش متربية؟ طيب لو كنت راجل وعندك كرامة طلقني.

صرخ أمجد

_ أنا راجل وعندي كرامة وإنتي طالق!!

وخيم بينهما السكوت المطبق، وبهتا لعدة دقائق ينظر كلٌ منهما للآخر ولا ينطق.

* * *

= ألو، أيوه يا (أمجد)

_ أيوه يا عمي... دعاء حكت لحضرتك اللي حصل؟

= ربنا عمل العصمة في إيد الراجل عشان بيقدر يحكّم نفسه، مش يتهور ويرمي اليمين لحظة الغضب.

_ يعني هي لما تقعد ساعة تتخانق وتشتم عشان شاكة إني على علاقة بواحدة أكبر مني ب 10 سنين، وبعدها تقولي لو راجل وعندك كرامة طلقني... عادي يعني؟

= ترجعلنا وإحنا نجيبلك حقك.

_ وأنا رجعت لحضرتك قبل كده أكتر من مرة وعمركم ما طلعتوها غلطانة.

= إنت ما تعرفش إحنا بنقولها إيه بيننا وبينها.

_ وأنا عمري ما شفت أي تغيير، ثم هو المفروض الزوج كل ما تغلط فيه مراته يروح يحكي لأهلها؟

= لأ... المفروض يرمي اليمين ويخرب البيت.

_ أنا ما عملت كده إلا بعد 20 خناقة وبعد ما غلطت فيا أكتر من مرة.

= بقولك إيه، كلام التليفون ما ينفعش، إحنا منتظرينك في بيت جدها.

_ بيت جدها؟ ومنتظرينك؟ مين اللي منتظرني؟

= أنا وجدها وأخوالها وعمها، عايزينك بكرا.

_ آسف يا عمي، أنا طلبت (دعاء) من حضرتك ومش هقعد إلا مع حضرتك وطنط بس وفي بيت حضرتك.

صرخ فيه والدها

= إنت هتتشرط علينا؟ ليك عين كمان؟

_ آسف يا عمي، أنا مش هقعد في مجلس عيلة تاني، حضرتك وجدها على عيني ورأسي من فوق، لكن مش هقعد تاني مع 10 رجال يلقفوني لبعض.

* * *

مر قرابة الشهر والطرفان صامتان إلا من بضع مكالمات متبادلة بين أفراد عائلتي الطرفين تدور كلها في دوائر من جمل مكررة:

- أمجد غلطان أنه تسرع بالطلاق.

- دعاء غلطانة لكن أمجد عصبي ومش بيمسك نفسه.

- لو كل الرجال عملت كده مفيش بيت هيعمر.

- أمجد كان مفروض يستوعب دعاء.

- إزاي دعاء تفتش في موبايل أمجد وتشك إنه على علاقة مع ست أكبر منه ب 10 سنين.

- الست مش مفروض تعلي صوتها وتطول لسانها على جوزها.

و تثور المكالمات ثم تهدأ، حتى جاءت ليلة دق فيها موبايل (أمجد)، نظر في الرقم مندهشاً قبل أن يرد:

_ أيوة يا (دعاء) إزيك؟

= الحمد لله يا (أمجد)... (أمجد)؛ أنا حامل في شهرين!

* * *

تطابقت مشاعر (أمجد) و(دعاء) ما بين فرح داخلي بفكرة الإنجاب وما بين إحباط في المقابل من حمل يوثق رابطة الزواج الذي يشكان في قدرته على الصمود، والاثنان دهشا لحدوث الحمل رغم ما اتخذاه من احتياطات (طبيعية)، هل أخطئا في حساب مواعيد التبويض؟ هل لم يحكما العزل؟ وفي النهاية سلما بأنها إرادة الله وكفى بها سببًا.

وكان طبيعيًا أن تعود (دعاء) (لأمجد) ، وذهب لإحضارها من بيت أبيها مصطحبًا أمه فقط كي يقطع الطريق على أي جلسات سخيفة يزايد فيها محارم (دعاء) على بعضهم البعض في إظهار الحمية لها. لكنه لم يجد في استقباله إلا والد (دعاء) وجدها فقط، وتحمّل تقريع والدها له وإن كان وجود أمه معه قد أجبر والدها على تخفيف كلماته.

تراجعت المشاكل وقل التوتر بين (أمجد) و(دعاء) بعد عودة حياتهما الزوجية، تخلت (دعاء) عن عصبيتها وخففت بشكل ملحوظ من رنين صوتها،

وتعلما سويًا تفويت الهفوات لبعضهما وصارا أكثر صبرًا وحكمة. أما الشئ الذي اختلف حقًا فكان حرارة الفراش بينهما؛ هرمونات الحمل في شهورها الأولى زادت من أنوثة (دعاء)، وظهر ذلك على ملامح وجهها واستدارات جسدها وعلى تراجع ظهور الشعر في جسدها بشكل واضح، وانعكس دفء الفراش بينهما على انسجامهما معًا وعلى هدوء البيت.

ظلا هكذا لفترة لا تطل عليهما إلا المشاكل المتادة بين أي زوجين، لم يكن يضايق (أمجد) إلا بعض تحكمات (دعاء):

= أريد أن أبيت ليلتين عند أمي لأني متعبة من الحمل، ولا أستطيع الانتظار حتى نهاية أجازتك.

= أريد أن أخرج الآن لأني أحس بالملل.

و الطلبات هنا غير قابلة للنقاش؛ أنا حامل ولابد أن تريحني نفسيًا. ومن أجل الراحة هذه توقفت (دعاء) تقريبًا عن أداء أي شئ في المنزل إلا بعض الأمور الخفيفة، لكنها لم تكن متعبة في أي مرة يطلبها (أمجد) في الفراش.. حسنًا؛ لا بأس من بعض الأمور البسيطة من أجل أن تمر الحياة.

لكن شخصية (دعاء) أخذت منعطفًا آخر نحو حب السيطرة والتملك، في البداية ظن (أمجد) أن طلب شراء سيارة أمر طبيعي لزوجة حامل في بلد ردئ في مستوى مواصلاته، لكنه لم يفهم علاقة الحمل بطلب دعاء شراء ذهب لها، ورغبتها في تغيير ديكورات الشقة بحجة أنها أعدت قبل زواجها وليست

ديكورات على ذوقها هي. مع أنها لم تطلب ذلك أيام الخطبة بل أبدت إعجابها بالذوق العالى لهندسة الديكور. لم يوافق (أمجد) في البداية على ذلك فهو يراه ديكورًا جديدًا نفيسًا قد تكلف الكثير، لكنه بعد عودة للمشاحنات وظهور بوادر الغضب المصحوب ببوادر عودة الصوت المرتفع؛ وافق على بعض التجديدات الظاهرية التي لا يصاحبها أي تكسير، لكنه انتفض مزمجرًا حين ألمحت له برغبتها في كتابة الشقة باسم الطفل المرتقب، مرسلا بتعبيرات وجهه ولغة جسده رسالة شديدة الوضوح ترفض مجرد النقاش في ذلك الأمر.

كان ذلك الموقف إيذانًا بانتهاء شهر العسل الثاني بينهما، فعاد التقطيب يظهر على وجهيهما؛ (أمجد) يظن أنها تبتزه بالحمل، و(دعاء) لم ترو إحساس طلب الأمان الذي انتابها بعد حدوث الحمل خصوصًا أن إحساس الأمان هذا قد اهتز عندها بعد الطلقة الأولى، وانعكس ذلك على حرارة الفراش شيئًا فشيئًا.

حتى جاء يوم فتحت فيه (دعاء) الحوار:

= السونار بيقول إنها غالبًا بنت.

_ كل اللي يجيبه ربنا كويس

ثم ابتسم في خبث وقال:

_ كان باين عليكي إنها بنت على فكرة.

ابتسمت في خجل ثم قالت:

= لو بنت أنا هسميها (كنزي).

_ ! !

= ساكت ليه؟

_ بتقوولي هسميها كأني مليش فيها.

= إحنا اتفقنا لو بنت أنا اللي هختار لها اسمها.

_ إمتى اتفقنا بقااااا؟

و مط في مخارج حروفه

= زمان أيام الخطوبة.

_ طيب كويس إنك فاكرة الحوار ده، يبقى أكيد فاكرة إن ده كان كلامك إنتي وإن أهلك لاموكي على طريقتك يومها وإنك اعتذرتي عليها وإننا ما اتفقناش أصلا على حاجة.

= كوني اعتذرت فأنا اعتذرت عن الأسلوب، لكن ده ميغيرش شئ في موقفي... ثم هو اسم (كنزي) وحش؟

_ حتى لو كان أحلى اسم في الدنيا، ما ينفعش تقرريه لوحدك.

وتوقف الحوار بينهما عند هذه النقطة، لكنها عادت بعد عدة أيام وهما يتناولان الغداء سويًا في أحد المطاعم:

= أنا غيرت رأيي وشايفه إن اسم (جودي) أحلى.

ابتسم (أمجد) في صمت فقالت له:

= بتضحك ليه؟

_ أصلك كنتي مختارة اسم (كنزي) من كام يوم وبتتخانقي علشانه.

= هو ده اللي بيضحكك ولا إنت مقرر اسم مع نفسك ومش عايز تقول؟

رد عليها باستغراب:

_ إيه اللي خلاكي تقولي كده؟

ثم ابتسم ثانية من الدهشة، لكنها فهمت ابتسامته على أنها ابتسامة خبث فقالت:

= أه.. يبقى إنت فعلا مقرر اسمًا مع نفسك وبتاخدني على قد عقلي.

سكتت لثوانٍ ثم قالت:

= (أمجد) إنت عايز تسميها على اسم مامتك؟

اندهش (أمجد) وقال:

_ إيه اللي خلاكي تفكري في كده؟

احتدت قليلا وقالت:

= يبقى أنا كان شكي في محله... كنت بتاخدني على قد عقلي وإنت مقرر الاسم مع نفسك.

_ أنا مش هارد عليكي خصوصًا إننا في مكان عام والناس ابتدت تحس

بينا.

= أنا ما يهمنيش الناس. أنا يهمني أفهم دلوقتي؛ إنت فعلا ناوي على كده؟

نظر إليها (أمجد) ولم يجب، فاستمرت هي في الحديث وبنبرة صوت أعلى، فقام بدفع الحساب ثم وقف وهو يقول لها:

_ هيا بنا.

لم تتوقف (دعاء) عن الكلام طوال الطريق و(أمجد) يتمالك في أعصابه وهو يقود السيارة:

= إنت سايبني أهاتي مع نفسي ومش بترد عليا ليه؟ هه؟ ليه؟

ثم مدت يدها إلى ذقنه لتليح وجهه إليها كي يرد عليها، فأوقف (أمجد) السيارة على جانب الطريق ثم صرخ فيها:

_ إنتي مجنونة؟ عايزانا نعمل حادثة؟ مفيش تمييز خالص؟

صمتت (دعاء) بقية الطريق حتى ظن (أمجد) أنها قد انتهت من نوبة غضبها، لكنها ما إن دلفت من باب الشقة حتى انطلق شلال الكلام منها كالرشاش في سرعة قذائفه وقوة صوته، هنا كان (أمجد) قد استنفد ما لديه من صبر، فأرغى وأزبد في الكلام وبادل طلقاتها بطلقات أشد، واكتشف وجود طبقة صوت عالية لديه لم يكن قد استعملها من قبل، يبدو أن تحاشيه للرد عليها من قبل قد جعلها تظن فيه ضعفًا، أو أن نفسه القصير في الشجار جعلها تظن أن

نفسها الطويل هو عامل قوتها أمامه؛ هكذا كان تفكيره فأخذ يكيل لها الكلمات – بطبقة صوته الجديده تلك – عن سوء ظنها وعقلها الذي لا يزن الأمور وطمعها وحبها للسيطرة... وفجأة صرخت (دعاء) بهستيريا لمدة دقيقة ثم صمتت فجأة ووضعت يدها على بطنها وهي تتأوه وقالت:

= (أمجد)؛ وديني المستشفى!

* * *

بعد محاولات قرر الأطباء أن لا أمل في إنقاذ الجنين ويجب إكمال الإجهاض، وبعد أن خرجت من غرفة العمليات أراد (أمجد) الدخول إليها في غرفتها كي يطمئن عليها، لكنه فوجئ بخالٍ لها – معروف بالثراء وبالغرور أيضًا –يتصدى له ويقول:

= روَح يا (أمجد) مش عايزينك هنا.

نظر له (أمجد) في ثبات بينما قلبه يدق في عنف ثم قال:

_ أنا جوزها وإنت ملكش إنك تكلمني بالشكل ده.

صاح خالها:

= فين مدير المستشفى؟ فين المسئولين هنا؟

و مضى وكأنه يبحث عن أحد هؤلاء المسئولين، فقرر (أمجد) دخول غرفة (دعاء)، لكنه فوجئ بعودة هذا الخال ويقوم بجذبه بعيدًا وهو يقول:

= أنا قلتلك ما تدخلش عندها، ليك عين بعد ما سقطتها؟!

نفض (أمجد) ذراعه بعيدًا عنه فلكمه خالها، فبادله (أمجد) لكمة بلكمة، فوثب إليه خالها الثاني وعمها وأخذوا يضربونه!، لحظات وقام العاملون بالمستشفى بالفصل بينهم وأخرجوهم جميعًا.

* * *

_ شوف يا عمي طلباتكم إيه علشان الطلاق.

= تعال نقعد ونشوف حقوقها الشرعية ونفقاتها وخصوصًا إنك إنت السبب في الإجهاض.

_ آآآه.. أنا اللي افتعلت مشكلة الأسامي من الهوا، وأنا اللي فرجت الناس في المطعم علينا، وأنا اللي شديت وجهها وهي بتسوق وكنت هتسبب في حادثة، وأنا اللي قعدت أصرخ بهستيريا.

= ما هي عمايلك هي اللي خلتها تشك فيك وتعمل كده.

_ تشك فيا؟! ده على أساس إني كنت بخونها؟ ولا على أساس إن تفكيرها ده منطقي؟

= إنت كزوج مطلوب منك إنك تستوعبها وتزيل وساوسها... إنت الرجل.

_ أنا مطلوب مني إني أستوعب وأزيل وساوس وأتحمل زعيق وشك واتهامات وأتحمل بهدلة أمام الناس، وهي مش مطلوب منها حاجة خالص.

= عمومًا الكلام ده ملهوش لزوم خلاص، إحنا عايزينك في بيت جدها و...

قاطعه (أمجد) بصوت هادئ وهو يضغط على مخارج الحروف:

_ عمي: أنا مش هقعد تاني مع الناس اللي إتهجمت عليا ، ومش هقعد إلا مع حضرتك أو في بيت الزوجية، ولو لقيت حد منهم موجود أنا همشي فورًا.

* * *

و تم الطلاق على خير، ولم يختلف الطرفان كثيرًا بعد أن رفعا شعار نخرج بالمعروف كما دخلنا بمثله، وأخذت (دعاء) كافة مستحقاتها وأخلت الشقة من الأثاث الذي دخلت به، ورفض (أمجد) أن يعود للعيش مع والدته وأن يترك شقته، واستعان بمهندسة الديكور ثانيةً في انتقاء وشراء فرش جديد متلائم مع الديكورات التي صممتها هي من قبل، كأنه كان يكافئ نفسه أو يعوضها عن الطلاق، بل قام بشراء المزيد من الكماليات وكأنه يثبت لنفسه – أو لأهله – أن بيتًا لم ينهدم.

ظل (أمجد) بعد الطلاق لفترة لا يطيق كل ما يمت لنون النسوة بصلة، يرفض كل أشكال التعارف، ولا يعطي أذنه لأي شخص يحدثه عن وجود عروس له، كان مستمتعًا بالوحدة بأقصى درجة؛ يذهب للسينما أو للكافيهات وحده، أخذ ينظم رحلة سفر سياحية في كل راحة شهرية، سافر إلى الغردقة ومراكش وبيروت وجزيرة لنكاوي بمفرده، وتجاهل كل إشارات بائعات الهوى أو راغبات التعارف بهذا السائح الأعزب، وكاد أن يقع على قفاه من الضحك حين قرأ في إحدى المجلات رأيًا (لشوبنهاور) عن المرأة: المرأة تختلف عن الرجل،

إنها من فصيلة أخرى غير فصيلة الرجل. إن الرجل تلفت حوله فلم يجد بين إناث الكائنات سواها فتزوجها، إنها مختلفة تمامًا عن الرجل. إنها أنثى لكائن آخر انقرض! . كم أنت عظيم أيها الشوبنهاور. لكنه تراجع عن إعجابه هذا حين عرف أنه فيلسوف ملحد وحين قرأ عن مأساته مع أمه.

مع الوقت بدأت الوحدة تضايقه ويحن لوجود الجنس الآخر في حياته ولو حتى بدون جنس، مجرد وجود الطيف الأنثوي ولو عبر الهاتف، لا يدري لماذا تذكر (بريندا) الألمانية فجأة، إنهما لم يتحادثا طوال فترة زواجه إلا مرة واحدة.

وبدون تردد فتح محموله واتصل بها؛ هل غيرت رقمها؟ هل ستتذكره؟ فوجئ بصوتها يأتيه على الطرف الثاني مرحّبًا به وتلومه في ود على تأخره في السؤال عنها. لكنه أُحبط عندما أخبرته أنها ارتبطت عاطفيًا بزميل لها في العمل وأنهما يخططان للزواج، اصطنع كلمات المجاملة ثم أنهى المكالمة وهو يستغرب نفسه؛ لماذا أُحبط أصلا؟ هي لم تقبل بالعيش في (مصر)، ولا تقبل بتكوين علاقة بدون زواج أو مشروع زواج، وهو يدعي أنه كره نون النسوة بمشتملاتها.. إننا في كل مرة ندعي أننا نفهم أنفسنا نفاجأ بها تدهشنا بما لا نتوقعه منها.

عودٌ غير أحمد

عاد (أمجد) من جديد لتفعيل صفحته على موقع (الوداد) بعد تغيير بياناته من أعزب إلى مطلق، توقف عن إرسال طلبات إضافة لمن تعجبه صفحاتهن بعد أن تلقى رفضًا متكررًا منهن، واكتفى بإلقاء سنارته في انتظار حضور الطلبات إليه.

اختلف كثيرًا شكل هذه الطلبات ومضمونها عما كان قبل زواجه؛ فكلمة مطلق والسن الذي يقترب من الأربعين أثّرا كثيرًا على أسهمه في بورصة الموقع، حتى عندما كان يستبشر بطلب تعارف يأتيه من فتاة تحت الثلاثين؛ كان لا يلبث أن يدرك أنها إما لا تناسبه من حيث الجمال أو من حيث المستوى الاجتماعي. ومع الوقت أدرك أن أسهمه يمكن أن تلقى رواجًا عند الفتيات اللاتي تجاوزن سن الثلاثين أو عند المطلقات في أي سن، الغريب الذي لاحظه أن هذا الموقع يندر فيه وجود الأرامل.

تحول الموقع معه إلى ما يشبه الإدمان، لا يكاد يمر يوم حتى يتعرف على فتاة وأحيانًا أكثر، معظمهن لم يتخطين مرحلة الدردشة. صادف نماذجَ من كل لون؛ المتدينة، محبة الحياة، المتفلسفة، البسيطة، المجنونة، المعقدة، محبة السيطرة، المغرورة، الملتصقة التي تأبى أن ترحل مهما صددتها، الراقية اجتماعيًا بحق، مدعية الرقي الاجتماعي والتي تلوي لسانها في نطق الإنجليزية

بطريقة مضحكة، خفيفة الظل بحق والأخرى التي تصطنع ذلك بسماجة، عاشقة الاستعراض... هذا بجانب نوعيات غريبة لم يستطع تصنيفهن:

_ ألو أنا أمجد

= أنا لمياء

و بعد تبادل التعارف وارتياح كل طرف للآخر ويبدأ الحديث في أخذ طريقه السلس...

_ لمياء عن إذنك دقيقة واحدة أفتح للدليفري وأجيلك.

يعود ليجدها قد أنهت المحادثة وعملت له حظرًا بالإضافة إلى رسالة في صندوق الرسائل تقول له فيها:

= خليهم ينفعوك!

وأخرى أيضًا حار في تصنيفها:

_ أنا أمجد

= أنا منى

و بعد التبادل المعتاد للبيانات ومقدمات الكلام التي أصبحت محفوظة

_ منى، ممكن أشوف صور ليكي؟

= أنا آسفة ، أنا مش ببعت صوري على النت.

_ طيب مش مفروض أشوف صورة اللي ممكن أرتبط بيها؟

= طيب أنا ممكن أحط صورتي على بروفايل صفحة الشات... ها؟ إيه رأيك؟

_ بصراحة إنتي عارفة إن صورة ال (شات بروفايل) بتبقى 2 سم x 2 سم، وكمان الصورة اللي حملتيها كادر مفتوح فمش باين أي حاجة.

= معلش كل واحد وطباعه.

_ مفيش مشكلة، أنا باحترم خصوصيات الناس.

= لو متضايق ممكن ننهي الدردشة... ربنا يوفقك.

_ ها ها ها

= مش نكتة، واحد زائد واحد يساوي اتنين، ليه تفضل مش مرتاح؟

_ هو أنا مش قلتلك عادي وإني باحترم خصوصيات الناس؟

= لأ إنت مقلتش عادي، وواضح إنك جاي على نفسك، وليه تكمل في حاجة مش واضحة... سلام.

و بالطبع أنهت المحادثة متبوعة بالحظر المتين!

واضح إن الموقع مفيد أيضًا في مقابلة نماذج من البشر لم نعهدها من قبل.

* * *

خطرت لأمجد خاطرة طريفة؛ إذا كان هذا حال فتيات الموقع، فماذا عن الشباب؟ فقام بإنشاء صفحة له باسم فتاة، واختارها عشرينية لم يسبق لها الزواج، لم يضع صورة لكنه كتب أن كل من يراها يقول عنها أنها جميلة، وأنها

لا تشاهد المسلسلات وتحب مشاهدة كرة القدم. ذهل (أمجد) من كمية الطلبات التي انهالت على أنثاه المفترضة تلك: طلبات تعارف ورسائل فيها بريد إلكتروني وأرقام موبايلات، وعروض زواج بعضها جاد وأخرى تشم فيها رائحة الصيد المحرم – فالرجل يدرك غرض الرجل بسرعة.

صفحات الرجال في الموقع أكثر عددًا من صفحات النساء، بل ومئات الشباب تحت الثلاثين يطلبون الزواج، إذا كانت قلة فرص الزواج إجبارية على الفتاة لأنها تنتظر قدوم العريس؛ فلماذا هي كذلك على الشباب؟ هل الواقع الافتراضي موضة؟ أم أن الاختيار فعلا صعب برغم كل الانفتاح الموجود في المجتمع؟

* * *

أغلق (أمجد) هذه الصفحة النسوية بعد أسبوع بعد أن جاءه طلبات تعارف وإضافة تفوق في عددها ما يجيئه على صفحته الذكورية في عام، وعاد إلى صفحته الأصلية ليجد رسالة من فتاة من أغرب النماذج التي يمكن أن يصادفها:

– أنا (رانيا)، كلمني على الرقم 01

* * *

ذهب للقائها كما تواعدا هاتفيًا، فوجئ بأنها جميلة كما قالت عن نفسها ولم تكن تبالغ، بل كانت بارعة الجمال، طويلة بل تقترب منه طولا، لو أنها قالت لك أنها لبنانية أو روسية لما كذبتها، عرف أنها مطلقة وليست آنسة كما كتبت على صفحتها.

في لقائهما الثاني بدأت تتكلم عن الزواج بل وعن قيمة الشبكة أيضًا:

لماذا هذا التعجل...

أنا من أسرة محافظة ومطلقة لذا فالأمور لا يجب أن تطول...

حسن جدًا سآتي للتعرف بأهلك...

والدي يعمل مهندسًا في الإمارات...

إذن سأنتظره حتى يعود في أجازته؟..

لا ليس ضروريًا، تعال قابل أمي وأخي.

ذهب إلى حيث تسكن؛ عمارة حديثة في منطقة راقية والمنزل من الداخل يشي بارتفاع مستوى أصحابه ماديًا، لكنه فوجئ بوجود أمها فقط، أين أخوها -المحاسب في بنك استثماري ؟- إنه مع خطيبته ينتقيان بعضًا من جهاز بيتهم فالعرس قد اقترب! ، غريب أمر هذه الأسرة؛ عريس في زيارتهم من أجل خطبة ابنتهم ولا الأب موجود ولا حتى الأخ؟ وهو الذي كان يفكر في اصطحاب والدته؟ لكن حسنًا فعل أنه تريث حتى يتعرف عليهم أولا.

الأم مرحبة والأسرة ترغب في سرعة إتمام الزواج..

- يجب أن ننتظر عودة أبيها في أجازته القادمة.

- لا بأس ولكن لا بد من أي ارتباط رسمي الآن.

- مثل ماذا؟

- خطوبة وشبكة.

نزل من بيتهم والتساؤلات تملأ رأسه. وأول ما عاد هاتف (رانيا):

_ ما داعي العجلة بالخطبة والشبكة؟ نحن لم نتحدث مع بعضنا إلا بضع مكالمات.

= لن أستطيع التحدث معك قبل وجود رابط رسمي بيننا.

_ كل عرسان الدنيا يتكلمون مرة واثنين وعشرة قبل الإقدام على الخطبة.

= إحنا لأ، نحن أسرة محافظة... لازم خطوبة ولازم شبكة الأول.

لم يفهم (أمجد) علاقة الشبكة بأن يتعرف العريس على عروس لا يعرف عنها شيئًا من قبل، خصوصًا وأنها غير محجبة بل وجريئة في طريقة لبسها؛ فكيف تدعي أنها محافظة ولا تقبل بمزيد من التعارف مع من دخل البيت من بابه حتى تتم الخطبة والشبكة؟ دق جرس الخطر في عقله، حسن جدًا؛ لنجري اختبارًا صغيرًا:

_ أيوة يا (رانيا)، غير معقول نعمل خطوبة وأبوكي مش موجود.

= يا سيدي إحنا ما عندناش مشاكل.

_ طيب إحنا نقسم البلد نصفين؛ أجيب أهلي نعمل قراية فاتحة رسمي وأقدم لك خاتم هدية، وناخد وقتنا في التعارف لحد ما يرجع والدك في أجازته؛ وقتها نعمل خطوبة ونجيب شبكة.

= لا ما ينفعش.

_ ليه؟ مش اللي يهمك أنه يكون بيننا شئ رسمي؟

= رسمي يعني خطوبة وشبكة.

_ الخطوبة زي قراءة الفاتحة؛ الاثنين وعد رسمي بالزواج أمام الأهل.

= والشبكة؟

_ الشبكة لما والدك ييجي.

= بابا ممكن ما يقدرش ينزل أجازة السنة دي.

_ خلاص، تبقى الشبكة مع كتب الكتاب.

فوجئ بها تصرخ فيه:

= (أمجد) انس إنك عرفت واحدة اسمها (رانيا).

و أغلقت الخط في وجهه..

تأكدت بذلك شكوك (أمجد)، فأرسل لها رسالة على محمولها:

- كنت متأكد إنك إنسانة مادية والموضوع كله موضوع فلوس.

فوجئ بها بعد ساعات تتصل به:

= أنا مادية يا (أمجد)؟

_ كل تصرفاتك بتقول كده.

= طيب أنا عندي اقتراح؛ تتجوزني عرفي؟

بهت أمجد للحظات قبل أن يقول:

_ ماذا؟ كيف؟

ردت بكل هدوء

= نروح سوا عند محامي نمضي على نسختين للعقد، نسخة ليا ونسخة ليك، والشهود عند المحامي، ولو عايز تجيب إنت شاهد من عندك أوكيه، وهتدفعلي 20 ألف جنيه مهر.

_ وده حلال؟ ومش مفروض أهلك يعرفوا؟

= إنت رجل وأنا امرأة ثيب؛ يعني من حقي أزوج نفسي عند بعض المذاهب!، وماما هتكون عارفة، والزواج إيجاب وقبول وشهود، وهبقى أبات عندك 3 ليالى في الأسبوع، ويوم ما نحب ننفصل يبقى نقعد زي أي اتنين متحضرين في كافيه أو مطعم ونقطع الورقتين وترمي عليا اليمين.

_ إنتي شكلك فاهمة كويس، واضح إنها مش أول مرة.

= دي تاني مرة يا (أمجد).

_ طيب خليني أفكر.

= فكر براحتك، ولو ما اتصلتش بيا خلال 3 أيام هفهم إنك مش موافق.

_ لكن أنا بكرا مسافر الموقع وهقعد أسبوعين زي ما إنتي عارفة

= رد عليا برضو خلال 3 أيام، ولو اتفقنا يبقى نجهَز نفسنا الأسبوعين دول.

احتاج (أمجد) لساعة قبل أن يستعيد توازنه الفكري حيال المفاجأة، ها هو يعرض عليه ما كان يسمع أو يقرأ عنه فقط، ولم يحتاج لكثير تفكير؛ فالاحتياج الجنسي والرغبة في خوض المغامرة والفضول إزاء هذه المرأة الغريبة والجميلة في ذات الوقت قد حسموا الأمر لصالح خوض التجربة.. محدش له عندي حاجة، والرجلَ لا يعيبه شئ كما يقولون، وأنا لن أصنع شيئًا حرامًا... أنا موافق!

* * *

اختار (أمجد) ثالث أيام أجازته – التي تمتد لأسبوعين – كي يكون يوم الزواج، يومان بعد السفر كافيان للراحة وللتهيؤ للزوجة الجديدة، لكنه استيقظ يومها منقبض الصدر، ورغم ذلك ارتدى ثيابه ونزل ووصل إلى حيث سيقابل (رانيا) وعقله وقلبه لا يكفان عن التردد.

نزلت (رانيا) في أبهى صورة لها وتطاير شعرها خلف ظهرها أول ما صادفه نسيم الهواء، ركبت بجوار (أمجد) الذي لم ينبهر لا بالصورة البهية ولا بالشعر المتطاير، طلبت منه أن يذهبا إلى صيدلية قريبة لشراء بعض مستلزمات الليلة! ، وما إن دخلت هي إلى الصيدلية حتى انطلق (أمجد) بسيارته إلى بيته بعد أن غير رأيه من الخوف والتردد.

بعد عدة مرات من الاتصال بإلحاح رد (أمجد) على (رانيا) التي أخذت تحايله وتزين له الأمر، وكيف أنها هيأت نفسها فصارت بشرتها ملساء كالحرير حتى إن ملابسها تنزلق من على جسدها (كيف عرفت هذه الجنية

نقطة ضعفي)؛ هكذا حدّث نفسه... حتى قالت له:

= أمجد؛ طيب خليهم 10 آلاف مهر بس!

* * *

بعد ساعة وصلا سويًا مكتب المحامي، وأصر (أمجد) على حضور محامي صديق له كي يقرأ العقد ويكون شاهده عليه، وفي أقل من نصف ساعة كان ينطلق بعروسه الجديدة، وفي الطريق قالت له:

= هنروح بس لمحل في شارع (خالد بن الوليد)، هجيب حاجات كده عشان أبسطك الليلة، ده إنت هتعيش ألف ليلة وليلة معايا.

عادت (رانيا) من المحل بكيس بلاستيك أسود

_ أيه ده يا (رانيا)

= دول زجاجتين عصير عنب فوار مستورد... تحفة، هات 500 جنيه ثمنهم.

ثم أردفت بعد قليل:

= (أمجد) إنت طبعًا هتديني مصروف إيد زي أي زوجة.

_ آه.. طبعًا.. أكيد.

= 2000 جنيه كويس؟ أنا دلوقتي مراتك.

_ ربنا يسهل ومش هخليكي عايزة حاجة.

كانت حكاية عصير العنب الفوار تثير ريبة (أمجد)، فأوقف السيارة على

الكورنيش وقال

_ رانيا؛ وريني الكيس والزجاجات.

أمسك (أمجد) بزجاجة ومر سريعًا بعينيه على الكتابة حيث قرأ:

جاك دانيالز 9٪ كحول!

_ طبعًا أنا شكلي شاب خام وإنتي فاكراني فرفور العبيط.. دي خمرة يا هانم.

= لا لا خالص، إنت فاهم غلط، الليبل ده بيكون لزق مضروب عشان الضرايب. لكن مفيش كحول ولا خمرة ولا حاجة.

_ حد قالك إنك غبية قبل كده؟ أي عيل عارف إن الضرايب بتتحط على الخمور مش العكس... يا كدابة يا غشاشة.

بهتت (رانيا) وأخذت تتصنع نظرات البكاء والمسكنة وتنظر في إشفاق إلى (أمجد) الذي قال بحسم:

_ هاتي شنطة إيدك.

فأعطتها له في استسلام، أخذ (أمجد) نقود المهر وترك منهم ألف جنيه، ثم مزق نسخة العقد التي بحوزتها وقال:

_ الأف جنيه والخاتم الدهب ليكي عقابًا ليا على غبائي، إنتي طالق، إنزلي.

= طيب وصلني بيتي.

_ إحنا على الكورنيش وبيتك قريب، إنزلي بالخمرة بتاعتك خدي تاكسي.

* * *

ظلت (رانيا) تتصل (بأمجد) في إصرار حتى ضعفت إرادته ورد عليها:

_ عايزة إيه؟ أنا طلقتك خلاص.

= دي طلقة واحدة يا بني آدم وممكن تردني، ولو أنا طالق فعلا يبقى من حقي نصف المهر.

_ إنتي ملكيش حاجة لأنك ضحكتي عليا... خبيتي عني إنك خمورجية.

= (أمجد) أنا جايالك البيت.

_ أوعي ت...

أغلقت (رانيا) الخط

* * *

دق جرس الباب في إلحاح متواصل حتى استجاب (أمجد) بعد طول تردد، ودخلت (رانيا) وهي في حالة توشي بالسُكْر.

= إيه؟ مش إنت كنت عايزني؟ أنا قدامك أهو.

و في لحظات خلعت بنطالها وتخلصت من قميصها ووقفت أمامه بالبكيني، الغريب أن ذلك لم يثر (أمجد) بل سقطت في عينيه وماتت بداخله أي رغبة له

فيها؛ فقد أصبحت في نظره كبائعات الجسد اللاتي يرفضهن (أمجد) شكلا وموضوعًا، خاصة بهذه الحبوب الحمراء الصغيرة المتناثرة على فخذها جراء إزالة الشعر، الغريب أنه وسط هذا الجو المشحون وجد (أمجد) عقله يتساءل:

كيف تتناثر الحبوب على فخذها في حين أن ساقها أملس المنظر بلا أي شعر ولا أي حبوب.

_ إلبسي يا (رانيا) وبلاش جنون وإقعدي نتكلم.

ارتدت (رانيا) ثيابها وجلست بجواره وعيناها مرتخيتان من أثر الخمر..

_ إنتي إتجوزتي عرفي كام مرة؟

= 6 مرات!

_ وعرفتي كام راجل من غير جواز؟

= كتيييير!

_ ليه كده يا (رانيا)؟ إنتي جامعية وبنت ناس وأهلك ميسورين ماديًا، إيه اللي يوصلك لكده؟

= إنت اللي عايش في شقة طويلة عريضة ومش حاسس بالناس ولا داري بالدنيا.

ثم أخذت تسرد له قصتها في استرسال وبطء وعيناها تدوران مع الذكريات:

= أنا أغتصبت وأنا عندي 16 سنة وقعدت سنتين أتعالج نفسيًا من الصدمة، وبعدها بسنة اتخطبت وأنا في تانية كلية لخطيبي اللي كان زميلي في الكلية وسابقني بسنتين، وهو اللي علمني الشرب، كان مبهورًا بجمالى لكن بعد الزواج وبعد ما شبع مني بدأ الماضي بتاع الاغتصاب يطارد علاقتنا، زودنا في الشرب لحد ما أدمنته، وفي أقل من سنة اتطلقنا... أهلي حاولوا يعالجوني ودخلت المصّحة أكتر من مرة، وكل مرة كنت برجع للشرب تاني... بابا مش بيديني مصروف غير على قد احتياجاتي الشخصية، كان لازم أتصرف، وأنا رأس مالى جمالى.

ثم وقفت لتكمل حديثها بمساعدة يديها كأنها ممثلة في مسرح إغريقي:

= لكن أنا مش بنت شارع بتقف على النواصي والعربيات تشقطها، أنا عرفت اللي إتجوزتهم من النادي أو عن طريق المحامي اللي كتبنا عنده العقد، والفترات اللي بين الجوازة والتانية عرفت رجال كتير في البارات والفنادق الكبيرة.. بقولك إيه؟ ما تنام معايا دلوقتي وتديني ألف جنيه؟

صاح فيها (أمجد):

_ بس بقا... هو إنتي عمرك ما عرفتي راجل محترم؟ وبعدين إيه أمك دي؟ إزاي سايباكي كده؟

دمعت عينها بدمعة واحدة كبيرة وسقطت جالسةً بجواره ثانيةً وهي تقول:

= ماما دي أنا عذبتها معايا كتير، ياما خرجت تجري ورايا في الشوارع لما كانت بتجيلي نوبات العصبي وأطلع أجري برا البيت، ياما حاولت تجوزني جوازة عدلة، وعشانها هي أنا دخلت الموقع ده لأن كل اللي يعرفونا سمعوا عني طراطيش كلام.

ضحكت في سخرية ثم قالت:

= تصدق؟ بعد كدا نص زبايني بقوا من الموقع ده؟ اللي أحس من صفحته إنه متريش أرسم عليه، وزي ما تيجي بقا؛ زواج رسمي.. عرفي.. أبات عنده ليلة أو اتنين.. المهم أطلع منه بمصلحة.

سكتت ثواني ثم قالت:

= قوم هات كوبايتين وتلج وتعال نشرب كاسين.

_ لا يا (رانيا) ده إنتي اللي هتقومي عشان تروحي بيتك... ربنا يهديكي ويغفرلك.

= يغفر لي إيه؟ هو أنا غلطت في إيه؟ مش هو ربنا اللي ظلمني وسابني أضيع بين الاغتصاب والشرب وبين إيدين الرجال؟

صاح فيها:

_ إنتي اللي ظلمتي نفسك؛ مش بس لما استسهلتي سكة الحرام ومش عشان رفضتي فرص العلاج، لكن من أول ما طاوعتي خطيبك في الشرب... ياما بنات غيرك حصلهم زي اللي حصل معاكي لكن ما جرفهمش التيار زيك.

سكت للحظات ثم قال

_ روحي بيتك يا (رانيا) طلبك مش عندي.

* * *

ظلت (رانيا) بعدها لمدة تطارد (أمجد) بالهاتف:

= ما تيجي نسافر سوا؟

_ نروح فين؟

= تعزمني على رحلة لتايلاند ومالزيا، فيه عروض سياحية جميلة وهنزل معاك في غرفة واحدة!

* * *

مرة أخرى:

= أنا عايزة منك **2000** جنيه سلف.

_ عايزاهم ليه؟

= ماما محجوزة في المستشفى.

_ وبابا فين؟

= بابا مسافر.

_ وأخوكي؟

= مشغول مع خطيبته.

_ خلاص اتصلي بيه يلحق مامته.

= ما أنا كنت محتاجة برضو أشتري لنفسي حاجة ضروري؟

_ حاجة إيه؟

= فيه خاتم دهب عاجبني قوي ومش معايا فلوس أشتريه!

هل معقول أن إدمان الخمر يجعل عقل صاحبها بهذه السذاجة؟ أم أن (رانيا) أساسًا ساذجة لدرجة الغباء؟، الحقيقة

أن (أمجد) لم يكن يفهم نفسه؛ لماذا يرد علي مكالماتها أساسًا وهو لن ينفذ لها أي طلب حتى لو قالت له تعال نذهب للسينما، لقد احتقرها على المستوى الإنساني ولم يعد يشعر حتى بالمباهاة بأنه سيخرج بصحبة حسناء يحسده عليها الرجال.

حتى جاء يومٌ تلقى منها اتصالاً:

= (أمجد) إنت إيه آخر كلام عندك؟ أنا في فرح أخويا وفيه أكتر من عريس إتكلموا عليا، ناوي تتجوزني وللا لأ؟

رد عليها بسخرية وغل:

_ إنتي متخيلة إني أتجوزك بعد اللي سمعته منك؟

= طيب ليه كنت بتتكلم معايا؟

_ إنتي اللي بتتصلي بيا وأنا بأرد عليكي كواحدة معرفة.

= طيب أنا حبيت آخد منك الأوكيه قبل ما أفكر في جوازة تانية.

رد عليها بتهكم:

_ وهتلاقي؟

= ليه؟ هو أنا شوية يا (أمجد)؟

قالتها بفخر وثقة ثم أكملت:

= أنا من بكرا ممكن أتجوز، وإبقى قول عليا مرا لو اتصلت بيك تاني، مع السلامة يا (أمجد).

و أغلقت الخط، وضحك (أمجد) بسخرية وقال لنفسه:

_ هي كل ده مش عارفة إنها مرا؟

الغريب فعلا أنها لم تتصل به مرة أخرى!

* * *

وعاد (أمجد) إلى عمله وإلى وحدته وإلى هواياته، وبالتالى إلى ناديه الاجتماعي الذي ألفه؛ موقع (الوداد)، وزاد عليه بأن أكثر من التردد على المولات والكافيهات.

لكن العالم الذي استهوى (أمجد) بحق كان عالم المطلقات ودنيا الفتيات اللاتي تجاوزن الثلاثين في موقع (الوداد)، ليس من أجل المتعة الحرام؛ فغالبيتهن أتين بغرض الزواج ولسن مثل (رانيا) التي ينبغي أن تضيف نقطة إلى أحد حروف اسمها كي تكون اسمًا على مسمى!. لكن ما يميز هذا النوع من النساء أنهن عادة أكثر تفتحًا ونضجًا وأقل بكثير في الحساسية والكبرياء الزائد

للكرامة عند فتيات العشرينيات.

بعضهن يخضن في الأحاديث الجريئة بسلاسة: فكان عاديًا أن يحكي لهذه أو تلك عن العامل الجنسي وراء طلاقه من (دعاء)، وقد تبادله هي أيضًا خيط الحديث فتسر له بمشكلتها الجنسية السابقة مع طليقها وإحباطها من ضعف أدائه، في حين أن (شاهندة) — إحدى من تعرف عليهن في الموقع من مطلقات — كانت مشكلتها عكسية؛ فلولا أنها أقسمت له بأغلظ الأيمان لما صدقها حين قالت أن طليقها كان يطلبها في اليوم 3 مرات وأحيانًا أكثر!... كيف؟ هو لا يعمل ويعتمد على ميراث أبيه ومساعدات أمه له، وليس له شاغل يشغله سوى أفلام البورنو ومن ثم تطبيق ما يشاهده معها، وكثيرًا ما طلب منها أن تشاهد هي فيلمًا معينًا لأنه يريدها أن تفعل معه نفس ما شاهدته... حتى الشاذ المحرم منه!، الغريب أنها ما كانت تتضايق من رؤية ذلك ولا من تطبيقه وإنما كانت تئن من العبء الجنسي المطلوب منها، ولم تطلب الطلاق إلا بسبب تدخلات أمه في كل صغيرة وكبيرة في حياتهما، وأيضًا بسبب كسله عن العمل وعزوفه عن أي طموح، أما ما لم يستطع أن يصدقها فيه برغم أغلظ أيمانها فكان حين أن أخبرته أنها — برغم كل ذلك الآداء الجنسي الجنوني — لم تصل إلى قمة المتعة إلا مرات معدودات في كل حياتها معه!.

و هكذا إمتلأت ذاكرة هاتفه بأرقام النساء من جديد، ومن الكثرة بحيث يفشل بعد فترة في تذكرهن، وكالعادة لم تنتقل أيٌ منهن إلى خانة التفكير في

الزواج، وإن انتقل بعضهن إلى خانة الصديقات؛ من يصدق أن من له كل هذا العدد من الصديقات لا يعرف للجنس طريقًا معهن؟، صداقة يقال إنها بريئة لكنها مشدودة على وتر الجنس فلا تلبث هذه الصداقة المتوترة أن تنتهي بعد فترة، ولم تستمر صداقته بأيٍ منهن إلا ب (نوال)..

* * *

(نوال) فتاة ثلاثينية، صاحبة مركز تجميل (بيوتي سنتر)، نموذج للفتاة الإستايل وبنت البلد في ذات الوقت بلا أي تكلف، من أسرة متوسطة لكن توفي والدها صغيرًا تاركًا إياها وأمها وأختها الأصغر منها سنًا بقليل يواجهن الحياة بمعاش ضئيل مع بعض المساعدات من أعمام (نوال)، فكان طبيعيًا أن تخرج (نوال) للعمل بعد حصولها على دبلوم التجارة وهي أصلا غير محبة للتعليم، استهواها العمل في التجميل والكوافير وأتقنت المهنة في سنوات قليلة، ثم استطاعت تأجير محل خاص بها استقلت به وساعدتها فيه أختها الصغيرة.

هي وأختها تحبان الرقص، اشتركتا في دورات صالصا وتانجو في جيم (تمارين) ومنه دخلتا: عالم محبي الرقص... وكلمة محبي هذه كلمة مجازية، فالرقص بالنسبة لهما ليس مجرد هواية بل أسلوب حياة.

لا يمر أسبوع دون تنظيم حفلتين للرقص على الأقل؛ في ديسكوتيك، أو في فيلا من فيلات العجمي أو الكينج الملوكة لأحد أعضاء شلة الرقص أو مستأجرة، أو على شاطئ من شواطئ الساحل الشمالى، أو على حمام سباحة أحد الفنادق

الخمس نجوم نهار يوم السبت أو يوم الجمعة بعد الصلاة! . فالحفلات لا يجب أن تكون ليلية فقط.

ليست شلة واحدة بل شلل متداخلة كالحلقات المتشابكة، كثير من أفرادها عضو في أكثر من شلة، والعادي أن يصطحب العضو المشترَك بين شلتين عددًا من أفراد شلته الأولى في حفل تقيمه شلته الثانية ، حتى أصبحت الشلل مع الوقت وكأنها شلة واحدة كبيرة. وأعضاء هذه الشلل ليسوا مثل شباب المدارس والجامعات الرقص لديهم حفلات عابرة في بعض المناسبات؛ بل هو مثل الفرق بين مشجع ناديه عبر شاشات التلفاز ولا بأس إن حضر له مباراة أو اثنين وبين عضو في رابطة مشجعي النادي الذين يزحفون وراءه في كل مكان.

ويمكن لأي عضو أن يصطحب صديقًا غريبًا عن هذه الشلل وبدون إخطار سابق أيضًا، المهم أن تكون طبيعة الضيف الجديد ملائمة لجو الحفل ولطبيعة من فيه كي لا يفسد عليهم ليلتهم.

وتمتاز هذه المجموعة من الشلل عن شلل أخرى غيرها بأن كل أعضائها من الناضجين؛ من فوق 25 سنة وصولا إلى الخمسينات من العمر! ، والكل ينادي الكل باسمه مجردًا حتى لو كان رئيسه في العمل، فلا أحد هنا يريد أن يبدو كبيرًا في السن. غير مسموح أبدًا في هذه قانون الشلل بالمخدرات في أي حفلة في أي وقت أو في أي مكان، الحفلات للرقص فقط ولا شئ غير الرقص والتعارف، فحتى المتحابين هنا لا يتبادلان القبلات أو الأحضان الساخنة، البعض يشرب

لكن لا أحد يسكر، والبعض لا يتناول سوى العصير... باختصار فإنهم يعتبرون أنفسهم مقارنة بالآخرين – محدثي الرقص كما يسمونهم – شللا محافظة! ، وعندما يأتي رمضان فإن من يشرب منهم يتوقف عن الشرب في الحفلات الرمضانية! والبعض يعتزل الرقص أصلا طوال رمضان مثل (نوال) وأختها.

حضر (أمجد) عدة حفلات مع (نوال)؛ هو بدافع الفضول لهذا الجو الجديد وهي كانت تتباهى بصحبته وسط شلتها رغم أنها أدركت بفطنتها أن (أمجد) لا ينتوي الزواج منها.

* * *

= (أمجد) إنت يوم الجمعة الجاية هتكون أجازة وللا في الموقع؟

_ هكون أجازة يا (نوال).

= طيب إيه رأيك تيجي معانا كايرو؟

_ إنتو مين؟

= شلة الرقص طبعًا، عاملين **event** في فندق في القاهرة! هنسافر الجمعة الصبح، ناخد الغرف اللي حاجزينها، واللي عايز يلف شوية أو يشتري حاجة، وبالليل الساعة **10** يبدأ ال**event** في ديسكو الفندق وهيكون فيه أصحابنا من كايرو؛ لكن الواد (رامي روميو) بتاعنا هو اللي هيمسك الدي جي، نخلص وقت ما نخلص ونطلع ننام وقبل العصر يوم السبت ناخد طريق إسكندرية.

ضحك (أمجد) وقال

_ ده إيه الجنان ده؟ نازلين القاهرة مخصوص عشان ترقصوا؟ هتفرق إيه طيب؟

= تغيير يا كوكو.. تغيير، ده غير إن ديسكوهات القاهرة أكبر وأحلى، دي مش أول مرة نعملها، بالذات في الشتا لما بتقفل ديسكوهات الساحل، طيب إيه رأيك إنه في ناس سافرت عملت الجنان ده مرة في بيروت ومرة في إسطنبول؟!

_ يعني صحيح أنا أنبسطت في ال events اللي حضرتها معاكم لكن مش لدرجة أسافر لها القاهرة، روحو إنتو ولما ترجعي إسكندرية نبقى نتقابل إن شاء الله.

لكن (أمجد) لم يكن يعلم أن القاهرة التي استثقل السفر إليها للرقص لليلة سينتقل إليها بحياته كلها!

* * *

ترقى (أمجد) في عمله وجاءته فرصة شغل منصب (نائب مدير التخطيط)، في البداية تردد في قبول المنصب، فنمط عمله كان يعجبه للغاية؛ أسبوعي أجازة في كل شهر ميزة كبيرة بدون شك مهما كان العمل مرهقًا طوال أسبوعي العمل، لكن الأربعينيات من العمر لها متطلبات أخرى منها إرضاء الذات في تحقيق مناصب ونجاحات في العمل، كما أنه سيقيم في القاهرة في فيلا أنيقة في التجمع

الخامس في أحد التجمعات (كومباوند) ذات الخصوصية، وسيدفع ثمنها بالتقسيط.

الإسكندرية عروس البحر الأبيض تحولت إلى عروس عجوز شمطاء، حولها البناء العشوائي إلى كَفْر بلدي قبيح، لم يعد فيها حي واحد يصلح أن يطلق عليه أنه حي راقي، اللهم إلا بضعة شوارع معدودة متناثرة محاصرة بالتكدس العمراني ومواقف سيارات الأجرة الفوغائية والزحام المروري الخانق. قد تكون القاهرة أكثر ازدحامًا لكنه لن يحتاج للخروج من التجمع أساسًا إلا لكي يسلك الطريق السريع إلى الإسكندرية لزيارة أهله أو إلى موقع العمل إذا احتاج العمل لذلك.

كان القرار سهلا إذن من ناحية التفكير العملي، وتأقلم (أمجد) بسرعة على حياته الجديدة، صحيح أنه افتقد حصوله على أسبوعي أجازة متواصلين، لكنه أحس براحة بدنية وذهن أكثر صفاءً بعد أن انتظمت مواعيد عمله ونومه. يستيقظ صباحًا في ساعة ثابتة كل يوم ويذهب إلى عمله ويعود منه في ساعات ثابتة، وأحيانًا ما يكون عنده وقت فراغ أثناء ساعات العمل يقضيها في القراءة أو في تصفح الإنترنت بما في ذلك موقع (وداد) أيضًا، وفي المساء تتنوع أنشطته ما بين الذهاب إلى (الجيم) أو التنزه في المولات والكافيهات أو السينما أو حتى البقاء في فيلته وقضاء الوقت بين الإنترنت والتلفاز والقراءة.

لم يكتسب (أمجد) صداقات كثيرة في القاهرة، الناس عادة في هذا العمر

أقل قابلية لفتح صداقات جديدة، هي عادة صداقات عمل أو مصالح أو تعارف جيران لكنها لا ترقى لمستوى حميمية صداقات الطفولة والشباب.

أكثر الصداقات التي بناها (أمجد) في القاهرة هي صداقات نسائية، زميلات في العمل أو في الجيم أو في نادي المنتجع، صداقات تكونت بسهولة بمجرد جملة: مساء أو صباح الخير، غالبيتهن في أواسط الثلاثينيات أو أوائل الأربعينيات من العمر. صداقات لم تكن لا بدافع الحب ولا بهدف الجنس وإنما بقصد ملء الفراغ الأنثوي والفراغ الاجتماعي في حياته، هن قد ينجذبن لوسامة رجل أربعيني لكنه لم ينجذب لأي منهن إلا كصديقة، فالزمن قد توقف لديه عند معاييره العاطفية التي كان عليها أيام شبابه الأول، ولم يحاول أن يكون واقعيًا بل كان يهرب لا إراديًا من أن يفكر ويسأل نفسه: إذا كانت فتيات أحلامك المثاليات لم ينجذبن إليك أيام صباك وشبابك؛ فكيف تتوقع أن تنجذب إليك نفس الفتيات بنفس المواصفات عند نفس الأعمار وأنت تخطو في بدايات الأربعينات؟، صحيح أنه قد حرك السقف العمري للفتاة ليدخل بها بداية الثلاثينات، لكنه لم يتزحزح أبدًا عن باقي معاييره الجمالية الفائقة ولا الأسرية ولا الاجتماعية، فكان طبيعيًا أن لا يكتسب سوى الصديقات.

أم عن صديقاته الجدد؛ فالمرأة في هذا العمر أكثر نضجًا ولا تأخذها سَوْرة الكرامة ولا تقول: إن لم يقبل بي كحبيبة فلن أقبل به كصديق. وطالما كان صريحًا من البداية في نوع العلاقة وطالما لم يتخذ العلاقة ككوبري يوصلهما

للفراش المحرم؛ فلا بأس إذن أن تملأ به فراغها العاطفي هي أيضًا كصديق، ومن يدري فلعل هذه الصداقة تستحيل حبًا في يوم من الأيام، وحتى من تمنته منهن – في لحظة ضعف منها – شريكًا لها في الفراش؛ فإنها لم تلمح له بذلك، وهو لم يسع لقراءة ذلك لا في نظرات عينيها ولا في حركات شفتيها! ، إنه لا يدعي الغباء لكنه غبي بحق في قراءة النساء.

ومضت الأيام والشهور متشابهة حتى قابلها...

البحث عن الفيل الأبيض

(سيندي) إنجليزية شابة في أوائل الثلاثينات من عمرها لكنها تملك جسد فتاة مراهقة، تصادف مرور (أمجد) بها داخل المنتجع وهو في سيارته في طريقه إلى العمل فوجدها تقف حائرة بجوار سيارتها وأحد إطاراتها فارغ تمامًا من الهواء

_ هل أستطيع مساعدتك؟

= أرجوك؛ إطار السيارة فارغ كما ترى وسوف أتأخر عن حصتي الأولى، وشركة التاكسي لن تستطع توفير تاكسي لي الآن.

شرع (أمجد) في تغيير الإطار وهو يتبادل معها الحديث. وعرف أنها مدرسة في إحدى المدارس الدولية هنا في القاهرة وأنها تقيم في شقتها في عمارة هنا على أطراف المنتجع.

= لست أدري كيف أشكرك، كنت في قلق لولا أن ساقتك الظروف في الوقت المناسب.

ابتسم (أمجد) وقال

_ بل أنا الذي أشكر هذه الظروف التي أتاحت لي لقاءك.

خجل (أمجد) أن يطلب رقم هاتفها كي لا تضحك في سرها من انزلاقه

نحوها، وبعد أن مضت أخذ يؤنب نفسه كما حدث كثيرًا من قبل حين يصادف أي جميلة تستهويه ثم يمنعه خجله وكبرياؤه المبالغ أن يحاول التواصل معها خوف أن تصده أو أن تقول عليه أنه مندلق عليها.

و ظل طوال يومه يفكر كيف سيستطيع أن يصادفها ثانية؟ هل سيذهب إلى نفس المكان في نفس الموعد من غده؟ وما يدريه أن مواعيدها ثابتة؟ إنها مدرسة ولا ترتبط إلا بمواعيد حصصها، ثم إنها تنزل مسرعة كي تأخذ سيارتها إلى مدرستها، هل سيوقفها طالبًا رقمها؟ لماذا لم يفعل ذلك إذن هذا الصباح وهي بين يديه؟ هل ينتظرها وهي عائدة؟ وما يدريه بمواعيد عودتها أصلاً؟ أم سيأخذ يومًا أجازة ويرابط بجوار منزلها مثل الصبيان؟

اكتأب (أمجد) باقي اليوم، وبعد عودته من عمله لم يستطع الجلوس في المنزل بعد أن تناول غداءه، فلم يأو إلى فراشه لساعة كما اعتاد أن يفعل بل قرر الذهاب إلى نادي المنتجع ليتناول قهوته هناك.

تسمرت يد (أمجد) وهو يرفعها بكوب قهوته إلى شفتيه... ها هي (سيندي) تقف أمامه مبتسمة! ، ذهل للحظات ثم تدارك نفسه:

_ أوه (سيندي) مرحبًا، هل تمانعين في تناول قهوتك معي؟

= إذا كان ذلك لا يزعجك.

(يزعجني؟ لقد كدت أجن من التفكير فيكي طوال اليوم)... هكذا حدث نفسه وهو يقول:

_ بالقطع لا ، هذا من دواعي سروري.

= نحن الإنجليز نتناول الشاي في هذا الوقت.

_ five o'clock tea ، صح؟

(إذن فأنتي هنا كل يوم في الوقت الذي آخذ قيلولتي فيه بعد العمل ولهـذا لم أصادفك من قبل).. هذا ما قاله لنفسه بينما هي تقول:

= بالضبط، شاي الساعة الخامسة، يبدو أنـك عـشت خـارج مـصر لفـترة، لكنتك في الإنجليزية تقول إنك عشت في أمريكا أو كندا.

_ للأسف لا، لكني من قرابة ال 20 سنة وأنا أعمل في شركة أمريكية هنا في مصر.

و هكذا دار الحوار بينهما تلقائيًا بغير تكلف ولا تفكير في إيجاد مواضيع للحديث، عرف أنها مطلقة منذ عدة سنوات وأن طليقها – إنجليزي أيضًا – كان زميلها في نفس المدرسة لكنه عاد بعد الطلاق إلى بلاده، هي لم تشأ أن تترك مصر برغم كل سلبيات الحياة التي فيها، استراحت للحياة في هذا الكومباوند وراتبها الكبير هنا لم تجد عرضًا يقترب منه في بلادها، كما أنها من عـشاق الـشمس والبحر الأحمر وأسوان، وعاشقة لدفء الحياة في مصر لولا بعض المنغصات التي لا يخلو منها مكان.

= الحياة عندكم في مصر جميلة، بشرط أن تبقى في مكان مغلق أو حـصري؛ كأن تعيش في منتجع أو تذهب إلى مول لا يقع في وسط البلد، كأن تسافر إلى فندق

5 نجوم في مدينة سياحية أو ترتاد نادي من نوادي الصفوة... ما عدا ذلك فهو مأساة حقيقية.

_ للأسف إنتي في مصر لا تستطيعين العيش بطريقة كريمة إلا إذا كنتي غنية وفي ذات الوقت تعرفين أناسًا ذوي نفوذ من أجل تسهيل بعض الأمور.

ضحكت ثم قالت:

= أو أن تكون أوروبيًا أو أمريكيًا، جواز سفرك يذلل لك كل الصعاب، وبدون أن تغضب مني فأنتم المصريون تتملقون الأجانب، إنني أستطيع دخول معظم نوادي الصفوة هنا في القاهرة لمجرد أنني إنجليزية ومدرسة في مدارس أبناء الصفوة، مثل هذه الأندية في لندن لن يستطيع (بل جيتس) نفسه دخولها إلا بدعوة رسمية.

و استمر الحديث بينهما لساعات تبادلا خلالها أرقام الهواتف، وأقنعها أن تصاحبه إلى الجيم الفاخر الذي يرتاده ولا تكتفي بالجيم الصغير الموجود في المنتجع

_ سأكون محط حسد الرجال وغيرة النساء في أي مكان أكون فيه بصحبة هذه الفاتنة.

هكذا حدث نفسه، وتعددت بينهما اللقاءات، وبدأ (أمجد) يطمع فيما هو أبعد من الصداقة؛ هذه الأوروبية – والتي بدأت نظرات الإعجاب تطل من عينيها وهي تنظر في عيني أمجد – لن يكون من العسير إقامة علاقة معها (بوي

وجيرل فريندز) شريطة أن يخلص لها كأنها زوجته، يخلص لها؟ إنه مخلص لعزوبيته منذ بلوغه، لا يعتبر نفسه قد ذاق طعمًا للنساء بعد ولا خاض تجربة كاملة، حتى تجربة زواجه – علاقته الكاملة الوحيدة – لم تغير من وجهة نظره من حقيقة عذريته شيئًا سوى أنها أزالت بكارته كشاب؛ تلك النقطة الحمراء الصَغيرة الموجودة في صوان أذن كل فتىً مراهق وتختفي عند أول تجربة جنسية كاملة له! ياله من ثمن باهظ قد دفعه لفض بكارته بينما لا يزال يحتفظ بعذرية جسده وقلبه، و دارت نفسه في حديثها مع نفسها:

+ صحيح يا (أمجد) كيف لم يطرق الحب باب قلبك كل هذه السنين؟

_ لأنه ببساطة لم يجد من تطرق بابه.

+ كل هاتيك النساء والفتيات واللاتي تعجز عن تذكر أسمائهن من كثرتهن ولم تطرق إحداهن قلبك؟

_ لأنهن مررن على باب قلبي دون أن تملك إحداهن مفتاح شفرته.

+ بل لأنك أوصدت قلبك على مقاييس كمالية خرافية من الجمال مع الحسب والتعليم، وفوق ذلك تريدها نسخة من طباعك وأفكارك.

_ وما حيلتي وهذه أحكام قلبي؟

+ بل هذه مطامع نفسك نحو الكمال الذي لن تجده في امرأة واحدة إلا أن تفتح قلبك لحب امرأة بعيوبها قبل مميزاتها.

_ مثل من؟ من قابلتها في حياتي وكانت تستطيع امتلاك قلبي؟

+ مثل (مها) الطيبة العاشقة لك.

_ (مها) بسذاجتها وجسدها الفقير وعقلها السطحي؟ لا هي ملأت عقلي ولا أشبعت جسدي.

+ (هويدا) لم تكن ساذجة وكانت تملك جسدًا من نار.

_ (هويدا) بكذبها؟ أم بتربيتها المتهاونة؟ أم بأسرتها غير المناسبة؟

+ (دعاء)؟

_ (دعاء) كانت أكبر غلطات حياتي.

+ لو كنت قد أحببتها لتواءمت مع عيوبها، ولما استفززت غضب الانثى فيها لكرامتها بأنك لا تحبها ولا حتى تشتهيها.

_ وهذه أكبر أخطائي أنني تزوجتها دون أن تدخل قلبي.

+ ولن تدخل قلبك أي امرأة وأنت تحسبها بالقلم والمسطرة.

_ لقد كنت أتمنى الزواج من (بريندا) لكنها هي التي رفضت الحياة في مصر.

+ لو كنت تحبها لفعلت المستحيل للفوز بها.

_ لقد أحببت (سمر) أيام طفولتي.

+ أحببتها لأنها قطعة من ميس (نجوى) أولى خيالاتك الجنسية، وربما لو صادفتها الآن وهي فوق الأربعين مثلك لتعجبت أنك أحببتها يومًا.

_ ربما لو لم تسافر واستمرت زمالتنا لكانت حب حياتي ولتزوجنا ولكبرنا معًا وكبر حبنا معنا.

+ و(سيندي)؟

_ ماذا عنها؟

+ كي تمر إلى فراشها لا بد أن تفرشه لها في حجرات قلبك.

_ الجنس عندهم لا يشترط فيه الحب.

+ لا أظن أن (سيندي) من هذا النوع؛ مثلها مثل (بريندا)، هل ستمثل عليها الحب؟

_ أنا فعلا معجب بها ومفتون بجمالها، وسأكون صريحًا معها ولن أخدعها، أهل الغرب صادقون مع أنفسهم حتى في حيوانيتهم، فلن تطلب مني ان أمثل عليها الحب كما يحدث عندنا.

+ والخمر؟

_ ماذا عنه؟

+ أنت لا تشرب أي خمر ولا حتى البيرة، بل كان يؤنبك ضميرك بعد حضور حفلات الرقص مع (نوال) لأن بعض الحاضرين كانوا يشربون، وبالتأكيد فإن (سيندي) مثلها مثل أي فتاة أوروبية لا تكتمل متعة ليالى العشق إلا بزجاجة ويسكي أو شمبانيا.

_ لا لن أقبل أبدًا.

+ هل ستمنعها أم ستتركها تشرب هي وحدها؟

_ لكن حرمة الخمر تطال حتى حاملها ومجالسة شاربها.

+ وهل الزنا أقل حرمة عندك من الخمر؟

_ لكن الجنس شهوة أنا معذور بها بينما الخمر ليس كذلك.

+ أنت متناقض، أليس كذلك؟

_ ومَن مِن الناس ليس كذلك، دعنا لا نستبق الأمور فربما ترفض هي أصلا.

* * *

أخذ (أمجد) الخطوة الأولى ودعا (سيندي) إلى مواعدته على العشاء، وقبلت هي دعوته بابتسامة مشجعة وموحية بأنها ستقبل الخطوة التي تلي دعوة العشاء، وهي أن يدعوها فيما بعد لتناول مشروب لديه في فيلته، دخلا المطعم الفاخر سويًا، سأل عن حجز باسم مستر (أمجد)، جلسا متقابلين ورفعت شالها الذي كان يغطي كتفيها العاريين، وبعد فترة من الحديث إذا بها تبادره بسؤال غريب:

= لماذا أنتم أيها الرجال المصريون مصابون بالفصام؟

اندهش (أمجد) قليلا ثم أجابها:

_ كيف هذا؟!

= تدعون أنكم متدينون وأكثر أهل الأرض تدينًا كما تقولون، لكن أكثركم لا يتورع عن الكذب وخداع النساء، تدَعون أنكم عقليات متفتحة وعصريون بينما أغلبكم رجعيون.

_ أنتِ تتكلمين بمرارة وكأنك تتحدثين عن تجربة شخصية.

= ليست تجربة واحدة بل تجارب، وليست لي وحدي ولكني أسمع الحكايات من زميلات وصديقات مصريات وغير مصريات... هل تعرف كم رجلاً عرفت بعد طلاقي وحتى الآن؟ كلهم كانوا نسخًا مكررة، الكل يزعم أنه متفتح الأفق ويقدر حقوق المرأة، وأنه منجذب لي وغير ذلك من الكلام المعسول لكنه في الحقيقة لا يهدف إلا للوصول إلى الفراش! المضحك أنهم يظنون أنهم مخادعون أذكياء بينما هم مكشوفون للغاية.

_ هذا ليس حكرًا على الرجال في مصر، المخادعون من كل جنسية ومن كل دين، حتى في غربكم (المتفتح).

و أشار بأصابع يديه علامة ما بين قوسين.

= ولكني لم أقابل هذا التلون مثلما قابلته عندكم، صحيح أن بعض رجال الغرب مخادع ولكنهم لا يدعون أفكارًا لا يؤمنون بها، ولا أحد منهم يقول بعد ذلك أنه لن يتزوج امرأة نام معها قبل الزواج.

_ ربما ذلك بسبب سهولة الحصول على الجنس هناك، أما عندنا فالبعض يكذب كي يشبع رغبته.

= أولاً: لا تقل البعض بل قل الكثير. ثانيًا: إذا كان حقك كرجل أن تشبع رغبتك؛ أليس من حق المرأة أن تشبع رغبتها هي أيضًا؟ فلماذا يتعالى الرجل عندكم عليها ويتهمها بالفجور؟ أليس فاجرًا مثلها؟

ارتبك (أمجد) قليلا ثم قال:

_ آه طبعًا، صحيح.

= هل تعلم يا (أمجد) أنني قرأت كثيرًا في دين الإسلام؟ وأعجبني الكلام كثيرًا، لكني وجدته كلامًا فقط ولم أجد له تطبيقًا عندكم، واقعكم العملي مختلف عنه كثيرًا، لذلك لم أفكر في دخول الإسلام.

_ العيب فينا نحن، نحن الذين لا يطبق أغلبنا تعاليم الدين.

= ولماذا لا تقول إنها تعاليم غير قابلة للتطبيق؟

_ لا طبعًا، فهناك الكثير من التطبيق العملي الرائع للإسلام وصفحات التاريخ مليئة...

قاطعته قائلة:

= لا تحدثني عن التاريخ أرجوك، فهذا معناه أن الإسلام تجربة تاريخية وانتهت، حدثني عن الواقع، هل الدول التي تدعي تطبيق الشريعة أو الجماعات التي ترفع شعارات إسلامية؛ هل هذا من ضمن التطبيق الرائع؟

_ العالم الإسلامي الآن في منعطف صعب من تاريخه، بلاد المسلمين

خرجت من استعمار طويل سياسي وفكري واقتصادي، وطبيعي أن تأخذ الفكرة فترة حضانة طويلة قبل أن تنضج. الديموقراطية في الغرب لم تستقر إلا بعد حروب ومذابح وأهوال استمرت قرونًا طويلة.

= والحركات الإسلامية وتفجيراتها الانتحارية وما تقتله من أبرياء؟ هل هي خطوة على طريق نضج التجربة والفكرة؟

_ لا بالطبع، فهذه أعمال مدانة، ولكني أذكرك أن ضحايا كل هذه العمليات لا يمثلون واحدًا على الألف من ضحايا حرب فيتنام مثلا، أو من ضحايا الحرب العالمية الأولى أو الثانية أو من احتلال أمريكا للعراق.

= هذه كانت حروبًا.

_ وهل الحرب صك جواز لإبادة المدنيين الأبرياء؟ هل القتل مقبول إذا كان من جندي نظامي ببدلة عسكرية حتى لو كان غازيًا محتلا؟ فماذا إذن عن إبادة عشرات الملايين من الهنود الحمر على يد المستعمر الأوروبي (المدني).

و للمرة الثانية يشير بيديه ما بين قوسين.

صمتت (سيندي) قليلا ثم قالت:

_ ربما يكون معك حق، لكننا خرجنا من موضوعنا الأصلي، دعك من التطبيق السياسي والمجتمعي للإسلام، أين تطبيقكم أنتم كأفراد؟ لماذا إذن تخدعون مشاعر النساء؟ إذا كان دينكم يحرم الزنا فلماذا تسعون لإقامة العلاقات مع الفتيات ثم ترفضون الزواج منها بحجة أنها فتاة بلا دين ولا خلق؟

هنا انطفأت رغبة (أمجد) في اقتناص (سيندي)، إنه لن يقبل أن يكون سببًا في زيادة تشويه صورة الإسلام عندها، لقد احترم إنصافها وعدم تحيزها في الحوار، بل كانت أكثر إنصافًا وأقل تحيزًا من (نور)؛ فتاة موقع (وداد) المصرية المسلمة التي نشأت في أستراليا ولم تقبل إتهام (أمجد) للغرب ولا دفاعه عن الشرق.

لكنه أيضًا لن يقبل الزواج منها وهي تعترف أمامه بكل صراحة أنها تقلبت في أحضان بعض الرجال الذين خدعوها ؛

هل ألومك يا (سيندي) على صراحتك أم أحسدك عليها؟ برغم فجوركم إلا أنكم صرحاء وغير متناقضين مع أنفسكم، أما نحن فرقصنا على سلم الهوية؛ فلا باطننا فيه عفة الدين ولا ظاهرنا فيه صراحة الغرب واتساقه مع نفسه!

و انتهى العشاء، ولم يحاول (أمجد) الانتقال إلى الخطوة الثانية في تدشين علاقة البوي فريند مع (سيندي)، فلم يفكر في دعوتها لزيارته في فيلته، وإنما ذهب عقله في اتجاه آخر تمامًا؛ أن يصحح لها فكرتها عن الإسلام. وفجأة قفز إلى تفكيره زميله (رمزي).

(رمزي): مصري من أم أمريكية، ورث منها شعرها الأشقر وبشرتها البيضاء، نشأ وتربى في أمريكا وتشبع بالقيم والحضارة الغربية، وجاء إلى مصر كأحد الكوادر الأمريكية في الشركة، اهتز وجدان (رمزي) من جرائم أمريكا في العراق وبدأ يكفر بالحضارة الأمريكية ويعود لجذوره الشرقية، لكنه في

مراجعاته الفكرية هذه لم يكفر بكل القيم في الفكر الغربي وإنما كانت مراجعاته انتقائية.

(رمزي) أعزب ولم يسبق له الزواج، لم يعد يرغب في الفتاة الغربية المتحررة ولا يفكر أصلا في الفتاة المصرية المقلدة لبنات الغرب، بل ينظر إليها على أنها تقليد مشوه لأصل غير جيد أساسًا، لكنه في ذات الوقت لم يكن سعيد الحظ أبدًا بمن التقى بهن أو رشحن له كزوجات من الفتيات المحافظات. فوجئ به (أمجد) وفوجئ زملاؤه به ذات يوم وهو يقسم غاضبًا ألا يتزوج أو يسعى للزواج من مصرية...

_ لماذا يا (رمزي)؟

= كأنني أفتش عن إبرة في كوم من القش أو كأنني أبحث عن الفيل الأبيض، أن تجد فتاة بالمقاييس الجمالية التي نشأت وتعودت على رؤيتها في أمريكا فهذا شئ موجود ولكنه نادر، فإذا ما وجدتها تكون عادة نسخة مشوهة من بنات الغرب لا تعرف من قيمهن سوى التحرر في الملابس وحب المغامرة والرطانة بالإنجليزية، لكنها لا تعرف معاني الجدية في الحياة والتفكير العملي والاعتماد على الذات والصراحة، ومن كانت منهن فتاة محافظة محتشمة أجدها بعد فترة تنفر من طريقة تفكيري الغربية وحياتي العملية، وكل فتاة منهن — سواء محافظة أو متحررة — تريد أن تلتصق بأمها كأنها لم تفطم بعد.

_ أنت المخطئ يا (رمزي)؛ أنت الذي تبحث عن الفيل الأبيض في غير

موطنــه، الأفـضل أن تبحـث عـن أمريكيــة أو أوروبيــة مـسلمة مـن الأصـل أو converted.

= أظن أن هذا هو ما سأفعله، لكنني كنت أتمناها مصرية أو عربية النشأة، إن هناك سحرًا خاصًا في دفء الشخصية المصرية والعربية لا يكتسبه إلا من نبت في هذه الأرض.

وهكذا جاء (رمزي) في عقل (أمجد) كزوج مناسب ل (سيندي) فيكسب بذلك الثواب مرتين.

* * *

لم يفاجأ (أمجد) عندما قرر (رمزي) و(سيندي) الزواج بعد شهور قليلة من تعارفهما، لكنه فوجئ بمن تستوقفه مبتسمة ذات يوم في أحد مولات مدينة أكتوبر، في البداية لم يعرفها لكنه بعد لحظات صاح من الإعجاب... إنها (سيندي) وقد ارتدت الحجاب!

_ أوه (سيندي)؛ يا للمفاجأة، لم يخبرني (رمزي) أنك قد ارتديت الحجاب، سوف أعاتبه عندما يعود من مأموريته التي في (نيجيريا).

ضحكت (سيندي) وقالت:

= عندما يعود سوف يفاجأ بحجابي مثلما فوجئت أنت، أنا لم أرتديه إلا منذ بضعة أيام وأريد أن أفاجأه به في المطار عند عودته.

نظر لها (أمجد) بمكر وقال:

_ هذا إذا لم أحرق لك المفاجأة وأخبره أنا هاتفيًا.

= لا، أرجوك لا تفعل، وإلا سوف أعاقبك!

رد عليها بدهشة:

_ وكيف ستعاقبينني؟

= سوف أغير اسم المولود المنتظر والذي اتفقت مع رمزي على اسمه.

و اغرورقت عينا (أمجد) من الدموع عندما أخبرته (سيندي) أنهما ينويان تسميته.. (أمجد)!

سهام كيوبيد العبيط

مضى (أمجد) في حياته المعتادة ما بين العمل صباحًا وقضاء وقت فراغه في المساء ما بين الجيم أو نادي المنتجع أو القراءة ومشاهدة التلفاز، وغالبًا ما يقضي أجازته الأسبوعية في الإسكندرية مع والدته التي بالرغم من يأسها من أمر زواجه فإنها ما تفتؤ تلمح له بأمنيتها في رؤية أحفادها من ولدها الوحيد، وتصر – بالرغم من كل إلحاحاته – على ألا تترك الإسكندرية وذكرياتها فيها، وتأبى أن تجيب طلباته المتكررة منها بالعيش معه في بيته الواسع في القاهرة:

_ أي ذكريات يا أمي وأنتِ تقريبًا لا تبارحين منزلك؟

لكن من يستطيع إقناع كبار السن في ترك حوض السمك الذي عاشوا فيه لعقود ممتدة؟ الأمر بالنسبة لهم أشبه بالتهجير أيام النكبات؛ يستحيل فعله إلا قسرًا، وأمه هي آخر إنسان يفكر يومًا في إغضابه، ولولا وجود أخته معها في الإسكندرية وإطلالها عليها من يومٍ لآخر لخيرها بين ذلك التهجير القسري وبين أن يترك عمله ليجلس معها لرعايتها، وكانت أمه تنتهز فرص عرضه هذه للانتقال للقاهرة كي تحثه على الزواج:

= آجي أعيش في بيت فاضي؟ إتجوز وأملا البيت وأنا وقتها آجي أعيش عندك.

لكنه يعلم أنها إنما تحثه فقط، بينما لن تترك هي منزلها إلا يوم الأجل

المحتوم. فيعود هو إلى القاهرة ليواصل دورة حياته المعتادة، ومن آن لآخر يحن إلى موقع (وداد) فيلقي بسنارته فيه بغير هدف محدد، لكن التعارف جاءه هذه المرة عن طريق الفيسبوك...

كتب يومًا منشورًا (بوست) على الفيسبوك ينتقد فيه أفكار الكثير من الزوجات المعاصرات بطريقة فكاهية لاذعة، وتندر فيه على مفاهيمهن المستحدثة عن المساواة والمشاركة، وتأفف بعضهن من واجبات الزوجة حيال خدمة بيتها وزوجها. أثار المنشور سخط صديقات الفيسبوك بينما أثار إعجاب الأصدقاء الرجال، وأعاد نشره الكثير منهم ثم العشرات من أصدقائهم فالمئات من أصدقاء أصدقائهم، وانقسمت التعليقات بين رجلٍ معجب وامرأةٍ تنتقد، حتى جاءه تعليق من فتاةٍ تمتدح البوست وترى أنه لا يقول إلا الحق ولا يطلب إلا العدل، فامتدح أمجد تعليقها وتبادلا تعليقات المديح ثم تبادلا الرسائل على البريد الخاص.

بدأت الدردشة بينهما في طريق المزاح المعتاد والقفشات المتبادلة، بعدها أراد (أمجد) بعض الجدية في الكلام، بينما استمرت هي في طريقة المزاح هذه ولم تكن تناديه إلا ب (سي السيد) وكثيرًا ما تمازحه: أجهز لك العشا يا سي السيد؟ أجيبلك طشت مية سخنة بملح؟

خمن (أمجد) أنها ربما تلقي إليه السنارة بحياء لعله يفهم، فألح إليها برغبته في التعرف عليها بصورة أكثر جدية، فراوغته بدلال كأنها لا تفهم،

فأرسل إليها صورة دبلتي خطوبة، فساقت عليه المزيد من التدلل وادعاء غفلتها عما يقصد، فتراجع (أمجد) خطوة للوراء وأرسل إليها:

_ ما تاخديش في بالك، اعتبريني ما قلتش أي شئ.

فتخلت (سهام) عن تدللها وأرسلت إليه:

= إنت ما صدقت؟ طيب إيه بقا؟

و هكذا بدءا في التعارف الجديَ؛ (سهام)؛ فتاة من الإسكندرية أيضًا! خريجة كلية التجارة وشقيقة كبرى لشقيقتين وليس لها أخوة ذكور، والدها محاسب معاش مبكر، وشعر (أمجد) ببعض القلق عندما أخبرته أنها في ال **25** من عمرها ولم يسبق لها أي ارتباط، فصارحها بأنه قد تخطى الأربعين وأنه مطلق، واستغرب أنها تقبلت كلامه بشكل عادي وسألته:

= صورتك على الفيسبوك دي قديمة؟

_ لا دي جديدة، أقل من سنة.

= لا تعطي سنك أبدًا.

_ أنا أصلي رياضي وأهتم بصحتي، وبعدين أنا أمور أصلا!

و وضع بجوار كلامه إيموشن لوجه يغمز بعينه

= السن مش مشكلة عندي طالما دي صورتك بجد.

_ طيب وفين صورتك إنتِ بجد؟

عادت (سهام) ثانية إلى التدلل عليه والتمنع أن تريه صورتها، وكلما ألح

في طلبه راوغت هي بتحويل مجرى الحديث إلى أمور أخرى، فهم (أمجد) أنها فتاة متواضعة الجمال وأنها تريد أن تجذبه إلى جمال شخصيتها وروحها أولا حتى يعجب بها كإنسانة فلا يهتم ولا يصدم عندما يرى صورتها، ودلل له عقله على ذلك بأنها ما كانت لتقبل بفارق السن هذا ومن مطلق أيضًا وخصوصًا أنه لم يلمح لها أبدًا إلى قدراته المالية المرتفعة حتى يقول أنها تسعى وراء المادة.

لم يشأ (أمجد) أن يضيع المزيد من وقته فظهر عليه الفتور في دردشته معها، وأدركت هي ذلك بفطنتها فأعادت دفة الحوار نحو طلبه لإرسال صورها:

= تدفع كام وأوريك صورة ليا.

_ خمسة جنيه!

= ليه التبذير ده؟ إنت كده تتحسد يا عم دهب.

_ خمسة جنيه ذهب!

= برضو مش كفاية... دي صورة زي القمر!

_ نشوف كده ولو كلامك بجد نحط صفر جنب الخمسة.

= صفر ع الشمال قصدك؟

_ ما تخلصي بقا يا حاجة!

ضحكت ثم أرسلت له صورة فتاة شديدة القبح وتبتسم في بلاهة، فرد عليها:

_ واااو.. تستاهل خمسة جنيه... خشب مسوس! ضحكت ثم قالت:

= طيب ودي؟

و أرسلت له صورة فتاة شديدة الجمال، فقال لها

_ دي ممثلة جديدة وللا موديل؟

= دي أنا.

_ أه طبعًا... إنتِ أكيد حلوة من جواكي.

= لا بجد، دي صورتي فعلا.

ثم أرسلت له صورتين أخريين لنفس الفتاة

_ (سهام) بجد مش عايز هزار، هاتي صورتك بجد.

= إيه؟ دي مش عاجباك؟

_ باعتالي صور واحدة ملكة جمال؟ يا ستي أنا فعلا عاوز واحدة جميلة فعلا لكن مش للدرجة دي؟ مش لازم تنقي واحدة أوفر بالشكل ده وتبعتي صورها.

سكتت قليلا عن الكتابة إليه ثم كتبت له ثانية:

= هزعل على فكرة وأنا زعلي وحش وممكن أختفي عنك خالص.

احتار (أمجد)؛ هل فعلا هذه هي صورها؟ فقام بالبحث في محرك (جوجل للصور) ليحاول أن يجد أي مصدر لهذه الصور، فلم يجد أي نتيجة، فكتب لها:

_ ده بجد! معقول؟ أنا مش مصدق نفسي.

= مفروض أزعل أنا بقا؟

_ لأ.. أوعي. ده أنا ما صدقت ألاقيكي، ده أنا بقالى عمر بحاله بدور عليكِ؟

= ولقيتني؟

_ لقيت أجمل حلم كان ممكن أعيشه في خيالى، فما بالك لما ألاقيه حقيقة قصاد عيني؟

= إنت بتبالغ.

_ يا ريتني كنت بعرف أبالغ، ده أقل بكتير من اللي حاسس بيه، لأول مرة أحس الإحساس ده، مشكلتي إني راجل مهندس وكلامي كله بالأرقام ومليش في الكلام الحلو يا خسارة.

= كنت هتقول إيه وقتها؟

_ كنت هكتب فيكِ أحلى قصائد الغزل.

= كل ده من كام صورة؟

_ الكام صورة دول أحلام عمري والصورة اللي أحلى من خيالى.

= وعشان خاطر الكلام اللي يدوب ده، خد مكافأتك مني.

وأرسلت له المزيد من صورها، وكل صورة أحلى من أختها.

لأول مرة يحس (أمجد) بشئ يتحرك في قلبه فتتفاعل معه كل ذرات كيانه، هل هذا هو ما يسمونه الحب؟ إنه شعور لم يجربه من قبل لا في مراهقته

ولا في شبابه لا الأول ولا المتأخر، فهل جاءه أخيرًا في أربعينياته؟ لقد كانت أسرته وأصدقاؤه المقربون يتهمونه بأنه إنسان غير قابل للحب، حتى هو أيضًا كان يصدق ذلك بل يذهب إلى أن ينفي وجود الحب الحقيقي أصلا وأنه ما هو إلا ترجمة راقية لمعاني الشهوة الجنسية كي نضفي عليها بعض الرقي الإنساني، وأن ما قد يكون من حب بين الزوجين فإنما هو التعود والعشرة والألفة كالتي تكون بين الأصدقاء...

+ هل معقول أن تقع في الحب لمجرد رؤية صور لفتاة فاتنة؟ لقد رأيت قبلها صور مئات الفاتنات.

_ ولكنها فاتنة من دم ولحم، شخص حقيقي أستطيع التواصل معه بل والوصول إليه.

+ ومن قال لك إنك تستطيع الوصول إليها؟ لعلها رجلٌ يراوغك ويلعب بعواطفك.

_ مستحيل؛ صفحتها على الفيسبوك وتفاعل صديقاتها وأصدقائها معها على صفحتها يؤكد أنها فتاة.

+ وهل من المعقول أن تحب فتاةً لمجرد صورها؟

_ بالطبع لا، كلامنا سويًا فيه تفاهم وتقارب، شئٌ تشعر به خلال حديثك الأول مع أي شخص تتعرف عليه؛ إما تآلف وإما تنافر.

+ وما أدراك أنها صورها أصلا؟ ليست كل الصور تستطيع البحث عن

مصدرها على جوجل صور.

_ هذا هو أكثر ما يقلقني، كيف لفتاة فاتنة مثلها وبشكل يندر وجوده هنا أصلا بل وتصنف كفاتنة لو كانت في أي بلد مشهور بجمال نسائه ثم تقبل الارتباط بي في ظروفي تلك؟ مهما كانت مميزاتي فهي لم تتعرف عليّ بالشكل الكافي حتى تحبني وتتغاضى عن سني وسابق طلاقي.

+ لابد أن تسعى لمقابلتها.

_ لا بد من قطع الشك باليقين.

و برغم حديث النفس العقلاني هذا (لأمجد) مع نفسه إلا أن موجات المشاعر كانت أعلى من شراع قاربه، فبدأ يغرق في بحر حبها؛ إنه ينتظر الدردشة معها بفارغ الصبر، ويتحمل نزقاتها وإنهائها المفاجئ للحوار بدون مقدمات، ثم يرقص قلبه طربًا حين تظهر له ثانية وتتفنن في دخلتها المرحة عليه وفي التدلل عليه والشقاوة البريئة معه.

وبعد محاولات أعطته رقم هاتفها بعد أن أخذت عليه عهودًا أنه لن يبادر هو بالاتصال بها حتى لا يسبب لها أي مشاكل مع أسرتها، وحينما تسنح الفرصة ستتصل هي به. كم كانت سعادته وهو يتكلم معها لأول مرة عبر الهاتف، صوت أنثوي رقيق فيه لثغة خفيفة في حرف الراء، مرحة... لبقة... لماحة... فيها شقاوة فتاة صغيرة.

أحس (أمجد) وكأن الدنيا اختلفت فيها أشياء كثيرة، حتى ألوان الورود

والشجر في حديقة فيلته الصغيرة وفي المنتجع كله صارت أكثر بهجة، ولأول مرة يلحظ (أمجد) وجود عصافير استوطنت شجرة (الفيكس) التي في حديقته، حتى الأغاني التي كان يسمعها من حين لآخر؛ أصبح يهتم بما في كلماتها من جمال ومعاني بعد أن كان لا يهتم إلا باللحن والطرب الذي فيه، حتى ساعات نومه صارت أقل ولكنها أعمق ويشعر بعدها بنشاط ملحوظ. ولم يعد يشعر بالملل من روتين الحياة...

_ (سهام) أنا واحد دوغري ومش بتاع تسالى، ولو عايزاني آجي أقابل بابا أنا مستعد أقابله من بكرا.

ضحكت (سهام) ثم قالت:

= طيب مش لما نتعرف كويس على بعض الأول؟ مش لما نشوف بعض الأول؟

_ ما هو ده اللي كنت هطلبه منك دلوقتي، لكن حبيت أطمنك الأول وأثبتلك قد إيه أنا جاد في الارتباط، ونفسي نتقابل الأجازة الجاية لما أنزل إسكندرية.

= الأجازة الجاية على طول كده؟ طيب ما تخليها على راس السنة كده؟

_ نعم؟! راس السنة كمان 4 شهور؟

ضحكت في تدلل:

= أيوه، نكون عرفنا بعض الأول وأكون غلست عليك شوية، إنت مستعجل

على الزواج وللا إيه؟

_ طبعاااا... مستعجل جدًا.

فسألته في مكر:

= ومستعجل ليه بقاا؟

فأجابها بنفس اللهجة الماكرة:

_ أقولك وما تزعليش؟

ففيرت (سهام) من لهجتها قليلا وقالت بجدية:

= لأ.. هزعل، خليني أعرفك الأول كويس، كلمني أكتر عن نفسك.

و بدأ (أمجد) يحدثها عن حياته وأخذ يركز على مميزاته وإمكانياته المالية العالية كأنه بذلك يغطي على فارق السن بينهما، الغريب أنه لم يحس بأنها اهتمت بثرائه ولا انبهرت أنه يسكن في فيلا أو يقتني سيارة فارهة، بل طلبت منه أن يرسل لها صورًا له على الواتساب، ولم تبخل هي في إرسال المزيد من صورها الفاتنة إليه:

_ معقول واحدة في جمالك ولسه ما إتجوزتش؟ ليه؟

= بسم الله الرحمن الرحيم، الإجابة: النصيب.

_ أكيد محدش مالى عينك أو طلباتك مش موجودة في الكوكب.

= أبدًا والله، أنا بس مش هتجوز إلا الإنسان اللي أحبه ويحبني بجد.

_ يبقى إتجوزيني.

= خلاص خليني أحبك.

_ وأخليكي تحبيني إزاي؟

= تاخدني على راحتي وتهاودني وما تـزعلنيش، أنـا **90**٪ طفلـة و**10**٪ آنسة ناضجة...

تيقن (أمجد) أن إحساسه بها مختلف عمن كن قبلها، إنها بـرغم جمالهـا وفتنتها فإنه لم يحاول أن يجعلها فتاة أحلام فراشه، بل إنه بدأ يباعد كثيرًا في ممارسة هذه العادة، وفي مكالماته معها فإنه يكون عاشق عذري ولا يجد في نفسه جرأة ولا حتى رغبة في تحويل مسار الحديث إلى مسارٍ جنسي كما كان يفعل مع بعضهن من قبل. إنها فتاة تختلف وإحساسه بها مختلف، بل إنه بدأ يحـن إلى تكوين أسرة بعد أن ألف حياة الوحدة والعزوبية، وبدأ يحلم بإنجاب أطفال منها وهو الذي لم يشغل الإنجاب تفكيره من قبل بل كان يكره لعب الأطفال وصداعهم ومشاكلهم، وبدأ يغار عليها من ملابسها الضيقة والقصيرة الظـاهرة في صـورها، وأحس بالغضب يغلي داخله لما أخبرته بأنها ترتـدي المايوهـات علـى الـشاطئ، وبرغم غضبه وجد نفسه يتمنى رؤيتها ولو مرة وهي ترتدي المـايوه حتـى يتأكـد من خلو بشرتها مـن الـشعر ومـن الحبـوب الحمـراء الملتهبـة جـراء إزالـة هـذا الشعر!

شعر وحبوب؟ لا أظن أن ملاكًا مثلها له هذه الصورة تعرف هـذه الأشـياء طريقها إلى جسدها، بل وجد نفسه يتقبل – في حب – وجود هذه الطبيعة فيها،

بل وتخيل صورتها وهي تجلو ساقيها فأحب هذه الصورة، إلى درجة أنه تخيل نفسه وهو يساعدها حين تصنع ذلك فذاب حنينًا لذلك الصنع!

إذا لم يكن هذا هو الحب فماذا يكون إذن؟ وماذا تنتظر هذه الفتاة وكلماتها تقطر إعجابًا بي، لماذا ماطلت في رؤيتي لها خلال أجازة الأسبوعين الماضيين وتحججت مرة بالسفر ومرة بمرض والدها، لماذا تختفي أحيانًا ولا ترد لا على المحمول ولا على رسائلي على الواتساب رغم مشاهدتها لها؟ ولماذا أصدقها في كل قصة تبرر بها غيابها؟

_ الليلة كما وعدتني أنها ستعوض غيابها عني وستهاتفني بعد نوم أفراد أسرتها... لا بد أن أضع النقاط فوق الحروف.. لا مزيد من المماطلة.

و في الساعة المنتظرة وبعد كلمات الشوق والحنين ثم عبارات المزاح والنكات، وقبل أن يهم (أمجد) بالدخول في الجد الذي كان ينتويه إذا بها تفاجأه بسؤال مباغت:

= (أمجد) إنت بتحب الصدر الكبير وللا الصغير!

بهت أمجد للحظات ثم قال وقد تحركت فيه نوازع الرغبة:

_ المهم يكون صدر جميل.. صغير أو كبير وما يكون مترهل.

= يعني إنت شايف من صوري إن صدري حلو؟

_ آه طبعًا... جدًا

= وشايف إيه تاني حلو في جسمي!

و هكذا أخذ الحوار منحنىً آخر تمامًا وصلت فيه السخونة إلى أقصى مداها! ونسي (أمجد) كل الحروف التي كان ينتوي تنقيتها في هذه المكالمة بل ولعدة مكالمات بعدها، وغرق معها في هذا البحر ومائه اللزج لعدة ليالى، لكنه عاد للتساؤل: وماذا بعد؟

إنه لا يزال يريدها ولم تسقط من عينيه بالرغم مما جرى بينهما من حوارات جريئة، ألح ثانية في رؤيتها ورفض كل محاولاتها الهروب نحو الحديث الجنسي ولم يهتز لما تصنعت الغضب منه:

= إنت ليه مش عايز تفهم، لازم أمهد لأهلي الأول عشان يتقبلوا فرق السن وكونك مطلق.

_ وده ما يمنعش إني أشوفك لما أنزل إسكندرية الجمعة الجاية.

= أنا مش بعرف أنزل لوحدي بالسهولة دي.

_ فيه مليون حجة وحجة تتقال، ما إنتي بتخرجي مع صديقاتك، لازم بجد نشوف بعض ولو مرة.

= وليه لازم إنك تشوفني، ما أنا معاك أهو وعندك ليا بدل الصورة عشرين.

_ ليه لازم؟ هي الصور تغني عن الأصل؟ هو مش من حقي إني أشوفك وتشوفيني؟

= أه.. يعني إنت عايز تعاين البضاعة.

_ مش قصدي طبعًا، لكن لازم نشوف بعض وناخد أي خطوة بدل ما أنا

بأبني قصرًا في الهواء.

= قول كده بقا... إنت شاكك في صوري أصلا، عن إذنك يا (أمجد).

وأغلقت الخط قبل أن تسمع منه ردًا..

أيام كئيبة عاشها (أمجد) وهي لا تتصل به ولا ترسل إليه، لكنه أصر على التماسك ولم يحاول أن يبادر هو، إنها تتصنع الغضب كي تتهرب من رؤيتي وأنا لن أستمر في هذه اللعبة، ما أدراني أن هذه هي صورها أو أنها من الإسكندرية أو أن اسمها (سهام) أصلا؟ صديقاتها ينادونها سهام على الفيسبوك؟ نصف الفتيات يضعن اسماءَ مستعارة على مواقع التواصل وينادين بعضهن بها.

الغريب أنها خلال هذه الأيام كانت تبدل صورها الشخصية على الواتساب وعلى فايبر بكثرة، ووضعت أكثر من صورة لها على كورنيش البحر وكأنها كانت تسمعه وهو يحدث نفسه!

و كأنما يئست من التدلل عليه فأرسلت إليه تعاتبه على عدم سؤاله عنها

_ إنتي اللي قفلتي السكة في وجهي يا سهام.

= غصب عني لأنك زعلتني منك جامد.

_ تقومي تقفلي الخط؟ ثم أنا قلت إيه يزعلك؟

= إنت شاكك إني بضحك عليك.

_ هو أنا لما أطلب إني أشوفك أبقى شاكك فيكي؟ ثم أنا قلتلك إني شاريكي وإني جاد جدًا، عايزة إيه تاني؟

= بصراحة أنا ما رضيتش أقولك إني فاتحت ماما عنك، وهي مش موافقة عشان فرق السن وخايفة من كونك مطلق.

_ خلاص؛ آجي أقنعها أو أكلم بابا رسمي وأقنعه.

= ماما هي مفتاح بابا، بابا لو قال لأ مش هيغير رأيه، لكن ماما ممكن تغير رأيها وأقنعها وهي تقنع بابا، وعشان كده أنا ما كلمتش بابا.

_ وده يمنع إننا نتقابل؟

= هقول لماما نازلة فين؟ أنا مش بنزل إلا معاهم أو مع واحدة قريبتي.

_ أكيد هتعرفي تتصرفي، إنتي ما تعرفيش أنا نفسي أشوفك إزاي.

= وحشتك؟

_ جداً

وهكذا عاد الحوار الساخن بينهما ولعدة أيام بعدها أيضًا!

إذا كانت تظن أنني سأكتفي بهذه المكالمات الساخنة عن طلب رؤيتها فهي واهمة، وإذا كانت تتحجج بأمها عن عدم قدرتها على الخروج فشكرًا لبرامج الاتصالات التي أغنتنا عن تكبد المشاق... يالي من غبي، لماذا لم أفكر في هذا الحل من قبل؟

_ (سهام) إفتحي برنامج سكايب عاوز أوريكي حاجة

ردت بمكر ممزوج بالدهشة:

= عاوز توريني إيه يا مجنون!

_ يا دماغك يا (سهام)، إنتي تفكيرك راح فين؟ عاوز أفرجك على الفيلا.

= حلوة من غير ما أشوفها، كفاية إنك فيها يا حبيبي.

_ لا بجد، عاوز آخد رأيك في حاجات فيها

فتحت البرنامج بالفعل لكنها لم تفتح الكاميرا عندها

_ إنتي ليه قافلة الكاميرا عندك

= ياه يا (أمجد)، كل القصة دي علشان تخليني أفتح الكام؟ طيب ما تيجي دوغري.

_ أنا فعلا كنت عاوز أفرجك على حاجة، وبعدين إفرضي؟ هو عيب إني أطلب إني أشوفك؟ طالما مش قادرة تقابليني يبقى نشوف بعض هنا.

= معلش أصلي مش لابسة ومش بستعدة.

هز كتفيه ورد ببساطة:

_ إلبسي وإستعدي.

ردت عليه باستنكار وقد بدأ الغضب يظهر على نبرات صوتها:

= يا سلام؟ ليه دا كله يعني؟

_ هو عيب إني أشوفك؟ غلطان إني عايز أحس بيكي أكتر وأكتر؟

= عاوز تحس بيا ولا لسه الوساوس مالية عقلك من ناحيتي؟

_ ما هو مفيش اتنين بيحبوا بعض بقالهم شهرين ومش بياخدوا أي خطوة للأمام ولا حتى إنهم يشوفوا بعض.

= وأنا حكيت لك عن (أحمد) اللي بيشتغل في السعودية وقعنا 6 شهور نتكلم على الماسنجر وعمره ما طلب مني أفتح الكام ولا حتى بعثت له نصف الصور اللي عندك.

رد (أمجد) بجدية:

_ وإنتي دلوقتي بتكلمي (أمجد) من مصر مش (أحمد) من السعودية.

سكتت سهام تمامًا وكأنها اختفت ولم ترد حتى على رسائله، بل اختفت بعدها لمدة أسبوع كامل ولم تظهر لها أي مشاركة لا على الفيسبوك ولا ظهرت أونلاين لا على الواتساب ولا على الفايبر، حاول الاتصال بهاتفها المحمول من رقم لا تعرفه فردت عليه الرسالة المسجلة التي تفيد بأن الرقم الذي يحاول الاتصال به ربما يكون مغلقًا.

تناوبت (أمجد) مشاعر عدة ما بين الغضب والحزن والقلق، أين ذهبت هذه الفتاة الغريبة؛ وللمرة الثانية تصيبه آلام هجر الحبيب ويشعر بالوحدة والاكتئاب من خلو الحياة منها.

_ حتى الاتصال بها أنا غير قادر عليه، لو كنت أعرف لها عنوانًا محددًا لسافرت إليها فورًا وليكن ما يكن.. إذا كان هذا هو الحب فتبًا له ولوجع قلبه!

و فجأة جاءته رسالة منها وكأنها قبلة الحياة لغريق... فرد على رسالتها

_ إنتي كنتي فين؟ حرام عليكي تعملي فيا كده، حتى تليفونك كان مقفول..

= أنا عملت حادثة يا (أمجد).

و أخذت تحكي له عبر الرسائل ملابسات الحادث الذي وقع لها وهي تقود سيارة والدها وأنها نقلت للمستشفى ووضعت يدها اليسرى في الجبس وساقها اليمنى في الرباط الضاغط بعد أن رفضت تجبيسها، ولهذا طلبت من أختها غلق هاتفها، وأنها خرجت لتوها من المستشفى وكان أول ما فعلته أن أرسلت إليه.

و لمدة ساعة وهو يواسيها ويبثها أشواقه ونوازع حبه لها، واعتذرت عن عدم قدرتها على الحديث هاتفيًا بسبب تواجد أفراد أسرتها بجوارها دومًا لرعايتها وتسليتها. لكنه بعد أن أنهى محادثته معها سأل نفسه:

_ أسبوع في المستشفى من أجل جبس في اليد والساق؟ إن والد صديقه (حازم) قد قام بتغيير مفصل ركبته بسبب تآكلها ولم يمكث في المستشفى سوى ثلاثة أيام فقط!

+ ربما كانت تحت الملاحظة بسبب ارتجاج أو ما شابه؟

_ إن عدة فئران تلعب في صدري من هذه الفتاة.

بعد عدة أيام استطاعت (سهام) أن تهاتفه، وبدا (أمجد) طبيعيًا جدًا معها ولم يظهر أي ظواهر شك أو ريبة في نبرات صوته معها ولعدة أيام، حتى سألها فجأة ذات يوم في وسط حديثهما:

_ أخبار إيدكِ إيه يا سوسو؟

= الحمد لله إتحسنت كتير.

_ إيدك اليمين؟ صح؟

_ أيوة، إيدي اليمين ورجلي الشمال.

فقام (أمجد) بعمل سكرين شوت لمحادثتهما السابقة التي أخبرته فيها بإصابة يدها اليسرى وساقها اليمنى وأرسله إليها!

صمتت (سهام) صمت القبور قبل أن تغلق الهاتف في وجه (أمجد) الذي لم يحاول أن يتصل بها، وإنما بادر– قبل أن تحظر رقمه – بإرسال عدة رسائل لها فيها من الشتائم ما لم يكن يتخيل أنه يعرفها أصلا فضلا عن أن يقولها لأحد! وقام بتوزيع هذه الشتائم بالعدل بين رسائل المحمول والواتساب والفيسبوك!

كان كل ما يشغل باله بعد ذلك هو التأكد من صاحبة الصور، بالتأكيد ليست صورها هي لكنه الفضول في معرفة الحقيقة، من أين أتت (سهام) بهذا العدد الكبير من الصور لهذه الفاتنة؟ وكيف تبدو صور كثيرة منها أنها في الإسكندرية؟

أرسل (أمجد) كل الصور لصديقه (حازم) الذي يعمل في شركة مختصة بتقديم خدمات الإنترنت، بالتأكيد لديهم من إمكانيات البحث ما يمكنهم من معرفة مصدر الصور، وبالتأكيد سيهتم (حازم) بهذه الفاتنة وبمعرفة أصلها وفصلها، ثلاثة أيام وعاود (حازم) الاتصال به:

= الصور لفتاة لبنانية تم تحميلها على موقع we love it.

_ ما هذا الموقع؟

= موقع لرفع وتبادل الصور بين مغرمي تصوير أنفسهم في كل مواقف حياتهم، وفي ذات الوقت تكون المنافسة بينهم على من يحصل - أو تحصل - على أكبر عدد من علامات الإعجاب وعدد المتابعين والتعليقات.

_ لكن خلفية بعض الصور وكأنها في مصر، وماذا عن الكورنيش في بعض الصور؟ كأنه كورنيش الإسكندرية.

= كما قلت؛ كأنه كورنيش إسكندرية، لاحظ أن كل صور الكورنيش زووم وليس فيها صورة واحدة بانوراما حتى تستطيع تمييز معالم مشهورة، بعض أجزاء كورنيش بيروت تشبه كثيراً كورنيش إسكندرية، بل ستجد نفس الشبه في كورنيش اللاذقية مثلا أو كورنيش أثينا، ولأن معظم الصور في بيروت فطبيعي أن تظهر بعض الفتيات المحجبات في كادر أو خلفية بعض الصور.

سكت (حازم) قليلا بينما بهت (أمجد) ولم يعقب، فقال حازم ضاحكاً:

= تعيش وتاخد غيرها يا صاحبي!

* * *

(أعيش) نعم بإذن الله، أما أن (آخذ غيرها) فلا وألف لا...

كاد الغضب أن يفلقه نصفين، كيف يتعرض للخداع هكذا وببساطة؟ إنه لم يُخدع وهو شاب أو حتى مراهق فكيف تلاعبت به هذه الفتاة الهيجانة وهو الرجل الناضج المجرب؟ لكن الذي مزق فؤاده فعلا أنه أحبها أو بالأصح أحب صورتها التي رسمها لها في وجدانه... يا لسخرية الحياة؛ الفتاة التي أنستني

أحلام يقظة الفراش هي الفتاة التي عرفتني من أجل أن تنسج أحلام فراشها هي!

الفتاة التي تمنيتها زوجة الواقع الجميل لم تكن إلا عشيقة الخيال المريض!... من أعمالكم سُلّط عليكم.

هكذا خاطب (أمجد) نفسه.

* * *

_ آلو... إزيك يا (نوال).

= ياه يا (أمجد)؛ عاش من سمع صوتك، أنا قلت إنت نسيتني خلاص.

_ أبدًا والله، لكن مشاغل الدنيا وحياتي اللي اتنقلت كايرو ونظام شغلي الجديد بعد ما كنت فاضي نص الشهر.. إنتي عارفة بقا.

= يعني حتى لو مش بتنزل إسكندرية فيه اختراع اسمه تليفون واختراع أجدد اسمه موبايل، بدل النذالة اللي إنت فيها دي.

_ وأديني يا ستي بكلمك في الموبايل ونفسي أشوفك كمان لما أنزل إسكندرية.

= تصدق إنك ابن حلال؟ ده إحنا اللي بكرا عاملين event تانجو في القاهرة.

_ حلو قوي، أشوفك بعد صلاة الجمعة؟

= أوكيه يا مان.

_ إعملي حسابك هنتغدى سوا، مش إنتي تقدري تسيبي الشلة لحد ما

الإيفنت يبدأ؟

= أكيد، أنا حتى جاية القاهرة لوحدي من غير أختي.

هذا ما كان يريده (أمجد)، كان يريد الفضفضة مع صديقة تفهمه، لا يدري لماذا فكر في نوال بالذات، فبرغم أن تعارفه مع (نوال) كان على موقع للزواج، إلا أن علاقتهما أخذت منحنى الصداقة الحقيقية ، كما أنه لم يحبذ أن يحكي ما يخجله لصديقة من صديقات القاهرة الجديدات، لقد فضل أن تكون صديقة قديمة وبعيدة فلا يشعر بالإحراج من قصته هذه كلما رآها ونظر في عينيها.

وهكذا قص (أمجد) على (نوال) قصته تلك بكل تفاصيلها، ولم يخجل أن يقص عليها ما كان بينهما من مكالمات، ولا أن يصارحها بما كان يشعر به نحوها من عاطفة...

= إنت زعلان عشان حبيتها وللا زعلان من نفسك عشان إنضحك عليك؟

صمت أمجد لحظات ثم قال:

_ الاتنين.

= وليه متبصش للجانب الإيجابي في الموضوع؟

_ هو الموضوع ده فيه جانب إيجابي؟ ده كله على بعضه غلط ويكسف.

= بالعكس! الموضوع ده معناه إنك تقدر تحب مش زي ما كنت فاكر إنك ما تعرفش تحب.

_ حب إيه؟ ده كله موضوع خيال في الأوهام.

= لكن الخلاصة إنك حبيت، وإنك لو كنت قابلتها في الحقيقة كنت هتحبها.

_ الكلام ده لو كانت هي فعلا صاحبة الصور.

= المهم إن إحساس الحب موجود في قلبك ومش ميت زي ما إنت متصور، المهم حد يصحيه.

سكتت قليلا ثم استطردت:

= عارف إنت مشكلتك إيه يا (أمجد)؛ إنت عايز ومش عايز، قادر لكن مش طايل، نفسك لكن مش بتحاول ولما بتحاول بتبقى مش جاد في محاولتك، ويوم ما بتحاول بجد بتحاول مع الشخص الغلط.

_ ياااه، ده إنتي شرحتيني خالص، لكن إيه الفلسفة دي كلها؟

= لا فلسفة ولا علم نفس، أنا بس عشان حاسة بيك وشايفاك من برا... أمجد؛ إحنا أصدقاء رغم إننا إتعرفنا على موقع (وداد)، مسألتش نفسك ليه أنا قبلت إننا نبقى أصدقاء ونسيت حكاية الزواج دي؟

_ أكيد حسيتي إن كده أحسن من العُقد اللي أنا فيها دي.

= لا أنا بتكلم بجد، إنت مش معقد إنت متناقض.وكل فترة بحال مختلف، عايز البنت اللي فيها كل حاجة ولما مش بتلاقيها – لأنك أكيد مش هتلاقيها – بتعرف أي بنت حلوة وخلاص عشان تملا بيها الفراغ العاطفي، وأكيد بعد فترة هتحس إنها مش طلبك، فبتزهد فيها وتشوف غيرها اللي هي

كمان مش هتفرق حاجة عن اللي قبلها وترجع تزهد فيها هي كمان. ويفضل الشبق اللي جواك للمرأة الكاملة ينقلك من بنت لبنت وإنت زاهد فيهم كلهم!

_ ياه، ده أنا طلعت إنسان سئ جدًا.

= مش سئ ولا حاجة، كنت تبقى سئ لو كنت بتعرف البنات دي كلها عشان تنام معاهم وتعيش دور الكازانوفا، لكن الغريب إنك مش كدا ومش عايز تبقى كدا رغم إنك تقدر تبقى كدا.

قهقه أمجد وقال:

_ إنتي مش بس فيلسوفة ده إنتي كمان محللة نفسية وبتقولي حِكَم وشعر كمان.

= شغلي وطبيعة حياتي خلتني أشوف نماذج من الناس بعدد شعر راسي، وإنت نموذج مختلف وغريب لكن لذيذ.

غمز أمجد بطرف عينه لها وهو يقول:

_ لذيذ قوي يعني؟

ابتسمت نوال وقالت

= إنت هتعاكسني ولا إيه؟ إنت كدا هتهد النظرية بتاعتي كلها عنك.

سكتا سويًا حتى قالت نوال:

= يللا عشان كده هنتاخر على الإيفنت.

_ لا أنا هوصلك وأروّح البيت، المود بتاعي مش جايب إحتفال وموسيقى

ورقص.

= بالعكس بقا، تعال عشان تخرج من المود ده، ثم إن الشلة كلها مستنياك وعايزين يشوفوك.

أصرت (نوال) على اصطحابه معها وهو لم يبد ممانعة كبيرة فقد كان يحتاج فعلا للمرح والتغيير بالرغم من أنه لا يجيد الرقص ويكتفي بالتصفيق.

و ما إن دخل مع (نوال) قاعة الديسكو المحجوزة للإيفنت حتى فوجئ بالشلة كلهم يلبسون الطراطير ويصرخون في صوت واحد:

Surprise!!!!

وقف (أمجد) مدهوشًا وبادرته (نوال) مبتسمة تقول:

_ كل سنة وإنت طيب يا (أمجد)؛ عيد ميلادك الاتنين الجاي، وقلنا فرصة نحتفل بيك.

كانت لفتة جميلة منهم برغم أن علاقته بهم لم تتعد الأشهر القليلة قبل انتقاله إلى القاهرة، وجاءت هذه اللفتة في وقتها، وساعدت الليلة كلها في تحسين مزاجه ورفع روحه المعنوية.

و في يوم عيد ميلاده جاءته أحلى مفاجأة؛ إتصلت به (بريندا) من ألمانيا لتهنئته بعيد ميلاده:

_ معقول يا (بريندا)؟ لا زلت تذكرين يوم عيد ميلادي؟

= بالتأكيد يا (أمجد)، أنت شخص عزيز جداً وقريب من نفسي.

_ ما هي أخبارك؟ طمأنيني عليكي كيف هي أخبارك بعد الزواج؟

تغير صوت (بريندا) قليلا حين أجابته:

= إنني بخير.. الأمور على ما يرام.

_ لماذا أحس في لهجتك ببعض الأسى؟ أم أنا يهيؤ لي؟

سكتت (بريندا) لحظات ثم قالت:

= الحقيقة أن (مارك) شخص لطيف، لكن المشاكل بيننا وصلت لطريق مسدود، هو يرفض تمامًا فكرة الإنجاب ولا يريد تحمل مسئولية أي طفل.

_ هل قال لكِ ذلك قبل الزواج؟

= هذه هي المشكلة، هو فعلا أخبرني بذلك، لكن معظم الشباب عندنا يقولون ذلك ثم يحنون لإنجاب طفل أو اثنين بعد الزواج.

_ وطبعًا أنتي تزوجتيه على اعتبار أن قناعاته سوف تتغير.

= بالضبط، لكن قناعاته ازدادت رسوخًا، وكلما حاولت أن أناقشه في الموضوع يتحجج بأنه كان صريحاً معي من البداية، ثم يسرد عليّ قائمته المحفوظة عن أصدقائنا ومعارفنا الذين تغيرت حياتهم بعد الإنجاب ففقدوا الاستمتاع بالحياة بسبب مشاكل الأطفال ومتطلباتهم.

قال لها (أمجد) مواسيا:

_ عندنا في مصر إذا واجهت الزوجة موقفا كهذا فإنها تتعمد حدوث الحمل وتتحجج لزوجها بأن هذا تم رغم احتياطاتها.

= عندكم في مصر الإجهاض محرم دينيًا، لكني لو فعلت ما تقول سيطلب مني (مارك) أن أجهضه ولو رفضت الإجهاض سيهجرني.

_ يمكنك وقتها الحصول على الطلاق.

= لكني أريد أسرة سوية وأن أربي إبني أو إبنتي في أحضان أبيهم.

سكتت لحظات ثم أضافت:

= أنا فعلا أشتاق أن أكون أمًّا.

سكتنا سويًا للحظات ثم قطعت (بريندا) حبل الصمت وغيرت مجرى الحديث وقالت:

= هل ستحضر مؤتمر **APTC** هذا العام؟

_ مؤتمر تكنولوجيا البترول؟ أين سيعقد؟

= سيقام هذا العام في مدينة (أبو ظبي)، ستكون فرصة طيبة لأن أراك.

_ بالتأكيد ستكون فرصة طيبة لي، سأرى إن كانت الشركة ستوفدني ضمن ممثليها هذا العام أم لا، وحتى إن لم يكن كذلك فسأقوم بالحجز على حسابي.

= إلى اللقاء هناك إذن.

_ إن شاء الله، إلى اللقاء.

و ابتسم (أمجد) بعد أن أغلق الخط مع (بريندا) فهي لم تعلق مازحة كما اعتاد منها كلما سمعت منه جملة (إن شاء الله)؛ تارة تستغرب لماذا نقولها وتارة

يدخل معها في نقاش فلسفي حول حريــة الإرادة وحــول الجــبر والاختيــار عنــد البشر. وتذكر كيف غضب منها مرة لما تندرت على ذلك الشاب الخليجــي الــذي أخذ في التودد لفتاة روسية في حفل عشاء أحد المؤتمرات كي تقبــل الفتــاة دعوتــه على عشاء اليوم التالى، حتى إذا قبلت الفتاة دعوته قال لها الشاب الخليجي:

= غدًا في الثامنة مساءً إن شاء الله!

لكن (بريندا) أقرت في النهاية أن الإيمان وممارسة الـشعائر الدينيــة شئ جيد خاصة أنهم كأوروبيين يفتقدون السلام الداخلي ويشعرون بالخواء الروحــي الذي يجعلهم أكثر عرضة للاكتئاب، وهو ما لا تراه عند المسلمين:

= لو كانت مشاكل بلدكم عندنا لانتحر نصف الشباب من الاكتئاب.

_ إذن فسوف أقابل (بريندا) في مؤتمر ال APTC بعد شهرين..

هكذا حدث نفسه..

_ لكن الوقت يكون ضيقًا في هذه المؤتمرات وأنا بحاجة الآن إلى أجازة وإلى تغيير جو بعد هذا المقلب الساخن.

إنه بحاجة إلى السفر خارج مصر ليشعر فعليًا بتغيير الجو، لا يريد مدينة للتسوق ولا مدينة كبرى صاخبة، يريد مدينة لها طابعها المميز الخاص بها والذي يشعره بالتغيير والاختلاف، فيها هدوء الطبيعة بالضبط كما فيها وسائل الترفيه، وبدون تفكير طويل قام (أمجد) بحجز رحلة له إلى (مراكش) عاصمة السياحة في المغرب ، اختار النزول في أحد الفنادق التي تحمل لقب (رياض) إلى جانب اسمها، فكلمة الرياض هذه تعني أنها كانت أحد القصور أو البيوت القديمة ذات الحدائق، وبالتالى ستكون في داخل أسوار المدينة القديمة، إنه يريد أن يعيش التغيير كاملا، وطالما أنه لن يخرج وحده بالمساء خارج أسوار المدينة القديمة فلا بأس بهذا الاختيار، كما أن المناخ يكون معتدلا هناك في ذلك الوقت وبعيدًا عن ازدحام أعياد الكريسماس حيث ستعج المدينة بالأوروبيين.

وصل في الظهيرة إلى مطار (كازابلانكا) ومرت مرحلة الجمارك بسلام!، ثم اتجه إلى محطة القطار التي في المطار ،حجز في أقرب رحلة إلى (مراكش)،

عادة لا يحمل معه سوى حقيبة واحدة لأغراضه وشنطة كتف صغيرة لأوراقه ونقوده فتسهل بذلك حركته. اختار (أمجد) كرسيًا بجوار النافذة كي يستمتع بالمناظر الطبيعية طوال ساعات الرحلة الثلاث، لكن ذلك لم يحدث؛ فقد جلست بجواره فتاةً ما إن بدأ خط الحوار بينهما حتى امتد موصولا ولم ينقطع إلا بوصول القطار إلى محطة مراكش...

= إنت مصري؟

ابتسم (أمجد) وقال:

_ واضح من لهجتي؟ وإنتي أكيد مغربية!

ضحكت وقالت:

= واضح من لهجتي أنا كمان؟ إنت مو أول مرة تيجي على مراكش؟

_ عرفتي إزاي؟

= إنت راكب القطار وعادة إلى تيجي سياحة عالبلاصة أول مرة تياخد تاكسي.

_ البلاصة؟

= المكان يعني.

_ اها، وليه متقوليش إن الإنترنت دلوقتي عليه كل حاجة والسائح الشاطر بيضبط برنامجه قبل ما يسافر.

= السائح الأوروبي تيعمل هكا، لكن العربي ما مولف يعمل هكا.

_ كان زمان. دلوقتي حتى السائح الخليجي لما بيكون من غير حريمه بيعمل (هكا).

ضحكا سويًا على التقاط أمجد لكلماتها المغربية، ثم قالت هي:

= مش تحاول تقلد الهدرا ديالى – أقصد كلامي – لأني مش بحكيك مغربي صافي، أنا بغيت أقلد كلامكم شوية يللي في الأفلام والمسلسلات.

_ إنتي كلمتين مصري على سوري على خليجي... وحدة عربية.

= لو حكيتك مغربي مش راح تفهم نص هدري، ولو حكيتك أمازيغي مش راح تفهم مني شئ.

_ إنتي أمازيغية؟

= بابا أمه أمازيغية وهي يللي علمتني أحكي أمازيغي، لكن ماما من الشمال من (تطوان).

_ يعني إنتي عرق عربي وعرق أمازيغي وماما اللي من تطوان أكيد فيها عرق أندلسي، وإنتي بقا ورثتي من كل عرق الجمال بتاعه.

ابتسمت في حياء وقالت:

= ميغسي على الكومبليموه، إنت أجمل.

_ لا أنا (أمجد) مش (أجمل)

قهقهت من كلامه ثم قالت:

= وأنا إسمي (حفصاه).

استغرب أمجد وسألها:

_ إيه؟ اسمك إيه؟

= (حف صاه) على اسم زوجة الرسول بنت سيدنا (عمر).

_ آآاه، (حفصة)، أصلك كسرتي الحاء ووقفتي على الفاء ومديتي الصاد، نطقتيه غير ما درسناه خالص.

= لا إنت سمعت الحاء مكسورة بالغلط، حنا هكا تنطقه هاد الاسم... (حفصة).

و استمر سيل الحوار ينهمر بينهما بغير انقطاع، حكى لها عن نفسه وعن عمله وهواياته وسفرياته، وعرف أنها ماجستير في الاقتصاد – شهادة تؤخذ بعد دراسة سنتين بعد البكالوريوس — وعملت بعد الماجستير لمدة خمس سنوات في شركة تأمين في (كازا) لكنها ملت من البعد عن مدينتها فقررت العودة لتعيش مع أهلها في مراكش والذين يقطنون في حي (كيليز) الجميل.

كان أول ما لفت انتباه (أمجد) فيها هو جمالها المختلف، عينان خضراوان وشعر بني اللون مسترسل في نعومة طبيعية، في حين أن بشرتها خمرية أقرب إلى السمرة، شفتاها ممتلئتان بوضوح تحت أنف صغير ودقيق، نحيفة ورشيقة لكن كتفاها يؤكدان أنها تواظب على الرياضة.

مع الوقت انتبه (أمجد) إلى أمور أخرى غير جمالها الهجين؛ أنها مطلعة ولبقة في الكلام. فمجرى الحوار يسيل بينهما من نقطة إلى نقطة ويخرج من

مخطة لأخرى وهي معه... في السياسة في الاقتصاد في الرياضة في التاريخ...لم تسقط منه في أي محطة، حتى أنه دهش من معرفتها بما يجري في مصر من أحداث بل وبالتفاصيل! ، حتى إذا اقترب القطار من محطة الوصول سألته:

= إنت مخطط شي حاجة للرحلة تبعك وللا جاي من غير بروجرام؟

_ لا أنا واخد أسبوع استجمام، فمفيش برنامج محدد.

= اوا شنو رأيك أكون الجاييد ليك هاد الاسبوع ؟

_ تكوني مرشدي السياحي؟ يا سلام؟ ده مفيش أحلا من هاكا.

ضحكت من تقليده ثانية وقالت:

= خلاص، بكرا الساعة 8 الصبح آجيك على لوبي الأوتيل.

بالتأكيد تكون السياحة في أي بلد أفضل وأوفر إذا كانت بصحبة أحد أبناء هذا البلد، خاصة وأن (حفصة) كانت تستعمل سيارتها الخاصة في تنقلاتهما داخل مراكش، أما النزهات التي تكون في حضن الطبيعة خارجها فكانت هي من تقوم بالترتيب والحجز وانتقاء أفضل الخيارات...

_ أنا مفروض أدفعلك بدل إرشاد سياحي.

هكذا قال لها ممازحًا وهو يضحك فقالت ضاحكة هي أيضًا:

= راه أنا تنمشي معاك فالرحلات كلهم ببلاش، أنا مستفيدة أكتر منك.

_ كفاية إنك معطلة نفسك معايا.

ابتسمت وقالت:

= اسيدي ما معطلني، أنا كمان كان بغيت أتفسح بعد ما سيبت الخدمة في (كازا)، أنا مستفيدة أكتر منك.

الحديث بين (أمجد) و(حفصة) لا يكاد ينتهي سواءً في رحلات الصباح في جبال أطلس أو في حديقة ماجوريل أو زيارات القصور أو جامع الفنا أو حتى في رحلة المنطاد، ولا ينقطع أيضًا في نزهات المساء في المطاعم أو في مقاهي الرياض المختلفة. ما إن يلتقيها حتى يبدأ شريط الحوار في الاسترسال في كل شئ ومن موضوع لآخر بغير ملل.

الحقيقة أن (حفصة) لها أسلوب شيق في السرد، فحين تصف له مثلا طقوس الزواج في المغرب فإنه يشعر وكأنه يحضر فعلا عرسًا مغربيًا بلياليه الثلاث. واستغرب بعض الشئ حين أخبرته أن فرق السن ليس له تأثير في الزواج هناك، ومن العادي جدًا أن تجد فتاة في العشرين تزف لرجل تجاوز الأربعين، ودهش حين قالت له أن طلب العريس من أهل خطيبته إحضار (شهادة عذرية) إنما هو طلب عادي:

_ إيه شهادة العذرية دي؟

= شباب بالزاف عندنا تيبغي يتأكد أن خطيبته ما عندها ماضي، فيتفق مع عائلة خطيبته أنها تمشي عند طبيب أو طبيبة تعطيهم شهادة العذرية، والعريس هو اللي تيختار الطبيبة.

استغرب (أمجد) وقال:

_ معقول؟ والبنت وأهلها بيرضوا؟ دي إهانة.

= كيف ما تيوقع عندكم في مصر؛ اللي بتقولو عليه دخلة بلدي ، يمكن شهادة العذرية أكرم وع الأقل مستورة.

_ ده كان بيحصل في الأرياف والمناطق الشعبية وانتهى معظمه من زمان.

= المهم إن هاد الموضوع كان تيوقع ف مجتمعكم على الرغم أنه كان أوقتها مجتمع محافظ بزاف.

عرف (أمجد) أيضًا أن الفتاة المغربية جريئة ومغامرة، وتحدث زيجات كثيرة مع شباب من جنسيات عربية أو أوروبية، وأحيانًا باكستاني أو صيني! شريطة أن يكون مسلمًا، والغريب أنه مع النسبة الملحوظة لزواج المغربيات من غير المغاربة فإن إجراءات هذا الزواج من أعقد ما يكون وتستغرق إجراءاته قرابة الشهر وربما أكثر.

و بدأت (حفصة) تدخل عقل (أمجد)، فهي جميلة الملامح؛ ليست صارخة الجمال كما كان يحلم منذ عقود! لكنها ذات مذاق جمالى خاص، قالب جمالى مزجت فيه صفات من العرق العربي والأمازيغي والأندلسي، لوحة تجريدية لن تراها! إلا في المغرب أو أسبانيا أو أمريكا اللاتينية، وحتى في هذه البقاع الثلاث لن تجد هذا الكوكتيل إلا قليلا. كما أن (حفصة) من أسرة ذات أصل طيب، والسيارة التي تقتنيها والفيلا التي تقطن فيها أسرتها في حي (كيليز) يؤكدان أنها لا

تتجمل في ادعاء رقيها الاجتماعي، والأهم من ذلك هي كمية الراحة التي يشعر بها وهو بصحبتها.

لكنه توقف عند بعض الأمور عندها؛ فبعد يومين من التنزه والكلام بلا انقطاع تقريبًا طوال اليومين حتى توطدت بينهما العلاقة إلى درجة الصداقة، فوجئ بها من اليوم الثالث تستقبله أول اليوم وتودعه في آخره بأن تقبله على خديه كأنها تقبل صديقتها، ظن في البداية أنها ربما تستميله نحوها، لكنه وجدها تقبل ابن عمتها بنفس الطريقة وذلك حين صادفهما ذات مساء وهما يحتسيان (الأتاي) في أحد الرياض.

أيضًا لاحظ تناقضًا غريبًا عندها، فهي قد تذهب معه رحلة الصباح مرتدية الشورت وقد تسهر مساءً معه ببنطلون جينز ممزق عند الفخذين لكنها لا تترك صلاة الفرض حتى أثناء الرحلات، ودائمًا في حقيبتها إسدال صلاة مطبق بعناية كي لا يأخذ حيزًا كبيرًا. هي لا تدخن ولا تشرب حتى البيرة بينما بعض صديقاتها اللاتي صادفهن يشربن الويسكي.

لا يدري (أمجد) هل هذه الأمور هي ما وقف عندها حقًا؟ أم أن عُقد الماضي عنده قد قفزت إلى ذهنه لا إراديًا؟ فبرغم رشاقة (حفصة) وجمال تضاريس جسدها الرياضي إلا أن جسدها ليس تام التقسيم الأنثوي، فمحيط الوسط عندها هو نفس محيط الخصر، وإذا كان (أمجد) قد أعجبه فيها ذلك المزيج الجمالى متعدد الأعراق فقد مرت به فتيات وهبهن الله ذات نفس النمط الجمالى وربما

بحظ أوفر!

+ تبًا لك يا أمجد، لا توجد جميلة في الدنيا إلا وهناك من هي أجمل منها.

هكذا قال لنفسه، لكن ما أحبطه فعلا كان يوم أن أخبرته عفوًا أنها تنوي عمل ليزر لإزالة ذلك الشعر الخفيف النابت أسفل ظهرها...

_ غريبة، إنتي ساقيكي مفيهاش شعر ولا حبوب من آثر إزالة الشعر، يعني هو خفيف أصلا، يبقى إزاي عندك شعر في ضهرك؟

هزت كتفيها بلا مبالاة وقالت:

= عادي.

* * *

لا يدري (أمجد) هل كان لعب من الشيطان برأسه أم أنه أراد اختبار ردة فعلها عندما كان يلقي لها أحيانًا ببعض النكات أو التلميحات الجنسية المواربة، أحيانًا كانت تضحك وأحيانًا كانت تسكت في لا مبالاة، هل كانت تقيس النكتة بمقياسها الكوميدي البحت؟ أم أنها تفوت مالا يروقها؟ فرفع (أمجد) من سقف جرأته ذات ليلة..

_ إحنا كده خلاص مروحين الليلة دي؟

= بغيت تسهر شوي؟

_ مش جايلي نوم، ما تيجي أشوفك حريفة في الشطرنج زي ما بتقولي وللا لأ؟

= شطرنج؟ فين هنلقاو شطرنج دبا؟

_ عندي في الأوتيل!

نظرت له (حفصة) في غضب وتغيرت نبرة صوتها وملامح وجهها وقالت في غضب:

= إنت مصطي؟ هدا هو ظنك فيني من الأول؟ إني آجيك غرفتك في الأوتيل؟

ابتلع أمجد ريقه في ارتباك، لكنه تدارك الموقف بذكاء وحول دفة الدفاع إلى هجوم:

_ إيه اللي بتقوليه ده؟ أنا ما قلتش تيجي غرفتي أنا قلت الأوتيل.

= يا سلام؟ شنو الفرق؟

_ أنا قصدي اللوبي أو كافيه الحديقة، شفت ناس قبل كده بتلعب شطرنج هناك.

هدأت (حفصة) قليلا ثم نظرت له بعيون معتذرة:

= هاد شي اللي قصدت بصاح؟

_ مين؟

= يعني ده كان قصدك في الحقيقة؟

تصنع (أمجد) ملامح الغضب على وجهه وقال:

_ لازم تفهمي يا (حفصة) إنه مش كل الرجال زي بعض.

= أنا آسفة يا (أمجد)، أنا خفت لتكون إنت اللي ضنيت إن البنات كلهم حال بحال، صحيح أنا لبسي جرئ وصحيح أنه هنا فيه بنات منفلتة كتير مسودين سمعتنا، لكن هاذا ما تيعني إني بحال هاذ البنات.

_ أنا عارف أنا بكلم مين يا (حفصة) وعارف أفرق كويس، إنتي لا شرب ولا سجاير وإسدال الصلاة دايمًا معاكي...

سكت لثواني ثم قال:

_ لكن بجد؟ ليه لبسك مش لايق على شخصيتك؟

= وديرت عمرة مع عائلتي من عام، لكن العمرة والصلاة شئ واللباس شئ تاني.

_ يعني.. عادة البنت اللي بتهتم بمناسك الدين بتميل للملابس الحشمة، على عكس البنت المتحررة؛ تحس إنه عبء عليها كل شوية تلبس عشان تصلي والوضوء بيكون مشكلة ليها، لازم تشيل المانيكير أو تخاف المكياج يبوظ، فتلاقيها تكبر دماغها أو تجمع الصلاة لما تروح البيت.

= كيف ما إنت شايف أنا ما ندير ماكياج، وعائلتي معوديني على الصلاة من الصغر...أنا شايفة أنه الإيمان فالقلب ماشي فالمظهر.

_ لو هتتكلمي عن الإيمان فربنا أمر بالحجاب أو على الأقل اللبس المحتشم.

= وبنات محجبات بالزاف بتدير مصايب.

_ محدش قال إن المحجبات كلهم ملايكة، زي ما فيه ناس بتصلي وتعاملاتهم سيئة ؛ فهل العيب في الصلاة؟ هل الإنسان لو تعاملاته وأخلاقه ممتازة يبقى مش محتاج يصلي؟

= أنا ما تنكرش إن الله أمر بالحجاب، لكن الإنسان ممكن ما يقدرش ينفذ كل أوامر الدين والله غفور رحيم.

سكتت لحظات ثم قالت

= إنت بغيت زوجتك محجبة؟

أحس (أمجد) أن السؤال وراءه أكثر من مغزى وأنه كبالون اختبار، ففضل أن يحوم في إجابته:

_ محجبة أو غير محجبة المهم أخلاقها، والمهم برضو إن لبسها ما يكون نقطة خلاف بيننا بعد الزواج، والأهم إني أحس بيها وأحس إني عايز أرتبط بيها، والأهم إنها تخليني أنسى تجربتي الأولى وألاقي فيها اللي ما لقيته في التجربة دي.

و يبدو أن (حفصة) قد فطنت هي الأخرى لما وراء إجابته فحولت دفة الحديث وقالت وهي تبتسم:

= لساك باغي تلعب شطرنج؟

_ لا أنا أخرتك مغايا وبكرا عايزين نصحى بدري نشيطين.

ابتسمت وقالت بالفرنسية:

= داكوغ.

_ آه صحيح؟ يعني إيه كلمة (مصطي) اللي قلتيها لي دي؟

ضحكت وقالت:

= ما تشفلش راسك.

و أوصلته للأوتيل وسلمت عليه وشدت على يديه لكنها لم تُقبله كما اعتادت.

و في مساء اليوم التالى سألها (أمجد):

_ إنتي ليه سيبتي الشغل في كازابلانكا؟

= عييت من الحياة بوحدي هناك ومليت من روتين الخدمة 5 سنين.

_ شكلك مش ناوية تشتغلي تاني.

= ما بغيت نخدم عند حد تاني وبغيت ندير مشروع خاص بيا فمراكش.

_ اها.. جميل.. ناوية على إيه؟

= بغيت أعمل (سونتر دي لابوتيه) للنسوان بس؛ ساونا وجاكوزي وجيم صغير وفيه مكان للماسكات والطمي المغربي، وشوي شوي نتوسع فيه وندير خدمة للسياح – نسوان بس برضو – حمام مغربي يجمع بين التقليدي والمودرن ويقدم مساج وحمامات طين وزيوت إلخ إلخ.

_ إيه الطموح ده كله؟ لكن ده هيكلف فلوس كتير.

= عائلتي هيشاركوني بالفلوس وأنا بمجهودي، ومغديش نديرو كل شئ مرة واحدة؛ يعني بالمصري: نعمله واحدة واحدة.

_ ده هيحتاج تفرغ كامل منك ليه؟

= وأنا معنديش تا حاجة تشغلني.

ابتسم (أمجد) وقال:

_ ولو جالك عريس؟

ضحكت (حفصة) عاليًا وهي تميل برأسها للوراء ثم أعادتها وهي تقول:

= مللي يجي العريس أخليه يخدم معايا في السونتر.

_ إفرضي هو عنده شغله؟ أو مش عايش في مراكش؟

= لا، أنا ما بغيت أسيب مراكش خلاص.

و سكتت لحظة ثم قالت وهي تبتسم

= بس ييجي العريس!

وضحكا سويًا.

* * *

أصرت (حفصة) على توصيل (أمجد) بسيارتها إلى مطار كازابلانكا، ورفضت كل محاولاته إعفاءها من هذه المجاملة الشاقة المجهدة

_ طيب وصليني لمحطة القطار.

= أبدًا، ضروري نودعك فالمطار.

هل تعلقت بـه إلى هـذه الدرجـة أم أنهـا شـهامة منهـا ومجاملـة لأقصى درجة؟ مهما كان فهي فتاة ولن تتكبد كل هذا المشوار من أجل صداقة نشأت منذ **10** أيام فقط، لكنها وهي تودعه في المطـار لم يبـد عليهـا أي مظهـر مـن مظـاهر التأثر العاطفي للفراق؛ قبلته كما تقبل الفتاة صديقتها، لم تسأله إن كانت ستراه ثانية، وحتى لما سألها هو:

_ مش هنشوفك في (مصر) قريب؟

ردت عليه مبتسمة:

= إن شاء الله.

على مفترق كل شئ

مرت الأيام سريعًا بعد عودته من مراكش وحان موعد السفر إلى مؤتمر APTC في (أبو ظبي). وصل إلى الفندق الفاخر حيث سيقام المؤتمر وحيث سيقيم هو أيضًا، كانت ستصبح مشكلة بعض الشئ لو لم يتمكن من حجز إقامته في ذات الفندق، كان سيضطر للإقامة في فندق آخر ويكون ملزمًا بالذهاب والإياب بين الفندقين طوال مدة عقد المؤتمر، وقد يضطر للذهاب أكثر من مرة في اليوم الواحد إن كانت هناك فعاليات مسائية أو دعوة لحفل أو عشاء يقيمه أحد رعاة المؤتمر.

وصل (أمجد) في اليوم السابق على يوم تسجيل حضور المؤتمر، قرر أن يخلد للنوم لساعتين فالوقت الآن عصرًا في الإمارات وهو مستيقظ من قبل الفجر في مصر، والموعد الذي اتفق فيه مع (بريندا) على لقائها سيكون مساءً ولا يزال أمامه أكثر من أربع ساعات.

في الموعد المحدد نزل (أمجد) إلى بهو الفندق متأنقًا بعناية، وانتظر نزول (بريندا) من غرفتها، وفي تمام الثامنة كانت تخرج هي من باب المصعد؛ التفتت يمينًا ويسارًا فأشار إليها بيده، فأقبلت عليه تسبقها ابتسامتها العريضة الساحرة وقد أحسنت زينتها بغير مبالغة ولا تعري – فهي لا تحب أساسًا الفساتين المكشوفة الجريئة، وبادرت هي بتقبيله على خديه، فقال لها وهو يذكر في كمية القبلات التي نالها في الفترة الأخيرة:

_ هل تعلمين ما هي أجمل مميزات أهل الغرب؟ مواعيدكم مضبوطة بالدقيقة حتى عند النساء! الطبيعي عندنا أن تتأخر المرأة وهي تتأنق للخروج في دعوة على العشاء.

= أنت وصلت قبلي فانت أكثر انضباطًا.

_ عندما يكون الرجل على موعد مع امرأة جميلة فطبيعي أن يأتي قبل ميعاده بساعة كاملة.

ضحكت (بريندا) وأردفت قائلة:

= أنت لم تتغير منذ آخر مرة رأيتك فيها من خمس سنوات، نفس الطلة ونفس الكلام الحلو المجامل، أشعر أن الزمن توقف عندك.

_ Brinda ; am ever green

قالها وهو يغمز مبتسمًا، ثم أردف:

_ لكنك تغيرتي كثيرًا (بريندا).

ردت عليه وملامح الدهشة وخيبة الأمل آخذة في التجمع فوق وجهها:

= كيف؟

فقال لها:

_ أصبحتي أكثر جمالا وطلتك أكثر إشراقًا.

انشرحت أساريرها وأجابته ضاحكة:

= أيها العربي؟ هل تغازل امرأة متزوجة؟

_ أنتي بالذات غير قابلة للإغواء. أنا أعرفك من أيام الأقصر والغردقة.. هل سنقضي الليلة هنا؟ إن الحوار بيننا لن ينتهي، هل تودين تناول العشاء في أحد مطاعم الفندق أم تودين الخروج؟

= إذا كنت متعبًا فلا داعي للخروج خارج الفندق.

_ مطلقاً، لقد أخذت قسطاً من الراحة فور وصولي.

= وأنا أيضًا... هيا بنا.

* * *

ما كان للحوار أن ينتهي بين (أمجد) و(بريندا) ولا أن ينحصر في نقطة أو بعض نقاط، فمن ذكرياتهما في (ألمانيا) و(مصر) إلى أخبار السياسة، ومن شئون النفط وأحوال السوق إلى أحوالهما الشخصية، ومن تفاصيل زواج (أمجد) وطلاقه إلى مشاكل (بريندا) مع زوجها بسبب الإنجاب...

_ لكن قرار الطلاق قرار صعب يا (بريندا).

= والأصعب أن أحرم نفسي من الأمومة بسبب أنانية (مارك)، إنني الآن في منتصف الثلاثينات وفي غمضة عين سأجد نفسي في الأربعين وربما ينقطع الطمث مبكرًا.

حبست (بريندا) دمعة بقيت تلمع داخل عينها وهي تكمل قائلة:

= إنني أشتاق جدًا أن أكون أمًا، أشعر أن نجاحي المهني نجاح فارغ بدون

الأمومة، وبعد أن كنت أعيب على المجتمعات الشرقية أنها تحصر نجاح المرأة في تكوين أسرة وتربية أطفال ولا تعتد بنجاح آخر لها: بدأت أحس أنني أنا من كنت المخطئة.

_ يبدو أنك حسمتي أمرك.

= أعطيت (مارك) مهلة للتفكير تنتهي عند عودتي من المؤتمر.

نظر لها (أمجد) نظرة سريعة ذات مغزى ولكنه لم يقل شيئًا بالطبع، ويبدو أنها فهمت معنى نظرته فغيرت مجرى الحوار وقالت:

= هل تعتقد أن نجاح أمريكا في إنتاج (الزيت الصخري) بطرق اقتصادية سيقلب سوق النفط العالمي؟

* * *

في صباح اليوم التالي ارتدى (أمجد) بدلة كاملة وتناول الإفطار ثم اتجه إلى الطابق الذي سيحتضن فعاليات المؤتمر. اليوم لن تكون هناك أي فعاليات سوى التسجيل، حيث سيأتي المشاركون لتأكيد حجزهم المسجل مسبقًا عند اللجنة المنظمة، واستلام جدول المؤتمر ومادته العلمية واستلام دعوات الحفلات التي يقيمها بعض الرعاة لبعض أو كل المشاركين.

البعض من الحضور يكتفي بالتسجيل ويسارع بالانصراف، فهذا اليوم هو الفرصة الكبرى للخروج للتنزه أو للتسوق قبل أن تزدحم الأيام بجدول أعمال ومحاضرات المؤتمر ودعوات العشاء. والبعض الآخر يقوم بعد التسجيل بالتجول

بين أجنحة الرعاة والشركات المشاركة للدعاية لمنتجاتها المتعلقة بأدوات وأجهزة ومعدات هذه الصناعة. البعض يكتفي بإلقاء نظرة عابرة ويكون غرضه الأساسي التقاط ما تقدمه هذه الشركات من هدايا، والبعض يهتم أكثر بالعلاقات؛ تكوين ما هو جديد وتوطيد ما هو كائن منها. أما (أمجد) فيمسك كل العصيان من منتصفها؛ يسجل ويلقي نظرة جدية على ما يهمه فقط من أجنحة العرض والدعاية، ولا بأس أن يتعرف ببضعة أشخاص جدد وأن يتبادل التحيات والمجاملات مع بعض من يعرفهم من مؤتمرات سابقة، ساعات معدودة يقضيها ثم ينطلق للتجول في المدينة.

تدخل قاعة التسجيل فترى كرنفالا أمميا من كل جنسيات الدنيا؛ تعرفهم بألوان بشرتهم ولكنتهم في النطق. وقف (أمجد) أمام طاولة التسجيل وتلا اسمه على مندوبة الشركة المنظمة للمؤتمر والتي وقفت مبتسمة تأخذ اسمه وتبحث عنه في قائمة المشاركين التي لديها...

_ إنتي مصرية؟

سألها أمجد لما لاحظ لكنتها واسمها المكتوب على علامة التعريف بها الملصقة على جانب صدرها.

ابتسمت وقالت:

= الدم يحن، مش كده؟

_ أكيد طبعًا، وده غير إن المصري لهجته فريدة، منين من مصر؟

قالها (أمجد) وهو يتأمل اسمها (سمر الكاشف).

= أنا من إسكندرية أصلا، لكن عايشة في الإمارات من أيام الطفولة.

رنّت هذه المعلومات في عقل (أمجد) وأيقظت ذكريات طفولته البعيدة، فسألها:

_ أنا من إسكندرية برضو، كنتي في مدرسة إيه في إسكندرية؟

ضحكت (سمر) من غرابة السؤال وقالت:

= يااه، ودي أفتكرها إزاي بعد كل السنين دي؟ ده أنا ناسية أكلت إيه من أسبوع.

تدارك (أمجد) غرابة سؤاله وقال:

_ أصل أنا كان ليا زميلة أيام الابتدائي وكان اسمها (سمر) وسافرت مع أسرتها الخليج، ومامتها كانت مدرسة معانا في المدرسة وكان اسمها ميس (نجوى الكاشف).

= أنا فعلا ماما الله يرحمها كان اسمها (نجوى) لكن اسم عيلتها مش (الكاشف)، ومكنتش مدرسة هنا في الإمارات لكن هل كانت مدرسة في مصر وللا لأ؟ مش عارفة.

_ جايز في المدرسة كانوا بينادوها باسم عائلة الزوج؟

= جايز، لكن مامي لو كانت ميس معايا في نفس المدرسة أكيد كنت هفتكر

ده.

و كاد أن يسألها عن عمرها كـي يطابقـه مـع عمـره لكنـه تـدارك نفسه في اللحظة الأخيرة.

إن عين (سمر) هذه كعين (سمـر) الأولى الـتي لم يـنس غمزاتهـا البريئـة لـه... العيون هي أقل ما يطرأ عليه التغيير من ملامح وجوهنا عبر أعمارنا. تمنى (أمجد) لوهلة لو كانت (سمـر) الـتي أمامـه غـير محجبـة كـي يطـابق شـعرها وتسريحته بشعر فتاة طفولته وتسريحتها، وكأنه كان يتوقـع أن تظـل محتفظـة بنفس تسريحة ذيل الحصان الذي طالما تطاير وراءها في نعومـة وهـي تجـري أو تلعب! . حتى ملامح (سمر) هذه لا تقطـع بـسنٍ معـين لهـا، نـبرات صـوتها في جدية سيدات الأربعين بينما ملامح وجهها طفولية وجسدها نحيف بحيـث لـو قالت لك أنهـا تخرجـت في الجامعـة منـذ سـنوات قليلـة لما كـذبتها! .. ابتـسم (أمجد) وقال:

_ فرصة سعيدة جدًا أستاذة (سمر).

= أنا الأسعد يا باشمهندس وأتمنى إن تنظيم المؤتمر وجلساته تكـون علـى قدر المأمول.

دار (أمجد) في أرجاء القاعة وعقله يموج بـذكريات الطفولـة وبالتـساؤلات عن (سمر) هذه، هـل اهتمامـه بهـا بـدافع الفضول والحـنين للماضـي؟ أم أنهـا جذبته فعلا بجمالها الهادئ ورشاقتها سواءً أكانت هي (سمر) الماضي أم غيرها؟

خصوصًا وأن أصابع يديها خالية من أي دبلة.

أخذ (أمجد) يدور في أجنحة العرض وعينه تتابع (سمر) حتى انتهت هي وزملاؤها من إتمام إجراءات التسجيل للمشاركين، رآها (أمجد) وهي تتجه لركن المشروبات كي تعد لنفسها كوبًا من القهوة الأمريكية، فاتجه إلى حيث تقف بحجة أنه يعيد كوبه الذي أتم ارتشافه، التقت نظراتهما فابتسمت مجاملة له فابتسم وقال:

_ أظن دي أول مرة المؤتمر يتنظم في الإمارات.

= أظن كده، أنا بقالي سنتين بس بشتغل في الشركة المنظمة للمؤتمر، لكن على حد علمي إنه أول مرة ينظم في الإمارات.

_ على كده إنتي عايشة دلوقتي في إنجلترا؟

= لا أبدًا، أنا من وقت ما أسرتي نزلت الإمارات ما سيبتهاش، اتعلمت وخلصت جامعة وإتجوزت واشتغلت كل ده هنا، لكن الشركة الإنجليزي المنظمة للمؤتمر فتحت مكتب ليها في (أبوظبي) فطبيعي إن ال crew هنا هو اللي يقوم بعملية التنظيم.

_ اها، إنتي مهندسة؟

= لا أنا business administration، معظمنا هنا إدارة أعمال، المهندسين بيكونوا أكتر في إنجلترا.

_ وزوجك برضو بيشتغل في (أبوظبي)؟

أرخت (سمر) نظرتها للأرض ثم أجابت في حزن:

= زوجي البقاء لله، توفاه الله من ثلاث سنوات.

قال (أمجد) وهو يرسم على وجهه ملامح الحزن ويفتعل التأثر:

_ أوه، أنا آسف، وآسف إني تجاوزت وسألتك سؤال شخصي.

انتزعت (سمر) ابتسامة على شفتيها وقالت:

= لا خالص، بالعكس أنا مبسوطة إني قابلت حد من إسكندرية.

صمتت ثواني ثم سألته:

= هي أخبار إسكندرية إيه بعد الثورة؟

هز رأسه آسفاً وقال:

_ للأسف؛ البناء العشوائي مسح كل حاجة جميلة فيها، حولها لغابة أسمنت وشوارعها بقت جراج كبير.

= يا خسارة! أنا آخر مرة رحتها من 10 سنين كانت زحمة فعلاً لكن كانت لسه محتفظة بجزء من رونقها.

_ أهو الجزء اللي كان فاضل ده زهق من القعدة لوحده وقرر يمشي هو كمان.

و استمر حبل الحوار بينهما لقرابة الساعة دون أن يشعرا بمرور الوقت، وتطرق الحديث بسلاسة لحياتهما الشخصية، ورغم أنه لم يحظ بمعلومة تؤكد

أو تنفي كونها هي (سمر) الطفولة؛ إلا أنه شعر بارتياح كبير في الحديث معها، لا يضارعه سوى ارتياحه مع (بريندا) و(حفصة)... صحيح؟ أين (بريندا)؟ إنها لم تظهر اليوم.

استأذنت (سمر) من (أمجد) بعد أن أحست بابتسامات الخبث ونظرات التساؤل في أعين زملائها وزميلاتها، وبحث (أمجد) عن (بريندا) حتى وجدها وسط المشاركين الذين تزدحم بهم صالة المؤتمر

_ أين كنتي؟ لقد بحثت عنكي بعد التسجيل ولم أجدك.

= لم أنزل إلا منذ ساعة، أنت تعلم أن يوم التسجيل يوم خفيف ففضلت أن آخذ راحتي في النوم... هل أنت مرتبط اليوم بأي مواعيد؟

_ لا إطلاقًا.

= أنا أيضًا غير مشغولة حتى المساء، لكني مرتبطة بعشاء خاص بعملي، ما رأيك أن نتجول الآن في المدينة ونتغدى سويًا؟

_ بكل سرور.

* * *

التقى أمجد وبريندا بعد ساعة في بهو الفندق وانطلقا في المدينة الكبيرة، لا داعي للخوف من الحر في أوائل شهر ديسمبر، كالعادة يشعر (أمجد) بالراحة في صحبة (بريندا) التي لا ينقصها سوى أن تجاري الفكاهة المصرية فتفهم القفشات التي يطلقها (أمجد) بعفويته المصرية ويضطر لشرحها لها عندما تنظر

له باستغراب، فتفقد القفشة بذلك ثلاثة أرباع فكاهتها. وبالطبع تطرق الحديث أثناء الغداء إلى مشكلتها مع (مارك)..

_ بغض النظر (بريندا) عن مشكلة الإنجاب؛ أليس في حياتك مع (مارك) ما يعوضك عن رغبة الأمومة؟ حب؟ ذكريات؟

= لا شئ يعوض المرأة إن اشتاقت إلى الأمومة.

سكتت لحظات ثم أكملت

_ لدرجة أنني عرضت عليه أن ننجب ولو طفلا واحدًا وأتولى أنا تربيته وكل شئونه بل ومصاريفه إذا لزم الأمر، لكنه رفض وقال إنتي تعرفين أن موضوع المال هو آخر ما يشغل بالي.

دهش (أمجد) قليلا من كلام (بريندا) وقال:

_ ليس لهذه الدرجة، تروي قليلا فالرجل أيضًا لديه غريزة الأبوة

= عندكم أنتم أهل الشرق هذه الغريزة، أما عندنا فكثيرون يفضلون راحة البال وقلة المسئولية، لذلك فكثير من دول أوروبا يتناقص عدد سكانها، عندنا في ألمانيا مثلا تغلق بعض المدارس الابتدائية لعدم وجود أطفال!، لذلك فالحكومة تدرس فتح باب الهجرة للعمالة ذات الخبرة.

سكتت (بريندا) ثم غيرت الموضوع فجأة كعادتها:

= قل لي (أمجد)، هل ترى أن الحياة هنا في أبوظبي ودبي جميلة

ومغرية؟ كثير من الأوروبيين يشترون العقارات هنا وينقلون إقامتهم إليها.

* * *

عاد (أمجد) إلى الفندق وفي المساء أحس بالملل من البقاء في غرفته، فارتدى ملابسه ونزل إلى بهو الفندق وجلس في (اللوبي بار) وطلب قهوته المفضلة مع بعض الحلوى وأخذ يجول ببصره في المحيطين به، التقت نظرته مع نظرات (سمر) التي كانت تجلس مع بعض زملائها فتبادلا الابتسام والتحية بالأعين، بعد قليل انصرف زملاؤها وبقيت هي لوحدها، التقت عيناها ثانية مع (أمجد) فابتسم لها فردت له الابتسامة، إستجمع شجاعته التي كثيرًا ما خانته أيام شبابه الأول واتجه نحوها وقال:

_ يضايقك لو قعدت معاكي شوية؟

= أبدًا، بالعكس، أنا مش بحب أقعد لوحدي.

_ هما زمايلك ليه مشيوا من غيرك؟

= هما هيروحوا بيوتهم، لكن أنا نازلة في الأوتيل فترة المؤتمر، الشركة محتاجة حد مننا يكون مقيم هنا طول الوقت عشان مرونة التنظيم ولأي طوارئ.

_ أها، آسف في السؤال؛ لكن أفهم من كده إنك معندكيش أطفال؟

= عندي (نادين) 12 سنة، أنا وهي عايشين مع بابي بعد وفاة زوجي، وهو بياخد باله منها اليومين دول.

سكتت لحظات ثم سألته:

= إنت عندك أطفال؟

_ للأسف معنديش، ربنا أراد إنه ميكونش فيه أطفال يدفعوا ثمن الطلاق.

= للأسف الطلاق في مصر زاد جدًا، وفي الدول العربية كلها برضو مش عارفة ليه... ليه مجربتش نصيبك مع حد تاني؟

_ أنا مش رافض الزواج، مستني ألاقي النصيب اللي مفلطش فيه غلطة الزواج الأولى.

= ياه، للدرجة دي كانت تجربة قاسية؟

_ هي لم تكن إنسانة سيئة، لكن طبيعة أهلها واختلاف طباعنا أنا وهي عن بعض فرضوا الطلاق.

= إزاي؟

ثم استدركت (سمر) نفسها وقالت:

= آسفة، أهو أنا اللي بسأل أسئلة شخصية دلوقتي.

_ لا بالعكس.. شوفي يا ستي

و أخذ يحكي لها قصته مع (دعاء)، بالطبع لم يحك لها بصراحة عن إحباطاته الجنسية معها ولا مع بشرتها المشعرة وإن كان ألمح إليها بوجود مشكلة ما، وفي المقابل حكت له هي عن حياتها في الإمارات ودراستها ثم زواجها من والد (نادين)؛ شاب مصري كانت له نفس ظروفها وكان أيضًا يعيش في

الإمارات منذ طفولته، وكيف توفاه الله في حادث سير لوّع قلبها وقلب أسرته عليه. وبعد كلمات المواساة والمجاملة التي تفرضها هذه المواقف قال لها:

ـ ومفكرتيش ترتبطي تاني؟

ابتسمت ابتسامة حزينة وباهتة ثم قالت:

= جاء لي أكتر من عرض زواج، في الأول كنت برفض عشان كنت لسه متأثرة بالحادث، وكمان كانت العروض معظمها غير مناسبة.

ـ غير مناسبين إزاي؟

= أولا أنا مش عايزة أسيب الإمارات، أنا وبنتي كل حياتنا هنا، أنا وهي أصلا معانا الجنسية الإماراتي، وفي نفس الوقت رافضة أكون زوجة تانية أو مسيار وكده؛ هو مش حرام لكن أنا غير متقبلة الفكرة، وتالت حاجة أنا غير متحمسة إني أتجوز واحد غير عربي.

ـ هم المصريين اللي إتقدمولك كانوا عايزين يرجعوا مصر؟

= منهم اللي قال لي لو رجعت مصر ترجعي معايا، واللي طمعان إن زواجه مني يوفر له إقامة هنا لو جهة عمله لغت عقده وحكاية الإلغاء دي بقت كتير اليومين دول للأسف.

سكتت لحظات ثم استدركت قائلة:

= عمومًا أنا مش بفكر في الزواج، لكن أنا لما أنظر للمستقبل بأحن إن بنتي

تتربى في بيت وأسرة وتشعر إن فيه (بابي) حواليها.

و هكذا دارت عجلة الحوار بينهما حتى أوقفته هي فجأة وهي تقول مندهشة:

= يا خبر، الساعة بقت 11؟

_ معقول بقالنا 3 ساعات بنتكلم؟

= نقوم بقا عشان ال **sessions** بتاعة بكرا؟

_ أه يللا بينا، إنتي بكرا هتقعدي هنا بالليل برضو؟

ابتسمت وقالت:

= بكرا فيه العشا بتاع شركة (دولفين إينرجي)، لكن لو رجعنا قبل الساعة **10** ممكن نقعد شوية.

* * *

هل أنت محظوظ يا (أمجد) أم أن حظك غريب؟ ما يكاد ينتهي من لقاء (بريندا) حتى يبدأ لقاءً آخر مع (سمر)، وفي كلا اللقاءين كم يشعر بالسعادة لصحبة امرأة جميلة ويرتاح معها في الحديث الذي لا يكاد ينتهي. لكن حظه فعلا غريب؛ إنها جلسات لا تروي له شبقًا، (بريندا) امرأة متزوجة تبثه أشواق الأمومة، و(سمر) أرملة حزينة تحمل همّ طفلة تخطو إلى عتبات المراهقة، وكل واحدة منهما مستقرة في بلدها ولا تفكر أساسًا في تركها، المرأتان جميلتان وإن كانت أيٌّ منهما لا تلامس سقف الفتنة الفائقة التي ينشدها.

و استغرب (أمجد) من نفسه؛ إنه لم يخطر بباله أن يجعل أيًا منهما بطلة خيالات فراشه وأحلام يقظته الليلية برغم ما يحس به من إثارة نحوهما، فإذا كان لا يفعل ذلك الخيال ب (بريندا) احترامًا لكونها متزوجة؛ فلماذا لا يحس بالرغبة في ذلك تجاه (سمر)؟ هل خجلا من كونها أرملة؟ أم حنينًا لذكريات الطفولة مع (سمر) الأولى؟ والتي لا يعلم حتى اللحظة هل هما سمر واحدة أم لا؟ أم أنك كبرت يا (أمجد) ويجب أن تتوقف عما كان يجب أن تقلع عنه قبل **20** سنة! سنوات تسربت من بين يديك وأنت تتفرج على الدنيا من الخارج.

آه صحيح؟ لقد توقفت عن هذه العادة الزفت حتى بتُ لا أدري متى كانت آخر مرة أقارفها!

هكذا حدّث نفسه..

و هكذا مرت أيام المؤتمر الخمسة بسرعة ما بين لذة الصحبة الحلوة وبين الهروب من السؤال: وماذا بعد؟. ودّع (أمجد) (بريندا) التي سافرت قبله بيوم عائدة إلى بلادها، وتصنّع التعاطف معها بعد أن حزمت أمرها وحسمت قرارها بطلب الطلاق، بينما هو في قرارة نفسه أحس بالارتياح لهذا الطلاق، لكنه ما لبث أن تدارك سائلا نفسه:

_ ما الجديد؟ هي لن تترك ألمانيا لتعيش في مصر وبالذات بعد أحداث هذه السنوات في مصر، وأنا لن أترك مصر وأهاجر لأبدأ حياة جديدة في ألمانيا في هذا السن.

حتى (سمر) التي هو بصحبتها بقية يومه الأخير في أبوظبي بعد أن تطوعت بمرافقته للتسوق؛ حتى هي لن تترك الإمارات من أجله وهو أيضًا لن يترك مصر كذلك حتى ولو كانت هي (سمر) الطفولة. وبينما هو يسير بجوارها و يستعيد أيام المؤتمر وذكرياته الحلوة..

= حاسب يا (أمجد)!

هكذا صاحت (سمر).

و أطاحت سيارة مسرعة ب (أمجد) في الهواء ليسقط مغشيًا عليه، وبعد وقت لا يدري كم يكون أفاق ليجد نفسه ينظر الى السماء وعدة وجوه بشرية تتدلى منها في دائرة حوله وتبحلق عيونهم فيه، لحظات وميّز بين هذه الوجوه وجه (سمر) والدموع تملأ عينيها:

= إنت كويس يا (أمجد)؟ قادر تقوم؟

استجمع (أمجد) قواه تدريجيًا وحاول أن ينهض فوجد صعوبة أول الأمر لكنه استطاع الجلوس، شرب بعض الماء الذي لا يدري من أتى به إليه، ثم وقف متثاقلا:

+ هي الخضة بس يا مدام لكن هو كويس الحمد لله.

+ ما فيك إلا الخير يا الأخو، تبي حد يوصلك؟

هكذا تكلم بعض الحاضرين فردت عليهم (سمر) بلكنة خليجية:

= أنا معي سيارة، مشكورين يا جماعة الخير ما جصرتو.

...

وصلا إلى الفندق وأوصلته (سمر) حتى باب غرفته، وقفا عند الباب من الخارج فقالت له:

= إنت كوينس؟

_ أيوة الحمد لله.

= مش عايز برضو تروح للمستشفى؟

_ مش مستاهلة، أنا بمشي كويس أهو ومش حاسس بأي وجع، أنا هنام لحد ما ييجي ميعاد الطيارة، هأكون بقيت كويس.

= هاجي بكرا أوصلك للمطار.

_ ملهوش لزوم أتعبك، هاخد أتوبيس الفندق ال **shuttle bus** لحد المطار، هما شنطتين اللي معايا.

= طيب هبقى آجي أطمئن عليك وأسلم عليك بالمرة.

_ الطيارة ميعادها الفجر، يعني همشي من هنا الساعة **2** صباحًا.

= طيب أنا هأسلم عليك دلوقتي وهبقى أتصل بيك أتأكد إنك صحيت وبقيت كويس.

ابتسما معًا وسلمت عليه وشدت على يديه وفي عينيها نظرات بألف معنىً،

وطال سلامهما حتى أحس بحرارة يدها وكادت أن تسقط بين شفتيه لولا أن سحبت يدها وودعته ثم انصرفت.

لم يشعر (أمجد) بأي ألم بعدها، ومرت رحلة السفر طبيعية. وصل إلى شقته في مصر مرهقًا فقرر أن يأخذ حمامًا ساخنًا ثم ينام مباشرة ويؤجل فض حقائبه لما بعد. خلد إلى النوم لكنه بدأ يحس بدبيب في رأسه تحول تدريجيًا إلى صداع حاد، فجأة أحس بالرغبة في التقيؤ، أراد أن يهب من فراشه لكن عضلاته لم تسعفه... وراح في إغماءة عميقة.

* * *

أخذ باب الشقة يدق في عنف متواصل والجيران متجمعون عند باب الشقة ويتكلمون ويردون على بعضهم البعض:

+ إنتم متأكدين يا جماعة إن الباشمهندس في الشقة؟

+ أيوة أنا شفته من يومين ثلاثة وهو داخل العمارة بشنط السفر.

+ ما يمكن نزل تاني ومحدش حس بيه.

+ طيب وإيه الريحة الفظيعة اللي طالعة من الشقة دي؟

+ ليكون مات وهو عايش لوحده؟

+ طيب محدش يعرف حد من قرايبه ويتصل بيهم؟

+ هو إحنا شفنا ليه أي قرايب؟ لا أولاد ولا زوجة ولا حد بيسأل عليه.

+ هو ليه أخت عايشة في إسكندرية، حد يعرف تليفونها؟

+ شوفوا كده يمكن عم (كرم) البواب يعرفه.

+ يا عم ده عمرنا ما شفناه إلا مع صاحباته الستات.

+ حرام عليك يا أخي ده عمره ما دخل شقته بواحدة ست.

+ ياما شفناه برا مع ستات أشكال وألوان.

+ وتعرف منين طبيعة علاقته بيهم؟

+ هتكون إيه؟ واحد عازب في السن ده ومعاه فلوس كتير وكل شوية مع واحدة.

+ هو ده وقت الكلام ده يا جماعة؟ لازم نكسر الباب، حد يطلب البوليس.

+ يا حراام! واحد جميل زيه يموت فجأة كده؟ وكمان يعفن؟

+ ولا ليه ابن يورثه ولا عارفين أصلا مين هيدفنه ولا مين هياخد عزاه.

* * *

_ مين هياخد عزايا، مين هيدفنني.

= أمجد... أمجد... إنت سامعني؟

جاء الطبيب إلى الحجرة التي يرقد فيها (أمجد) وكشف عليه ثم وجه كلامه إلى (سمر):

= هو ابتدى يفوق الحمد لله، منين ما يفوق خالص هنعمله شوية أشعة وفحوصات، ولو كانت تمام هيروّح معاكي البيت بعدها على طول.

همّت (سمر) أن توضح للطبيب أنها ليست زوجته ولكنها فضلت الصمت،

فتح (أمجد) عينيه ببطء وتكلم بتثاقل:

_ أنا فين؟ ردت عليه (سمر):

= إنت في مدينة الشيخ خليفة الطبية.

_ يعني أنا ما عفنتش؟

ردت عليه بدهشة

= عفنت إزاي؟

_ مت لحد ما عفنت في شقتي في القاهرة؟

أدركت (سمر) أنه يحكي ما دار في أوهامه أثناء إغمائه فقالت له:

= إنت الحمد لله صاحي أهو ولسه في أبوظبي، ثم مش إنت ساكن في فيلا؟

_ آه صحيح، طيب أنا جيت هنا إزاي؟

= تلاقيك ما حسيت بنفسك والعربية بتخبطك، بعدها نقلناك المستشفى هنا وبقالك كذا ساعة مغمى عليك.

أدرك (أمجد) ذلك الكابوس الثقيل الذي عاشه وهو مغشي عليه وحمد الله أنه لم يتعفن!

مرت فحوصات وأشعات (أمجد) كلها على ما يرام ولم يكن به سوى رضوض متفرقة؛ وأنهى إجراءات الخروج من المستشفى ومحضر الشرطة لسائق السيارة.

برغم ما كان يحس به (أمجد) من آلام إلا انها كانت تقل مع الوقت، لكن الألم النفسي جراء كابوس التعفن إياه كان يتزايد مع الوقت.

و كما مرت به بعض الأحداث في الكابوس فقد أوصلته (سمر) بالفعل إلى الفندق وعرضت عليه أن توصله إلى المطار وأصر على الرفض برفق. إلا أن ما اختلف عن الكابوس أنه هو الذي شد على يديها وهي تسلم عليه وهو الذي نظر لها نظرات بألف معنى من معاني الحيرة والألم والتفكير والتردد، ولم يحس بحرارة يدها وإنما أحس بالدفء الذي يحتاجه.

آوى إلى فراشه لكنه لم يخلد إلى النوم كما حدث في كابوسه وإنما ظلت عشرات الأسئلة والأفكار والأسماء تتقافز في عقله طوال ليلته...

الموت – الحياة بلا معنى – الفرص الضائعة – الجمال الحقيقي – الحياة الافتراضية – العادة السرية – الموت متعفنًا – موت الفجأة – من أين يأتي الدود الذي يأكل أجساد الموتى – الميراث – الفرق بين شعر الرأس الجميل وشعر الجسد المنفر – لماذا ينمو شعر الرأس واللحية بلا توقف ولا ينمو شعر الحواجب ولا شعر الجسد إلا لمقدار معين – لماذا لا ينفر القرد من شعر جسد أنثاه برغم كثافته – لماذا الشهوة الجنسية – لماذا مناطق اللهو الجنسي هي في ذات الوقت أعضاء الصرف الصحي – لماذا نشمئز من فضلات الآخرين ولا نشمئز من فضلاتنا – ما العلاقة بين الحب والجنس – لماذا يختلف تفكير المرأة عن تفكير الرجل – لماذا الحبيبة غير العشيقة غير الزوجة – لماذا يزهد الرجال في زوجاتهم بعد فترة من

الزواج رغم ما كان بهم من شبق تجاههن من قبل – ولماذا يعودون للشبق بهن إذا حرموا منهن لفترة – هل الزواج لإطفاء الشهوة أم لتقويتها – لماذا تزوغ أبصار بعض الأزواج إلى من هن أقل جمالا من زوجاتهم – ما فائدة المال – ماذا يعنيني من سيرثني إن كنت سأترك المال في كل الأحوال – لماذا تكون الحياة في خط مستقيم حتى نلتحق بوظيفة ثم بعدها تدور الحياة في دوائر متشابهة – ما الفرق بين (خيرية) و(بريندا) – وبين (دعاء) و(مهنا) – وبين (سهام) و(ميجان فوكس) – بين (سمر) و(بريندا) و(حفصة) – أيهما كان أفضل: نظام عملي الأول أم النظام الحالي – هل يستحق المال إضاعة العمر في تكديسه

* * *

و إصطدم قطار خواطره بمحطة الحقيقة الكائنة في أرض الواقع، وسحبه صوت منبه المحمول من دوامة أفكاره إيذانًا بالنزول وأن الوقت قد حان كي يتجهز لرحلة العودة إلى مصر، ووقف (أمجد) على باب قطار أفكاره مترددًا في النزول!

* * *

خرجت (سمر) من البوابة الزجاجية للمبنى التجاري الضخم حيث يقبع مكتب الشركة الإنجليزية في أحد طوابقه، وتسمرت قدماها في ذهول وهي ترى (أمجد) يقف أمامها مبتسمًا، تأملته لثواني غير مصدقة ثم صاحت:

= (أمجد)؟ إنت ما سافرتش ليه؟ حصلك حاجة؟ إنت كويس؟

_ على مهلكِ، واحدة واحدة، أنا عارف إن دي ساعة الراحة عندك في

الشغل، عندك مانع نتغدى سوا؟

* * *

جلس (أمجد) على طاولة المطعم في مواجهة (سمر) وهو يستعيد أفكاره التي رتبها في عقله قبل أن يأتي للقائها، كان طوال الطريق إلى مقر عملها قد أجرى عدة بروفات في ذهنه كي يخرج كلامه متوازنًا، وما إن أخذا مكانيهما حتى بادرته هي وبعيون ملؤها التساؤلات:

= مش أنا كلمتك الفجر وإنت قلتلي خلاص نازل المطار؟ ايه اللي جرى؟

و نسي (أمجد) كل بروفاته وقال لها مباشرة:

_ تتجوزيني يا (سمر)؟!

بهتت سمر من المفاجأة بل وتفاجأ هو أيضًا من نفسه، لكنه استرسل قائلا:

_ أنا كنت مجهز كلام كتير ومقدمة طويلة أمهد بيها لطلبي ده، لكن أول ما قعدنا نسيت كل المقدمات، أنا تقريبًا ما نمتش من ساعة ما سيبتيني، دماغي ما بطلتش تفكير طول الوقت، الحادثة بتاعة إمبارح فوقتني لحاجة مهمة قوي؛ إن الدنيا ممكن تسرقنا وهي طالعة تجري بينا وما ناخدش بالنا من المحطات اللي مفروض نقف عندها.

و أخرج من جيبه علبة قطيفة حمراء صغيرة تحتضن خاتمًا ماسيًا رقيقًا وفتحها وهو يبتسم ويقول:

_ تتجوزيني؟

صمتت (سمر) وقد عقدت المفاجأة لسانها قبل أن تستجمع نفسها وتقول:

= إنت عارف إنت عملت فيا إيه؟ إنت شليت تفكيري خالص من المفاجأة.. أخرج من الشغل ألاقيك واقف قدامي في الوقت اللي فاكراك وصلت القاهرة خلاص، وأول ما نقعد ألاقيك بتعرض عليا الزواج.. بدون مبالغة ده أغرب يوم في حياتي.

_ وبدون مبالغة برضو ده أجرأ يوم في حياتي، طول عمري بحسب الخطوة وبفكر بدل المرة عشرة، بصيت لقيت نفسي محلك سر، آن الآوان إن كل ده يتغير وإني ما أضيعش من حياتي ولا يوم تاني.

= يااه، كل ده من تأثير الحادثة ؟

_ الحادثة مجرد منبه فوقني وخلاني أفتح عيني وأشوف الدنيا اللي كنت بتفرج عليها من برا.. وفتحت.. وشفت.. ولقيتك.. إنتي كنتي فين من زمان؟

ابتسمت (سمر) في حياء واحمرت وجنتاها وقالت:

= دي الحادثة عملت منك شاعر كمان... أنا كمان لا أنكر إني معجبة بيك، لكن...

و صمتت فقال هو:

_ لكن إيه؟

= لكن إزاي؟ هل إنت اللي هتسيب مصر وتيجي تدور على شغل هنا؟ وللا

أنا اللي هسيب الإمارات وأنقل حياتي وحياة بنتي لمصر؟ الاتنين صعب.

_ لا ده ولا ده!

نظرت له بدهشة فاسترسل قائلا:

_ إنتي مش قلتيلي إن والد (نادين) الله يرحمه كان بيشتغل على منصة بترول في البحر؟

= تمام.

_ كنتي بتشوفيه كل قد إيه؟

= أسبوع أو عشرة أيام في الشهر.

_ يفرق إيه إذا كان شغل زوجك في الخليج أو في مصر إذا كان هتشوفيه برضو أسبوع أو عشرة أيام في الشهر؟

= قصدك يعني؟.. لكن إنت استقريت عمل نهاري في القاهرة وسيبت شغل المواقع من فترة.

_ وزهقت من شغل المكاتب، أي نعم شغل الموقع مرهق ومليان سلبيات لكن أسبوعين الأجازة دول ميزة كبيرة، ولما أرجع مصر هطلب أرجع المواقع تاني، وممكن أطلع مواقع برا مصر؛ ده هيخلي فترات الأجازة أطول برغم إنها ممكن تكون أبعد.

= أيوة... لكن؟

وصمتت في تردد فأكمل هو:

_ (سمر)؛ عارفة فيه كام واحد في مصر – مش بس مصر بل في العالم كله – بيشوف زوجته وأسرته شهر واحد في السنة؟

= ملايين، أنا عارفة.

_ ده غير ملايين الضباط شرطة أو جيش، والبحارة والطيارين إلخ إلخ.

= إنت بصراحة مش بس فاجأتني؛ إنت عملتلي يوم كوكتيل مفاجآت وشليت عقلي.

_ يبقى يللا بينا ناخد والدك ونطلع على المأذون، يللا..

صاحت وهي تضحك:

= إنت مجنون!

* * *

ذهب (أمجد) بالفعل مع (سمر) إلى والدها وتعارفا سويًا، واتفق معه على كل الخطوط العريضة والدقيقة، و(سمر) تجلس وتروح وتجئ وهي غير مصدقة لما يحدث، وقلبها يروح ويجئ ما بين الفرحة والدهشة، بعد كل عروض الزواج التي رفضتها بعد ترملها ها هي تخطب في ساعتين، صحيح أنها أعجبت بأمجد منذ أن رأته وزاد إعجابها به بعد أن تعاملت معه خلال أيام المؤتمر، لكنها ما تخيلت أن يتوج هذا الإعجاب بالزواج بسبب حياة كل منهما في دولة بعيدة عن الأخرى، لكن ها هو (أمجد) يقفز فوق حواجز المكان بل وحواجز الزمان

ويخطبها من أبيها في نفس اليوم الذي يفاتحها فيه برغبته.

و عاد (أمجد) إلى مصر، وفي اليوم الأول لعودته إلى عمله قدّم إلى رؤسائه طلب نقله إلى العمل بالمواقع ثانيةً، هذه الأمور سهلة ومعتادة في الشركات الأجنبية، ويمكنه أيضًا أن يلتحق بموقع تنقيب أو استخراج تابع لها خارج مصر. الحقيقة أنه كان يعتزم أصلا الاكتفاء بما حققه وادخره طوال سنوات عمله الطويلة؛ قرابة العشرين عامًا من العمل في شركة بترول أجنبية لا بد وأنها وفرت له مدخرات تكفيه حياة كريمة بل وتجعل ما ورثه عن أبيه من قبل رقمًا ثانويًا.

بعد أن أتمّ (أمجد) و(سمر) كل استعداداتهما قدما على أجازة زواج، وطار هو إلى أبوظبي ليعقد زواجه في حفل عائلي بسيط اصطحب فيه والدته وأخته وزوجها، وكانت لفتة جميلة من (رمزي) أن جاء معه إلى هناك وبصحبته زوجته (سيندي) ومعهما (أمجد) الصغير.

و طار بعدها إلى شرم الشيخ مصطحبًا عروسه لقضاء أيام العسل وأصر (أمجد) على اصطحاب (نادين) معهما، في البداية ظنت (سمر) أنه مجرد عرض لطيف منه يظهر فيه ترحيبه بوجود (نادين) في حياته، لكن عيناها دمعت لما وجدته من إصراره على سفرها معهما وأنه بالفعل قد حجز لها غرفة قريبة من جناح شهر العسل.

و بمنظور مختلف تمامًا وجد (أمجد) عروسه الجديدة، واحتار فعلا في

معرفة سبب هذا الاختلاف؛ هل هي نفسيته الجديدة التي هو عليها منذ الحادث؟ أم لأنه عثر على (سمر)؟ أم لأنها هي بارعة فعلاً في تهيئة نفسها وتريد أن تعوض حرْمان ما فات منذ ترملها؟. إنه لا يجد في جسدها أي شعرة ولا حتى حبوبًا ملتهبة جراء عملية الإزالة، هل هي عملية ليزر؟ أم كريمات فائقة العناية؟ أم أن المرأة في هذا العمر المتوسط تفقد بصيلات شعر الجسد التي كانت تعاني منها وهي فتاة؟. ألهذا السبب يقال أن نساء هذا العمر أجمل من الشابات الصغيرات إذا احتفظن برشاقتهن ونضارتهن؟ الآن فهم نظرية صديقه (حازم): old is gold! ، أم أن السبب الحقيقي هو أنه أقلع عن عادة فراشه المقيتة هذه منذ أن كان في مراكش؟... آه صحيح؛ كيف حال (حفصة)؟ هل تطلقت (بريندا)؟!

و بنفسية جديدة كليًا قضى (أمجد) هذه الأيام، إحساس الأسرة حتى ولو لم تكن (نادين) هي ابنته، إحساس المودة والرحمة والحضن الدافئ، إحساس أن يشارك اللحظات الحلوة من يحب أن يشاركه اللقمة. وصاحب ذلك إحساس آخر غريب ولكنه لذيذ؛ أن الملل سيكون بعيدًا عن زواجه هذا، فلا تلبث (سمر) أن تعود إلى وطنها ويعود هو إلى عمله ليعود الشوق لينمو بينهما من جديد.

لم يشعر (أمجد) بأي تعب أو ملل من نمط حياته الجديد، إنه يعشق السفر والطيران، ويصل إلى بيت (سمر) في أبوظبي أسرع من أن يصل الى بيت والدته في الإسكندرية بل وبمشقة أقل، ويعتبر نفسه محظوظا أن وجد الحب الملتهب الذي لا يكبله بقيود ولا يتعكر صفوه بمشكلات... الزواج الذي يرى جانبه الحلو ولا يأخذ الفرصة لظهور الوجه الآخر... الارتباط الذي يؤنس حياته ولا يقتحم عليه دنياه التي اعتادها وحده.

لكنه بدأ يحن إلى إنجاب ولو طفل واحد يحمل اسمه وميراثه من بعده ويأخذ عزاءه، صحيح أن (نادين) صارت تحبه وتناديه (بابا أمجد)، لكنها في النهاية لا تحمل اسم (نادين أمجد)، وصحيح أن (سمر) لا زالت كأنها شابة صغيرة في نضارتها ورشاقتها وحيوية فراشها لكن الحمل في هذه السن أمر مشكوك في احتمالاته.

إن ما يجده من سعادة في أحضان (سمر) وفي الأيام التي يقضيها معها تنسيه كل الهموم، فإذا ما طار عائدًا إلى مصر راودته كل أفكار الحنين هذه. ما أجمل إحساس الأبوة، لقد كانت (بريندا) محقة في طلبها للطلاق من (مارك) سعيًا وراء الأمومة... صحيح؛ كيف حال (بريندا) الآن؟ وإلام وصلت بها الأحوال؟ وتلقائيًا أخرج هاتفه وبحث عن رقمها واتصل بها...

= أنا فعلا غاضبة منك يا (أمجد)، أكثر من شهرين ولا تتصل بي ولا تسأل عن أحوالي وهل حصلت على الطلاق أم لا؟

_ أنا فعلا آسف (بريندا)، لكن لو تعلمين ما حدث لي في أبوظبي يوم أن تركتيني لاتصلتي أنتي بي لتطمئني على حياتي.

ردت عليه بدهشة

= ياه، ماذا حدث؟

و أخذ يقص عليها الحادث الذي تعرض له وغيبوبته في المستشفى والكابوس الذي راوده فيها وكيف أثر على نفسيته وصولا إلى النقل الذي طلبه في عمله، و(بريندا) تلاحقه كلما سكت بين الجملة والجملة بعبارات التعاطف وإظهار الأسى، لكنه لم يذكر لها شيئًا عن زواجه من (سمر)!

= لكني لم أفهم يا (أمجد) ما علاقة الحادث والكابوس بطلبك العودة إلى العمل بالمواقع؟

_ لقد فاتني الكثير في هذه الدنيا وأحسست أن العمر يمكن أن ينتهي بدون أن أحققها، أريد وقت فراغ طويل بين فترات العمل كي أعوض ما فات مهما كان العمل شاقًا في المواقع، أريد أن ألف الدنيا وأن أمارس كل هواياتي المؤجلة وأن أنفذ كل خططي المرسومة في أحلامي... لكن انتظري؛ لقد أخذنا الكلام عن حياتي ونسيت أن أسألك عن حياتك أنتي.

= لقد تم الطلاق أخيرًا، في البداية حاول (مارك) أن يماطلني وقال لنترك

الحمل للظروف، لكني أعلم أنه يراوغني حتى تثبط همتي ويقل انفعالي. لكني اشترطت عليه أن نكرّس أنفسنا ووقتنا حتى حدوث الحمل، وبالطبع رفض فبدأنا إجراءات الطلاق، ومنذ أسابيع قليلة وقعنا عقد الطلاق عند المحامي، ولم تكن هناك مشاكل مالية تذكر؛ فأساسًا أنا دخلي أعلى من دخله.

و رد عليها (أمجد) بنبرات صوت كلها تعاطف:

_ لست أدري ما يمكنني أن أقوله غير أن أدعو لك الله أن يحقق حلمك في الأمومة.

= أدع لي يا (أمجد) وبإخلاص، فأنا ما طلبت شيئًا من الرب كطلبي هذا.

_ سأدعو لكي ولي، فأنا أيضًا أحن إلى الإنجاب وإلى الأبوة.

سكتنا سويًا للحظات استجمع (أمْجد) خلالها نفسه ثم قال:

_ ما رأيك (بريندا) بجانب الدعاء أن نؤسس سويًا شركتين؟

ضحكت مندهشة وقالت:

= شركتان؟

_ نعم؛ الأولى توكيل في مصر – والمنطقة إن أمكن – لقطع غيار مضخات تدوير الزيت في التوربينات والضواغط.

= فكرة جيدة ولكن هل هي سهلة؟

_ أنتي بحكم عملك تستطيعين بسهولة الوصول إلى إحدى الشركات في هذا

المجال، وترسلين لي شروطهم وطلباتهم، وأنا – سواءً وحدي أو مع بعض الأصدقاء نفتتح التوكيل الذي يحقق هذه الشروط، أنا أعرف أن الموضوع سهل إذا وجد التمويل ووجدت العلاقات التي تيسر الاتفاقات وتحقق الثقة.

= والشركة الثانية؟

_ نؤسس أنا وأنتي الشركة المصرية الألمانية لتحقيق حلم الإنجاب وتحسين النسل!

ضحكت (بريندا) طويلا ثم سكتت قليلا قبل أن تقول:

= أمجد أنت تعرف أنني...

قاطعها وقال:

_ تمهلي قليلا قبل أن تقولي رأيك، أنا لا أطلب منك الانتقال للحياة في مصر.

= هل ستنتقل أنت لألمانيا؟

_ ولا أنا سأنتقل، أعطني فرصة لأشرح لك وجهة نظري كاملة.

و ردد (أمجد) على مسامعها كلامًا مشابهًا لما سبق أن قاله ل (سمر) عن ملايين الأزواج الذين يعيشون في بلاد منفصلة ويلتقون كل فترة من الزمن، وأنهما يمكن أن يلتقيا أسبوعًا كل شهر. لكنه زاد على كلامه الذي سبق أن قاله ل (سمر) وقال ل (بريندا) أنه اكتفى بالعمل لدى الغير ولهذا يسعى لاستثمار

ماله في توكيل قطع الغيار هذا.. إلخ.

أنصتت له (بريندا) بكل اهتمام وسكتت لدقيقة قبل أن تقول:

= والأطفال يا أمجد؟

_ ماذا بهم؟ أنا أتمنى أن يرزقني الله بطفل مثلما تتمنين.

= أقصد إن أنجبنا طفلا؛ أين سيقيم؟ من سيقوم بتربيته؟

_ بالتأكيد سيقيم معكي في ألمانيا، وأكيد سأشارك في تربيته معكِ.

صمتت (بريندا) ولم تجب فأكمل هو قائلا:

_ هل تذكرين يوم أن قلتي لي إنك كنت تتمنين لو أنني كنتُ ألمانيًا أو مقيمًا في ألمانيا؟ وأنك وقتها كنت لتتزوجينني بدون تردد؟ هل كانت مجرد مجاملة منك؟

= بالعكس يا (أمجد) أنا لا أخفي إعجابي بك، ولو لم أكن امرأة ذات تفكير عملي أو لو كنت رومانسية لوافقت على الزواج منك في ذلك اليوم. أنت الآن تمسك العصا من المنتصف وتقدم لي الحل الذي يفك عُقد كل الخيوط، أنا فقط أفكر معك بصوتٍ عالٍ، وعرضك المفاجئ قد شل تفكيري بصراحة..

_ اسمعي؛ أنتي بالتأكيد تحتاجين لبعض الوقت للتفكير، وفي نفس الوقت نحتاج أن نناقش التفاصيل سويًا، ما رأيك لو تقابلنا في أجازتي القادمة؟

= ليس لدي مانع، أين؟

_ أنا سأحتاج لاستخراج تأشيرة لألمانيا وهذه ستحتاج لبعض الوقت، هل تحبين أن نلتقي في مصر؟ أم أبدأ أنا إجراءات التأشيرة؟

ابتسمت وأجابت:

= لا بأس، لقد اشتقت الى الغردقة، متى أجازتك القادمة؟

* * *

وهكذا قسّم (أمجد) أجازته القادمة تلك بين (سمر) في أبوظبي وبين (بريندا) في الغردقة. إنه يمضي في مطاردة مخاوفه وفي تعويض كل ما فاته ولا يلوي على شئ، يريد أن يعبّ كل كئوس الحياة التي عاش على هامشها طوال عمره، لا أحلام مؤجلة ولا خيالَ وردي ولا خطط بعيدة بعد اليوم.

لم يفكر إن كان سيخبر أيًّا من (سمر) أو (بريندا) بأمر الأخرى أم لا، بل كان يقول لنفسه: وما شأن أيٍ منهما بالأخرى إن كانوا هم الثلاثة من بلاد متفرقة؟ ولماذا ستغار أي واحدة منهما من الأخرى إن كانت لن تراها أصلا ولن تنال وقتًا من (أمجد) أكثر منها؟ وأقنع عقله بصحة موقفه؛ فما هو الفارق لدى (سمر) إن كانت باقي أيامه يقضيها في أحضان وسادته أو في أحضان زوجة أخرى؟ وماذا سيضير (بريندا) إن كانت حجرات قلبه الأخرى خالية أم عامرة طالما أنها ملكة متوجة في حجرتها؟

الشئ الذي شغل تفكيره هو كيف سيقسم أجازاته بينهما، وأنه سيسافر بشكل مستمر، لا بأس؛ هب أنه كان طيارًا أو مضيفًا أو بحارًا أو مرشدًا سياحيًا

أو باحث آثار أو مصورًا متجولا.. أو أو... كان سيسافر أضعاف كمية السفر هذه، كما أنه بالفعل يخطط للتقاعد وبداية حياة جديدة.. إذا كان لدينا ما يكفينا من المال فلماذا ننفق أعمارنا في العمل؟.......

وعاد (أمجد) من لقاء (سمر) واستعد للقاء بريندا في مطار الغردقة، وما إن لمحته (بريندا) وهو يقف منتظرًا خروجها حتى هرعت إليه كفتاة في العشرين من عمرها واحتضنته وقبلته على خديه، وحمد الله أنها لم تقبل شفتيه، فما تعنيه هذه القبلة عند امرأة أوروبية تقابل من تخطط للزواج منه وما تتطلبه هذه القبلة من رغبات لن يستطيع هو تلبيتها الآن! ، هو الآن رجل متزوج وغير مستعد لأن يفعل مع (بريندا) ما كان يتمناه من قبل! كما أنه يعرفها جيدًا ويعرف أنها ليست المرأة التي تطلب رجلا إلى فراشها حتى ولو كان زوجها! أكاد أجزم يا (بريندا) أن فيكي عرقًا عربيًا بدويًا هو سبب كبريائك في الحب، ولولا حرارة قبلاتك لقلت أنك باردة جنسيًا..

* * *

بعد أن استراحت (بريندا) من سفرها تقابلت مع (أمجد) في المطعم على العشاء، وبدأت كلامها بالحديث عن المشروع الأول.. التوكيل

= لقد خاطبت أحد أصدقائي العاملين في التسويق في هذه الشركة، في الواقع هو نائب مدير التسويق هناك، ذكر لي أن لديهم بالفعل وكيلا إقليميا في (دبي)، لكن يمكنك أن تصبح أنت الموزع في مصر، لكن بالتأكيد الأرباح ستقل كثيرًا عما

إذا كنت الوكيل الإقليمي لهم أو لغيرهم. فقطع غيار ماكينات الصناعات الثقيلة لا تباع إلا لزبائن محدودين وبالطلب. ما رأيك لو تريثنا قليلا حتى نحصل على توكيل إقليمي من شركة أخرى؟

_ تعرفين (بريندا)؛ أنا لا أسعى إلى الربح الوفير بقدر ما أسعى إلى توفير قدر معقول من الاستثمار لأموالي بعد التقاعد الذي أنتويه، كون أني موزع محلي لموزع إقليمي فهذا سيوفر ربحاً معقولا وفي نفس الوقت لن يشكل أي ضغط عليّ في العمل، وستكون لدي الفرصة للسفر والغياب عن مصر.

ابتسمت (بريندا) لما فهمته من مغزى كلامه وقالت:

= تعرف؟ أنا لم أتوقف عن التفكير منذ أن عرضت عليّ هذا العرض للزواج الذي لا أعرف هل أسميه: عرضًا جريئًا؟ ام عرضًا مجنونًا؟

_ ولماذا لا نسميه عرضًا عمليًا يوازن كل الظروف؟

= بصراحة أنا لا أخفي قبولي المبدئي لهذا العرض وإلا لما كنت الآن في مصر، ولكن لدينا الكثير لنتناقش فيه...

* * *

و هكذا مضت ساعات في نقاش يليق بامرأة عملية ك (بريندا) تحسب لكل شئ حساباته قبل أن تخطو إليه، حتى سألته:

= وماذا بعد أن نتقدم في العمر؟ هل سيظل كل واحدٍ مننا في قارة؟

ابتسم (أمجد) ثم تنهد وقال:

_ (بريندا).. هل من العملي أن نوقف مخططات اليوم على حسابات غدٍ بعيد قد لا يجئ؟ لنقل أنني سأفضل أن أقضي شيخوختي في ألمانيا، أو أدعوكي كي نقضيها سويًا هنا في الغردقة أو في شرم الشيخ، أو في دبي كما سألتيني أيام المؤتمر عن مميزات الحياة فيها، ولكن من يعلم كيف سيكون حال الدنيا بعد عشرين سنة من الآن؟

بدت ملامح الاقتناع على ملامح (بريندا) ولم يبق إلا مناقشة خطوات التنفيذ. شرح (أمجد) لها معنى (العدّة) التي ينبغي أن تقضيها كامرأة مطلقة قبل أن يتزوج منها حتى ولو لم تكن مسلمة، وخلال هذين الشهرين كان (أمجد) قد حسم أمره وقدّم استقالته من عمله، وطار بين فرانكفورت ودبي والقاهرة لإنهاء إجراءات توكيل قطع الغيار، الأمر برمته لا يحتاج سوى لشقة في مكان لائق، ومهندس شاب ذي خبرة معقولة واثنين من الفنيين المدربين وسكرتيرة لها خبرة في تعاملات ومراسلات التوكيلات، والباقي عبارة عن معاملات بنكية وورقية وجمركية، والشقة هي أيضًا المخزن وعنوان المراسلات، وهذا كل شئ، الأساس في الموضوع هو الاتصالات والعلاقات مع الشركة الموردة والعملاء من الشركات المستهلكة وهذه كانت مهمة (أمجد)، أي أن الأمر بعد فترة قصيرة يتم إدارته بالهاتف والبريد الإلكتروني.

و برغم أن (أمجد) كان مقدمًا على الزواج من (بريندا) إلا أنه فوجئ بأن مشاعره تجاه (سمر) أصبحت أكثر التهابًا وفراشهما أشد سخونة، حتى هي

لاحظت ذلك وإن كانت قد فسرته بمعنوياته المرتفعة بعد نجاح خطوتي الاستقالة والتوكيل والتي شجعته عليهما بحماس وخصوصًا أنه قد صار أكثر تفرغًا للسفر بعد الاستقالة، ولم يشأ هو بالتأكيد أن يصحح لها معلوماتها!

وطار (أمجد) من جديد إلى فرانكفورت ولكن للزواج من (بريندا) هذه المرة، وطار بها إلى جزر المالديف لقضاء أسبوعي العسل، وبرغم أن (بريندا) لا تميل إلى اللبس المكشوف منذ أن كانت فتاة مراهقة، إلا أن (أمجد) بذل مجهودًا في إقناعها ألا ترتدي مايوهًا بكينيا وأن تستبدله بمايوه قطعة واحدة يستره شورت قصير! ولم يترك (أمجد) لهذا الأمر مجالا كي يعكر صفو أيام العسل، فالجنون الجنسي الذي أظهره (أمجد) تجاه (بريندا) قد جعل مسألة نزول البحر مسألة ثانوية بل مثار تندر (بريندا) نفسها عن جدوى طيرانهم آلاف الأميال بينما هم يقضون معظم الوقت داخل جناح العرائس.

أما (أمجد) نفسه فلم يدر سبب كل هذا الشبق الجنوني الذي حلّ عليه تجاه (بر يندا) ومن قبلها (سمر)، ما يدريه فعلا هو أنه قد زهد تمامًا في نساء أحلام اليقظة وأنه قد أغلق حرملك خيالاته نهائيًا، وأنه حتى وهو في أحضان أيٍ من زوجتيه لم يعد يحتاج إلى أطياف هذه النساء كي يؤدي واجبه! ولم يحاول أن يجهد عقله في أي تفسير من أي نوع لهذا التغيير الكبير ولا في التفكير في مشروعية إخفاء أمر كل زوجة عن الأخرى ولا في عواقب أن تدري أي منهما بأمر الثانية، إنه لا يفكر سوى في أن يعيش اللحظة ويعوض فيها كل ما فات.

و انتهت أيام العسل وعادت (بريندا) إلى ألمانيا وهي تتوقع حدوث الحمل بنسبة كبيرة بعد هذا الأداء المتواصل. وعاد (أمجد) إلى القاهرة ليتابع سير العمل في مكتب التوكيل. وبعد عدة أيام طار إلى الإمارات بحجة تخليص بضعة أمور خاصة بالعمل، لكنه في الأساس كان يشتاق لرائحة عرق (سمر)! ، إنه يطلب منها وهي معه ألا تضع أي عطور وألا تبالغ في الاستحمام. لقد قرأ ذات مرة عن (فرمونات) روائح الجسد لكنه جربها على أرض الواقع في رائحة جسدها، وكانت هي من الذكاء والإطلاع كي تدرك مسألة الفرمونات هذه، وأن تعمل على تزكيتها طبيعيًا من خلال اختيارها لأنواع ما تتناوله من طعام وبأن تكثر من المشروبات ذات الروائح العطرية.

و لمرة أخرى يدهش (أمجد) أن أيام الجنون في أحضان (بريندا) لم تطفئ شوقه إلى (سمر) بل زادته شبقًا بها. وأحس (أمجد) براحة الضمير تجاهيهما، فهو يرى أن وجود إحداهما لم يؤثر بأي شكل على الأخرى، إنه يعدل بينهما في أيام السفر بل وفي الشبق بهما، بل أقنع نفسه أن سبب تأجج شوقه المستمر لهما وعدم إصابته بالفتور الزوجي المعتاد إنما يرجع لوجودهما معًا في حياته، وأن وجود الأولى هو السبب في استمرار حرارة إحساسه بالثانية والعكس بالعكس صحيح!

و لم يستغرب (أمجد) يوم أن أخبرته (بريندا) بحدوث الحمل فعلا من أيام جزر المالديف، لكنه دهش يوم أن فاجأته (سمر) والدموع تملأ عينيها

وصوتها يختنق من الفرحة بأنها حامل هي الأخرى! ، بل كانت فرحة (سمر) أضعاف فرحة (بريندا) برغم أنه ليس بحملها الأول. لكنها فرحة المرأة في هذا العمر بأنها لا تزال شابة مكتملة الأنوثة. أما هو فقد أضاف هذا الحمل من زوجتيه معاني جديدة في حياته، كان أهمها بالنسبة له إحساس أنه لن يترك ليتعفن بعد موته وأنه سيجد من صلبه من يأخذ عزاه ويرثه بعد الأجل المحتوم، وعوضًا عن الفرحة التي كان ينتظرها هاهو يرزقه الله فرحتين.

و خطر في ذهنه فجأة خاطر غريب؛ أن (بريندا) و(سمر) تقريبًا قد حملتا في توقيت متقارب، ماذا إذا تزامنت ولادتهما معًا؟ إنه بالتأكيد يجب عليه أن يحضر لحظات الميلاد هذه، أن يشارك حبيبتاه آلام الولادة وأن يقدم ما وسعه من الدعم النفسي لكل منهما وألا يترك يدها من ساعة الطلق إلى لحظة دخولها حجرة العمليات وأن يتلقف مولوده من يدي الطبيب المولد. ولأول مرة يحس بوجود سلبيات في زواجه من اثنتين! ، ولكن انتظر لحظة... هكذا قال لنفسه؛ لا بد أن هناك على الأقل أسبوعين فاصلين بين حدوث الحملين. فلماذا يجب أن أقلق من إمكانية حدوث ولادة منهما في غير موعدها؟

إن ما يجب أن أقلق عليه حقًا هو أن تدري إحدى زوجتي بأمر الأخرى الآن بعد أن صارت أمًا لابني، ترى لو حدث ذلك؛ هل ستثور؟ بالتأكيد ستثور وتغضب ولكن لأي مدى سيكون سقف هذا الغضب؟ هل ستفهم أن شيئًا لم يكن ليختلف لو لم أتزوج عليها؟ وأنها تأخذ حقها من وقتي وحبي كاملا غير

منقوص؟ لماذا لا تدرك النساء أن قلب الرجل متعدد الحجرات يسع بدل الحبيبة تسع حبيبات؟! إن كلا من (سمر) و(بريندا) إمرأتان عاقلتان، وفوق ذلك فكل واحدة منهما تدرك أني أحبها بصدق، ولولا حبي لهما لتزوجت زوجة ثالثة في مصر! تؤنس وحدتي في الأسبوعين اللذين أقضيهما وحيدًا كل شهر في القاهرة! لكني لم أفعل ذلك لأنها بالتأكيد ستطالب بالسفر معي إلى دبي وإلى فرانكفورت، وستعرف بطريقة أو بأخرى بأمرهما، وبالتأكيد ستحرق الأرض وقتها تحت أقدامنا جميعًا، وأنا لا أطيق بعدًا لا عن سمر ولا عن بريندا، خصوصًا وهما يحملان أبنائي في أحشائهما ولذلك لم أتزوج عليهما في القاهرة! هذا طبعًا بالإضافة إلى أنني أصلا أفضل الحياة بلا قيود وبلا أدنى منغصات ولذلك اخترت طريقة الزواج عبر القارات هذه!

... لكن ماذا إن تغلبت الغيرة على العقل عند سمير أو بريندا إذا علمت إحداهما بأمر الأخرى؟ ماذا إن اتهمتني بالخديعة ولم تصفح لي أني لم أكن صريحاً معها؟ غريب أمر حواء؛ لا تسكن إلا حجرةً واحدة لكنها تصر على بقاء باقي حجرات القلب التسع خالية! بعض النساء غير أنانيات وقليل ما هن.

قد تقبل (سمر) بحكم كونها عربية مسلمة ونشأت في بلد خليجي ليس التعدد بغريب عن ثقافته، وهو أمرٌ لا يمكن الرهان عليه ولا حتى على قوة احتمالاته. أما (بريندا) فبرغم حبها الكبير لي وسعة أفقها ورزانة عقلها فالغالب أن الطبع الأوروبي سيغلب عليها.

و لأول وهلة يحس (أمجد) بالخوف من فكرة أن يفقد أيًّا منهما. إنه يحبهما هما الاثنتان بصدق وفوق ذلك قد اعتاد طعم السفر والتغيير من أجل الحب، أحب حياة الطائر سعيًا وراء الحب الحلال، وهذا التغيير قد أنساه فكرة البحث عن الأنثى الفاتنة التي يطغى سناها على باقي النساء. سيحزن إذن مرتين إن اضطر لفقد إحداهما...

قلبٌ غريب لم يجد سعادته إلا في نمط من الحياة أغرب، وطائرٌ قد استعذب أن يبني أعشاشه في أشجار الحدائق البعيدة، وبدلا من أن يتدارك ويخطو خطوة للوراء إذا به يقفز قفزات أخرى للأمام..

_ كيفك يا (حفصة)، وحشتيني ووحشني صوتك.

صاحت غير مصدقة للمفاجأة:

= كيفك يا (أمجد) وكي داير أحوالك.. أنا قلت صافي نسيتني.

_ معقول أنساكي وأنسى أيام مراكش الحلوة؟ أنا بس كنت مشغول جدًا الشهور دي وحصلت تغييرات كتيرة في حياتي.

= تغييرات إيه؟ خير؟

_ ده موضوع يطول شرحه، طمنيني عليكي إنتي الأول، أخبار مشروعك إيه؟

= الحمد لله حليت السونتر وشوية شوية ملي يحقق أرباح هنطوره وأزيد نشاطه.

_ مش عايزة شريك معاكي في السونتر؟

ضحكت وقالت:

= علاش؟ تتفكر تشاركني؟

_ وكمان عايزك تشوفي ليا بيت أو فيلا صغيرة معقولة في السعر عندكم في مراكش.

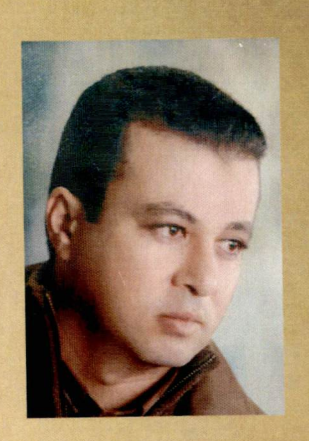
ضحكت أكثر وقالت:

= علاش؟ نويتي تهاجر للمغرب؟

قال وهو يستجمع أفكاره عن الكلام الذي سبق وأن قاله لسمر وبريندا عن ملايين الأزواج الذين يعيشون في بلدان منفصلة ويلتقون كل فترة من الزمن:

_ تتجوزيني يا (حفصة)؟!

تمت



شبق زاهد

حياة (أمجد) فصولٌ مضطربة من صراع الخيال مع الواقع مع
الحياة الإفتراضية. عقله بحرٌ يموج بالتشوش بين أطياف نون النسوة.
ليس فقط تشوش من يؤمن بأن المرأة من كينونة غير كينونة الرجل
و لا لأن فتاة أحلامه أشد ندرةً من الفيل الأبيض في أرضٍ لا
تستوطنها الفيلة، و إنما هو أيضاً عقلٌ حائرٌ بين رغبةٍ تمتلئ زهدًا و
بين زهدٍ تجتاحه الرغبات.
يظل (أمجد) يدور بدوامات أحلامه في بقاعٍ شتى من الدنيا
ليستيقظ منها يومًا بعد يوم، و لكنه لا يصحو إلا على طريقته
الخاصة.

